جوامع الجامع

العتبة العباسية المقدسة

جوامع الجامع

تأليف

أمين الإسلام أبي علي
الفضل بن الحسن الطبرسي
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جواد السيد كاظم الحكيم

الجزء الثالث

سورة الفاتحة - سورة النساء

راجعه واعتنى بنشره
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
WWW.MK.IQ
E.mail: media@mk.iq
الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الإسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.
١.القرآن--تفاسير الشيعة--القرن ٦هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.
BP130.4 .T33 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع
تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم
راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود

مكية، مائة وإحدى وعشرون آية بصري، ثلاث كوفي، عدّ الكوفي: ﴿بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة هود) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح وكذّب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى، وكان يوم القيامة من السعداء))[1]، قال الباقر عليه السلام: ((من قرأها في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيّين، وحوسب حساباً يسيراً، ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا
تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ
فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى
ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ

---

(١) الكشاف ج٢: ٤٣٩ باختصار.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٦.

لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ نظمت نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم، أو جعلت آياته حكيمة، من حكم: إذا صار حكيماً، كقوله: ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[1]، أو منعت من الفساد، من أحكم الدابة: وضع عليها الحكمة ليمنعها من الجماح، قال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا[2]

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ كما تفصّل القلائد، بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام والقصص، أو جعلت فصولاً: آية آية وسورة سورة، أو فرّقت في التنزيل فلم تنزل جملة واحدة. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: التراخي في الحال لا في الوقت، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثمّ مفصلة أحسن التفصيل. و﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ أحكمها، و﴿خَبِيرٍ﴾: عالم فصّلها، أي: بيّنها وشرحها.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ مفعول له، أي: لأن لا تعبدوا، أو تكون (أن) مفسّرة، لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول، كأنّه قيل: قال: لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله، أي: أمركم بالتوحيد.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾ أي: وأمركم بالاستغفار.

والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ لله، أي: إنّني لكم نذير وبشير من جهته، كقوله:

---

(١) يونس: ١.

(٢) ديوان جرير: ٤٧.

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾[١]، أو هي صلة لـ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: أنذركم ﴿مِّنۡهُ﴾ ومن عذابه إن كفرتم، وأبشّركم بثوابه إن آمنتم.

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ يعني: استغفروا من الشرك ثمّ أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[٢].

﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ في الدنيا بالنعم السابغة والمنافع المتتابعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يتوفاكم.

﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾ أي: ويعط في الآخرة كل ذي فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس، أو فضله في الثواب والدرجات ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي: تتولوا، فحذف إحدى التاءين.

﴿عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة، وبيّن العذاب بأنّ مرجعهم إلى القادر على ما يريده من عذابهم.

﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ أي: يزورون عن الحقّ وينحرفون عنه، لأنّ من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن انحرف عنه ثنى عنه صدره.

﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾ أي: يريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم.

﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ معناه: يتغطّون بثيابهم كراهة لاستماع كلام الله، كقوله: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[٣]، ثمّ قال: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ يعني: أنّه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم. وفي

---

(١) البيّنة: ٢.

(٢) الأحقاف: ١٣.

(٣) نوح: ٧.

قراءة أهل البيت﵈: يَثْنَوْنِيْ صُدُورَهُمْ، على يفعوعل، من الثني وهو بناء مبالغة. وقرئ بالتاء والياء.

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾

﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ لما ضمن سبحانه أن يتفضّل بالرزق عليهم وتكفّل به صار التفضّل واجباً، فلذلك جاء بلفظ الوجوب كالنذور الواجبة على العباد.

﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾ موضع قرارها ومسكنها ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾ حيث كانت مودعة فيه قبل الاستقرار من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، أو البيض.

﴿كُلّٞ﴾ أي: كل واحدة من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ في اللوح المحفوظ، يعني: إنّ ذكرها مكتوب فيه ظاهر.

﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ أي: ما كان تحته خلق إلا الماء، قبل خلق السماوات والأرض وارتفاعه فوقها، وفيه دلالة على أنّ العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السماوات والأرض.

﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ يتعلّق بـ﴿خَلَقَ﴾ أي: خلقهن لحكمة بالغة، وهي أن يجعلها مساكن لعباده، وينعم عليهم فيها بفنون النعم، ويكلفهم ويعرضهم لثواب

الآخرة. ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ تعليق، لأنّ في الاختبار معنى العلم، وهو طريق إليه، والذين هم أحسن عملاً: هم المتقون، فخصّهم بالذكر تشريفاً لهم وترغيباً في حيازة فضلهم.

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾ فتوقّعوه، لقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أمر باطل، وأشاروا بهذا إلى القرآن لأنّ القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره، وقرئ: إلا ساحر، يريدون الرسول.

و﴿ٱلْعَذَابَ﴾ عذاب الآخرة، وقيل: عذاب يوم بدر[1].

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: حين، والمعنى: إلى جماعة من الأوقات.

﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: ما يمنعه من النزول استعجالاً له.

و﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ منصوب بخبر ﴿لَيْسَ﴾، وفيه دليل على جواز تقديم خبر (ليس) على (ليس)، لأنّ المعمول لا يقع إلا حيث يجوز وقوع العامل فيه.

ووضع ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ موضع يستعجلون، لأنّ استعجالهم كان على وجه الاستهزاء.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ في معنى: يحيق، إلا أنّه جاء على عادة الله في إخباره.

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ

---

(١) تفسير ابن عباس ج٢: ٢٧٨.

ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للجنس.

﴿رَحۡمَةٗ﴾ أي: نعمة من صحّة أو ثروة أو نحو ذلك ﴿ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا﴾ أي: سلبناها منه ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ﴾ شديد اليأس، قنوط من أن تعود إليه تلك النعمة المنزوعة، قاطع رجاءه من سعة فضل الله ﴿كَفُورٞ﴾ عظيم الكفران لنعمه.

﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ أي: المصائب التي ساءتني وحزنتني.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ﴾ أي: أشر بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أنعم الله عليه، قد شغله الفرح والفخر عن الشكر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: قابلوا الشدّة بالصبر، والنعمة بالشكر.

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن
يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ
بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ
بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾

كانوا يقترحون عليه أشياء تعنتاً، فقالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾، وكان يضيق صدره صلوات الله عليه وآله بما يقولونه.

﴿أَن يَقُولُواْ﴾ كراهة أن يقولوا: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ ما اقترحناه من الكنوز والملائكة؟ ولِمَ أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه؟.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا إنذارهم بما أوحي إليك.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون ثمّ يفعل بهم ما يجب أن يفعل، فكل أمرك إليه، وعليك بتبليغ الوحي غير مبال بمقالاتهم ولا ملتفت إلى فعالهم من استكبارهم واستهزائهم.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، والضمير في ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لـ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾.

تحداهم ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ ثمّ تحداهم بسورة واحدة لما استبان عجزهم عن الإتيان بالعشر ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ بمعنى: أمثاله، لأنّه أراد مماثلة كل واحدة منها له ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ صفة لـ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾. والمعنى: هبوا أنّي افتريته من عند نفسي كما زعمتم ﴿فَأْتُوا۟﴾ أنتم بكلام ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في حسن النظم والفصاحة مفترى مختلق من عند أنفسكم، فأنتم فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: لك وللمؤمنين.

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أيّها المؤمنون، أي: اثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً.

﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ أي: أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز لجميع الخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه، واعلموا عند ذلك: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾ الله وحده، وأنّ توحيده هو الحقّ، والشرك به هو الظلم الصريح ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون موقنون بعد قيام الحجّة القاطعة؟.

ويجوز أن يكون الخطاب للكفار، فيكون المعنى: فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى معارضته، فقد قامت عليكم الحجّة، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ متابعون بالإسلام معتقدون للتوحيد.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ
فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ
وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن
كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ
ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾

﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ﴾ نوصل إليهم ونوفّر عليهم أجور ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من غير بخس في الدنيا، وهو ما يرزقون ﴿فِيهَا﴾ من الصحّة والرزق، وقيل: هم أهل الرياء[١].

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ﴾ أي: ما صنعوه، أو صنيعهم ﴿فِيهَا﴾ في الآخرة. يعني: لم يكن لصنيعهم ثواب، لأنّهم لم يريدوا به الآخرة، وإنّما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا.

﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: كان عملهم في نفسه باطلاً، لأنّه لم يعمل للوجه الصحيح الذي هو ابتغاء وجه الله، فلا ثواب يستحقّ عليه ولا أجر.

التقدير: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كمن كان يريد الحياة الدنيا، أي: على برهان من الله وبيان وحجّة على أنّ دين الإسلام حقّ وهو دليل العقل. والمعنى: إنّهم لا يقاربونهم في المنزلة، وبين الفريقين تفاوت شديد وبون بعيد ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ ويتبع ذلك البرهان ﴿شَاهِدٞ﴾ يشهد بصحّته وهو القرآن ﴿مِّنۡهُ﴾ من الله، وقيل: البيّنة: القرآن، والشاهد: جبرئيل يتلو القرآن[٢]، وقيل: أفمن كان

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٢: ٩.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٢: ١١.

على بيّنة هو النبيّ ﷺ، والشاهد منه: عليّ بن أبي طالب عليه السلام يشهد له وهو منه[١]، وهو المروي عنهم عليهم السلام[٢].

﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ من قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة يتلوه أيضاً في التصديق.

﴿إِمَامٗا﴾ مؤتماً به في الدين قدوة فيه ﴿وَرَحۡمَةً﴾ ونعمة عظيمة على المنزل عليهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: من كان على بيّنة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ يعني: أهل مكة ومن وافقهم وضامّهم من المتحزبين على رسول الله عليه السلام ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ﴾ أي: شك من القرآن، أو من الموعد.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ
لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا
كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ
ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢

---

(١) تفسير الطبري ج١٢: ١١.

(٢) تفسير العياشي ج٢: ١٤٢.

﴿يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: يحبسون ويوقفون موقفاً يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا ويشهد عليهم ﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ من الملائكة الحفظة والأنبياء بأنّهم الكاذبون ﴿عَلَىٰ﴾ الله بأنّه اتخذ ولداً وشريكاً، وأنّهم أضافوا إليه ما لم ينزله، ويقولون: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة، أو يبغون أهلها أن يعوجّوا بالارتداد، و﴿هُمۡ﴾ الثانية: فصل أكّد به كفرهم بالآخرة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ أي: فائتين الله ﴿فِي﴾ الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾ من يتولاهم فينصرهم ويمنعهم منه، ولكنّه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم، وهو من كلام الأشهاد. وقرئ: يُضَعَّفُ.

﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ المعنى: إنّهم لفرط تصامهم عن استماع الحقّ كأنّهم لا يستطيعون السمع.

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بأن اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ أي: وضاع عنهم ما اشتروه، وهو ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من شفاعة آلهتهم لهم.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ أي: لا ينفعهم ذلك، كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وقيل: معناه: حقّاً إنّهم أخسر الناس في الآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾

﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ اطمأنوا إليه وخشعوا له وانقطعوا إلى عبادته وذكره، من الخبت وهو الأرض المستوية.

شبّه فريق الكفار بـ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ وفريق المؤمنين بالبصير ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾ وهو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبّه الفريق بشيئين، كما شبّه امرؤ القيس [قلوب الطير بالحشف والعناب في قوله][1]:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا العِنَّابُ وَالحَشَفُ البَالي[2]

وأن يشبّهه بالذي جمع بين العمى والصمم، وبالذي جمع بين السمع والبصر، على أن يكون الواو في ﴿وَٱلۡأَصَمِّ﴾ وفي ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾ لعطف الصفة على الصفة.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ﴾ الفريقان ﴿مَثَلًا﴾ تشبيهاً.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٣٨.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾

قرئ: إنّي ـ بالفتح والكسر ـ فالفتح على أرسلناه بأنّي لكم نذير. والمعنى: ﴿أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ﴾ بالكسر، فلما اتصل به الجار فتح كما فتح (كأن) وأصله الكسر في قولك: إنّ زيداً كالأسد. وأما كسر (إنّ) فعلى إرادة القول.

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ بدل من ﴿إِنِّي لَكُمۡ﴾ أي: أرسلنا بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، أو تكون (أن) مفسرة متعلّقة بـ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ أو بـ﴿نَذِيرٌ﴾.

﴿أَلِيمٖ﴾ مجاز في صفة ﴿يَوۡمٍ﴾ أو ﴿عَذَابَ﴾، لأنّ الأليم في الحقيقة هو المعذّب، ونظيره قولهم: نهاره صائم وليله قائم.

﴿ٱلۡمَلَأُ﴾ الأشراف، لأنّهم يملؤون القلوب هيبة.

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ ظنوا أنّ الرسول ينبغي أن يكون من غير جنس المرسل إليه. والأراذل: جمع الأرذل.

و﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ قرئ بالهمز وغير الهمز، بمعنى: اتبعوك أوّل الرأي، أو ظاهر الرأي، وإنّما انتصب على الظرف، وأصله: [وقت حدوث أوّل رأيهم أو][1] وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف، وأريد: إنّ اتباعهم لك إنّما كان بديهة من غير روية ونظر، وإنّما استرذلوهم لفقرهم وقلة ذات يدهم.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ أي: زيادة شرف تؤهلكم للنبوّة.

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ﴾ برهان ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وشاهد يشهد بصحّة

---

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

نبوّتي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بإيتاء البيّنة، على أنّ البيّنة هي الرحمة بعينها. ويجوز أن يريد بالبيّنة: المعجزة، وبالرحمة: النبوّة، فعميت عليكم أي: خفيت بعد البيّنة، وقرئ: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ أي: أُخفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ أي: أنكرهكم على قبولها، ونجبركم على الاهتداء بها ﴿وَأَنتُمْ﴾ تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يرجع إلى قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ معناه: إنّهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما يعتقدونه من الإخلاص في الإيمان كما ظهر لي منهم، أو على ما تقرفونهم[1] به من خلاف ذلك.

﴿تَجْهَلُونَ﴾ الحقّ وأهله، أو تسفهون على المؤمنين، أو تجهلون لقاء ربّكم.

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ من يمنعني من انتقام الله وعذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾، وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ فأدعي فضلاً عليكم في الدنيا حتى

---

(١) تقرفونهم: تعيبونهم. (الصحاح: مادة قرف)

تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، ﴿وَلَآ﴾ أدعي أنّي ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ حتى أطّلع على نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم، ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ حتى تقولوا لي: ما أنت إلا بشر مثلنا، ولا أحكم على من تسترذلونه لفقرهم أنّ الله لن يؤتيهم خيراً كما تقولون لهوانهم عليه ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلت شيئاً من ذلك.

والازدراء: افتعال من زرى عليه: إذا عابه.

قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾

أي: حاججتنا وزدت في مجادلتنا على قدر الكفاية ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب فإنّا لا نؤمن بك.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ وليس الإتيان به إليّ ﴿إِن شَآءَ﴾ تعجيله لكم.

وقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ شرط، جزاؤه ما دلّ عليه قوله: ﴿لَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾، وهذا الدال في حكم ما دلّ عليه، فوصل بشرط كما يوصل الجزاء بالشرط في قولهم: إن أحسنت إليّ أحسنت إليك إن أمكنني. وأما المعنى في قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ فهو أنّ الكافر إذا علم الله منه الإصرار على الكفر فخلاه وشأنه ولم يقسره على الإيمان سمّي ذلك إغواء وإضلالاً، كما أنّه إذا عرف منه الإرعواء إلى الإيمان فلطف به سمّي إرشاداً وهداية.

﴿فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ معناه: إن صحّ وثبت أنّي ﴿ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ فعليّ عقوبة إجرامي أي: افترائي، وكان حقّي حينئذ أن تعرضوا عني. ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ﴾ أي: ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه.

ومعنى ﴿مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾: من إجرامكم في إسناد الافتراء عليّ، فلا وجه لإعراضكم عني.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

أقنطه الله سبحانه من إيمانهم.

﴿إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من الإيمان، و﴿قَدۡ﴾ للتوقع.

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ أي: فلا تحزن حزن بائس مسكين، قال:

مَا يَقْسِمُ اللهُ فَاقْبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ   مِنْهُ وَاقْعُدْ كَرِيماً نَاعِمَ البَالِ(١)

أي: فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك، فقد حان وقت الانتقام لك منهم وإنجائك.

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ في موضع الحال، أي: ﴿ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ ملتبساً ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾، كأنّ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت: ١٩٢ وفيه: أقبل.

من الله سبحانه معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وأنّا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع. وعن ابن عباس: لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر[١].

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ﴿إِنَّهُم﴾ محكوم عليهم بالإغراق، وقد وجب ذلك فلا سبيل إلى كفه.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ حكاية حال ماضية.

﴿سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾ ومن عمله السفينة، وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء، فكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوح، صرت نجّاراً بعدما كنت نبيّاً.

﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ في المستقبل ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ منا الساعة إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة.

﴿مَن يَأۡتِيهِ﴾ في محلّ النصب بـ﴿تَعۡلَمُونَ﴾، أي: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ الذي ﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ وهو عذاب الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ﴾ حلول الدين والحقّ اللازم ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذاب الآخرة، ويجوز أن يكون ﴿مَن﴾ استفهامية ويكون تعليقاً.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ
إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ
رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ

(١) تفسير الطبري ج١٢: ٢١.

نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا
عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام، دخلت على الجملة من الشرط والجزاء.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ بالماء، أي: ارتفع الماء بشدّة اندفاع، وهو تنور الخابزة، وكان في ناحية الكوفة، وقيل: التنور: وجه الأرض[1].

﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطف على ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، وكذلك ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، يعني: واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ مفعول ﴿ٱحْمِلْ﴾، والمراد بـ﴿كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: الشياع، وقرئ: مِنْ كُلٍّ - بالتنوين وحذف المضاف إليه من كل - والمراد: من كل شيء زوجين، فعلى هذا يكون انتصاب ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ على أنّه صفة لـ﴿زَوْجَيْنِ﴾.

واستثنى من أهله ﴿مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أنّه من أهل النار للعلم بأنّه يختار الكفر.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانية[2]، وقيل: كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة[3].

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ نوح لمن معه: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾. وقرئ: ﴿مَجْرِيٰهَا

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٢: ٢٤.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٢: ٢٦.

(٣) عن مقاتل. الكشف والبيان ج٥: ١٦٩.

﴿وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ بضم الميم وفتحه، واتفقوا على ضم الميم في ﴿مُرۡسَىٰهَا﴾ إلا ما روي عن ابن محيصن: أنّه فتح الميم فيهما، من جرى ورسا: إما مصدرين، أو وقتين، أو مكانين. والمعنى: اركبوا فيها مسمّين الله، أو قائلين: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ وقت إجرائها ووقت إرسائها، أو وقت جريها ووقت رسوها، على القراءة الأخرى. ويجوز أن يكونا مصدرين حذف منهما الوقت المضاف، كقولهم: خفوق النجم ومقدم الحاج. ويجوز أن يكونا مكاني الإجراء والإرساء، وانتصابهما بما في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ من معنى الفعل، أو بما فيه من إرادة القول. وروي: أنّ نوحاً كان يقول إذا أراد أن تجري: بسم الله، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله[1]. ويجوز أن يراد: بالله إجراؤها وإرساؤها، أي: بأمره ومشيئته، والاسم مقحم.

﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ﴾ معناه: أنّ السفينة تجري بنوح ومن معه على الماء ﴿فِي﴾ أمواج ﴿كَٱلۡجِبَالِ﴾ في عظمها وارتفاعها. وقرأ عليّ عليه السلام: ونادى نوح ابنه ـ بفتح الهاء ـ اكتفى بالفتحة عن الألف، وروي أيضاً: ابنها، والضمير لامرأته.

﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ وهو مَفْعِلٌ من عزله عنه: إذا نحّاه وأبعده. يعني: وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين، وقيل: كان في معزل عن دين أبيه[2].

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ قرئ بفتح الياء وكسرها، فالكسر للاقتصار عليه من ياء الإضافة، والفتح للاقتصار عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك: يا بنيا، أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين، لأنّ الراء بعدهما ساكنة.

﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ﴾ الطوفان ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ الله، أي: إلا مكان من

---

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج١٢: ٢٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٥٤.

رحم الله من المؤمنين، يعني: السفينة، أو لا عاصم اليوم إلا الراحم وهو الله تعالى، وقيل: لا عاصم بمعنى: لا ذا عصمة إلا من رحمه الله، كقوله: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾[1]، و ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[2]. وقيل: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ استثناء منقطع، كأنّه قيل: ولكن من رحمه الله فهو معصوم.

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

نداء الأرض والسماء بما ينادى به العقلاء مما يدلّ على كمال العزّة والاقتدار، وأنّ هذه الأجرام العظيمة منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنّها عقلاء مميّزون قد عرفوا جلالته وعظمته، فهم ينقادون له ويمتثلون على الفور من غير ريث.

---

(١) الطارق: ٦.

(٢) القارعة: ٧.

والبلع: عبارة عن النشف، والإقلاع: الإمساك.

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ من غاضه: إذا نقصه.

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأنجز الموعود في إهلاك القوم.

﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ أي: استقرت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ وهو جبل بالموصل.

﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ يقال: بعد بُعداً وبَعداً: إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك، ولذلك اختص بدعاء السوء، ومجيء إخباره عزّ اسمه عن الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والعظمة، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل قاهر قادر لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أنّ غيره يقول: يا أرض، ويا سماء، وأنّ أحداً سواه يقضي ذلك.

﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي: بعض أهلي، لأنّه كان ابنه من صلبه، أو كان ربيباً له فهو بعض أهله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ لاشك في إنجازه، وقد وعدتني أن تنجي أهلي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: أعدلهم وأعلمهم.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك بنجاتهم معك، لأنّه ليس على دينك ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ تعليل لانتفاء كونه من أهله، وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمّه، كقول الخنساء:

فَإِنَّما هِيَ إِقْبالٌ وَإِدْبارُ[١]

وقرئ: إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ، وقرئ: فلا تسألن ـ بكسر النون ـ بالياء وبغير ياء، وقرئ: فلا تسألن مشددة النون مفتوحة، ولا تسألني بالتشديد وإثبات الياء وغير ياء. والمعنى: فلا تلتمس مني التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب

---

(١) ديوان الخنساء: ٤٨. وصدره: ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت.

حتى تقف على كنهه. وذكر السؤال دليل على أنّ النداء كان قبل أن يغرق، وجعل سبحانه سؤال مالا يعرف كنهه جهلاً، ثمّ وعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من فعل ﴿ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾ أن أطلب منك في المستقبل ﴿مَا﴾ لا علم ﴿لِي﴾ بصحّته، تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك.

﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ قاله على سبيل الخضوع لله عزّ اسمه والتذلل له والاستكانة.

﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ أي: مسلّماً محفوظاً من جهتنا، أو مسلّماً عليك مكرّماً ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ ومباركاً عليك، والبركات: الخيرات النامية.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾: (من) للبيان، يريد: الأمم الذين كانوا معه في السفينة، لأنّهم كانوا جماعات، ولأنّ الأمم تشعبت منهم. ويجوز أنّ تكون (من) لابتداء الغاية، أي: وعلى أمم ناشئة ممن معك، وهي الأمم إلى آخر الدهر، وهذا أوجه. و﴿أُمَمٞ﴾ رفع بالابتداء، و﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ صفته، والخبر محذوف تقديره: وممن معك أمم سنمتعهم. والمعنى: إنّ السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك، وممن معك أمم ممتعون بالدنيا صائرون إلى النار، وكان نوح أبا الأنبياء، والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة.

﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى قصّة نوح، ومحلّها رفع بالابتداء، والجمل بعدها أخبار، أي: تلك القصّة بعض ﴿أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ موحاة ﴿إِلَيۡكَ﴾ مجهولة عندك وعند ﴿قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ أي: من قبل إيحائي إليك، أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي، أو من قبل هذا الوقت.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك كما صبر نوح.

﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ﴾ في الفوز والنصر والغلبة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ
ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا
وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ
وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا
بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ
رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾
وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم
مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ
وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب دون الدين، أي: واحداً منهم، عطف على ﴿**أَرْسَلْنَا نُوحًا**﴾، و﴿هُودًا﴾ عطف بيان.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على الله كذباً باتخاذكم الأوثان له شركاء.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تردّون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله، ولا

شيء أنفى للتهمة من حسم المطامع.

المدرار: الكثير الدرور، كالمغزار، رغّبهم في الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة، لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين، وكانوا يدلون بالقوة والبطش والنجدة. وعن الحسن بن عليّ عليهما السلام: أنّه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حجّابه وقال: إنّي رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلّمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً، فقال عليه السلام: ((عليك بالاستغفار))، فكان يكثر الاستغفار حتى ربّما استغفر في اليوم سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلا سألته ممَّ قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى، فسأله الرجل، فقال: ((ألم تسمع قول الله عزّ اسمه في قصّة هود: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ وفي قصّة نوح: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[١]))[٢].

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟﴾ ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه.

﴿مُجْرِمِينَ﴾ مصرّين على إجرامكم وآثامكم.

﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كذب منهم وجحود، كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾[٣] مع كثرة آياته ومعجزاته.

﴿عَن قَوْلِكَ﴾ حال من الضمير في ﴿بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا﴾ بمعنى: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك.

﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾ مفعول ﴿نَقُولُ﴾، و﴿إِلَّا﴾ لغو، والمعنى: ما نقول إلا قولنا: اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي: خبّلك ومسّك بجنون، لسبّك إيّاها وعداوتك لها، مكافأة منها لك، فمن ثمّ تتكلّم بكلام المجانين.

---

(١) نوح: ١٢.

(٢) الكشاف ج٢: ٤٠٢.

(٣) يونس: ٢٠.

﴿قَالَ﴾ هود: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ واجههم بهذا الكلام لثقته بربّه واعتصامه به، كما قال نوح لقومه: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[1].

﴿مِّمَّا تُشۡرِكُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من إشراككم آلهة من دونه، أو مما تشركونه من آلهة من دونه، أي: أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أنتم وآلهتكم من غير إنظار، فإنّي لا أبالي بكم ولا بكيدكم.

ولما ذكر توكّله على الله ووثوقه به وبكلاءته، وصفه بما يوجب التوكّل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، وكون كل ﴿دَآبَّةٍ﴾ تحت ملكته وقهره، والأخذ ﴿بِنَاصِيَتِهَآ﴾: تمثيل لذلك.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: على طريق الحقّ والعدل لا يفوته ظالم.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي: تتولوا، لم أعاتب على التفريط في الإبلاغ ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ فأبيتم إلا تكذيب الرسالة.

﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي﴾ كلام مستأنف، يريد: ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ بتوليكم ﴿شَيۡـًٔا﴾ من ضرر قط، وإنّما تضرّون أنفسكم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ أي: رقيب عليه مهيمن، فما تخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حين أهلكنا عدوهم ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ وهو السموم التي كانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً، وقيل: أراد بالتنجية الثانية إنجاءهم من عذاب

---

(١) يونس: ٧١.

الآخرة[١].

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم وقبورهم، ثمّ استأنف وصفهم فقال: ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله.

﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبّهم على وجوههم في عذاب الله، وتكرير ﴿أَلَا﴾ مع الشهادة بكفرهم والدعاء عليهم تفظيع لأمرهم، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا
إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا
إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي
وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ
الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٥٩.

جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ﴾ معناه: ما أنشأكم من الأرض إلا هو ولا استعمركم ﴿فِيهَا﴾ غيره. وإنشاؤهم منها هو خلق آدم من تراب، واستعمارهم فيها هو: أمرهم بعمارتها، والعمارة متنوعة إلى واجب، ومندوب، ومباح، ومكروه. وقيل: (استعمركم) من العمر[١]، نحو: استبقاكم، من البقاء، وقيل: هو من العمرى[٢]، فيكون (استعمركم) بمعنى: أعمركم، أي: أعمركم فيها دياركم ثمّ هو وارثها منكم إذا انقضت أعماركم، أو بمعنى: جعلكم معمّرين دياركم فيها، لأنّ الرجل إذا ورث داره غيره من بعده فكأنّما أعمره إيّاها، لأنّه يسكنها عمره ثمّ يتركها لغيره.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ داني الرحمة ﴿مُّجِيبٞ﴾ لمن دعاه.

﴿كُنتَ فِينَا﴾ فيما بيننا ﴿مَرۡجُوّٗا﴾ نرجو منك الخير، لما كانت تلوح فيك من مخايله، فكنا نسترشدك في تدابيرنا، ونشاورك في أمورنا، فالآن انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خير فيك.

﴿يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ حكاية حال ماضية.

﴿مُرِيبٖ﴾ من أرابه: إذا أوقعه في الريبة، أو من أراب الرجل: إذا كان ذا ريبة.

﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ وهي النبوّة.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بما تقولون ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ غير أن أخسركم، أي: أنسبكم إلى

---

(١) عن الضحاك. الكشف والبيان ج٥: ١٧٦.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٢: ٣٨.

الخسران وأقول لكم: إنّكم خاسرون.

﴿ءَايَةً﴾ نصب على الحال، والعامل [فيها معنى الإشارة، و﴿لَكُمْ﴾ حال أيضاً من ﴿ءَايَةً﴾ متقدّمة عليها، لأنّها لو تأخرت لكانت صفة لها، فلما تقدّمت انتصبت على الحال][١].

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ أي: فاتركوها آكلة ﴿فِي أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ ولا تصيبوها ﴿بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل لا يستأخر.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ استمتعوا بالعيش ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ في بلدكم، ويسمّى البلد الدار، لأنّه يدار فيه بالتصرّف، يقال: ديار بكر، لبلادهم.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت[٢]، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه، فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به، نحو قوله:

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سَلِيماً وَعَامِراً[٣]

أو ﴿مَكْذُوبٍ﴾ مصدر كالمعقول والمجلود، أي: غير كذب.

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ قرئ مفتوح الميم، لأنّه مضاف إلى (إذ) وهو غير متمكّن، كقوله:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا[٤]

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٢: ٣٥١.

(٣) الكتاب ج١: ١٧٨ لرجل من بني عامر، وبقيته: قليل سوى الطعن النهال نوافله.

(٤) ديوان النابغة الذبياني: ٧٩، وبقيته: فقلت ألما أصح والشيب وازع.

وقرئ مكسور الميم، لأنّه اسم معرب فانجر بالإضافة. والمعنى: ونجّيناهم من خزي ذلك اليوم ومهانته وذلته وفضيحته، كما قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[١]، ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وبأسه.

وقرئ: ﴿إِنَّ ثَمُودَاْ﴾ و﴿لِّثَمُودَ﴾ بمنع الصرف وبالتنوين في جميع القرآن، فالصرف لأنّه اسم الحي أو الأب الأكبر، ومنع الصرف للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة.

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ
لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ
إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى
شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ
رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا
ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ
جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

﴿رُسُلُنَآ﴾ يعني: الملائكة، وكانوا ثلاثة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، الصادق عليه السلام: ((كانوا أربعة ورابعهم ملك آخر))[٢]، وقيل: كانوا تسعة[٣]، وقيل:

(١) هود: ٥٨.

(٢) تفسير العياشي ج٢: ١٥٣.

(٣) عن الضحاك. معالم التنزيل ج٢: ١٣٥.

أحد عشر، وكانوا على صور الغلمان[١].

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارة بإسحاق. وعن الباقر عليه السلام: ((إنّ هذه البشارة كانت بإسماعيل من هاجر))[٢].

﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: سلّمنا عليك سلاماً، أو أصبت سلاماً أي: سلامة.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلَـٰمٌ﴾ أي: أمركم سلام، وقرئ: سِلْمٌ، وهو بمعنى: سلام، مثل حلّ وحلال وحرم وحرام، قال الشاعر:

مَرَرْنَا فَقُلْنَا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ   كَمَا اكْتَلَّ بِالبَرْقِ الغَمَامُ اللَّوَائِحُ[٣]

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ﴾ أي: فما لبث في المجيء بل عجّل فيه، أو فما لبث مجيئه.

والحنيذ: المشوي بالحجارة المحماة في أخدود من الأرض، وقيل: هو المشوي يقطر دسمه[٤]، ويدلّ عليه قوله: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[٥].

﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ إبراهيم أيدي الملائكة ﴿لَا تَصِلُ﴾ إلى العجل الحنيذ، أنكرهم، يقال: نكره وأنكره واستنكره بمعنى، وإنّما أنكرهم، لأنّه خاف أن يكونوا نزلوا لأمر أنكره الله من قومه، ولذلك ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَوْجَسَ﴾ أي: أضمر ﴿مِنْهُمْ﴾ خوفاً.

---

(١) عن السدي. معالم التنزيل ج٢: ١٣٥.

(٢) تفسير العياشي ج٢: ١٥٢.

(٣) ديوان شعر ذي الرمة: ٦٦٤.

(٤) عن شمر بن عطية. تفسير الطبري ج١٢: ٤٣.

(٥) الذاريات: ٢٦.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ وراء الستر تسمع تحاورهم، وقيل: كانت قائمة تخدمهم[١]، ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ سروراً بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الخبائث، وقيل: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾: حاضت[٢]، وهي سارة، وكانت ابنة عم إبراهيم.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ بنبيّ بين نبيّين، والوراء: ولد الولد. وقرئ: ﴿يَعۡقُوبَ﴾ بالنصب، كأنّه قال: ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، على طريقة قوله:

مَشَـائِيمُ لَيْسُـوا مُصْلِحِـينَ عَشِـيرَةً وَلا نَاعِـبٍ إلّا بِشُـؤْمٍ غِرَابُهَـا[٣]

ومن قرأ: يعقوب ـ بالرفع ـ فارتفاعه بالابتداء أو بالظرف.

والألف في ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ مبدلة من ياء الإضافة، وكذا في يا عجبا، ويا لهفا.

و﴿شَيۡخًا﴾ نصب على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة، وكان لها ثمان وسبعون سنة ولإبراهيم مائة سنة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ أن يولد ولد بين هرمين.

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ أي: إنّ هذه وأمثالها مما يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوّة، فليس هذا مكان عجب. وقيل: الرحمة: النبوّة، والبركات: الأسباط من بني إسرائيل، لأنّ الأنبياء منهم.

﴿حَمِيدٞ﴾ فاعل لما يستحقّ به الحمد من عباده.

﴿مَّجِيدٞ﴾ كريم كثير الإحسان إليهم.

و﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ نصب على النداء، أو على المدح.

---

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٣: ٣٣٩.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٢: ٤٤.

(٣) البيت للأحوص الرياحي. البيان والتبيين ج٢: ٢٦١، وفيه: إلا ببين غرابها.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ أي: لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم، فرغ للمجادلة. وجواب (لما) محذوف تقديره: اجترأ على خطابنا، أو قال: كيت وكيت، ثمّ استأنف ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾، وقيل: إنّ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ جواب (لمّا)، وإنّما جيء به مضارعاً لحكاية الحال، وقيل: إنّ (لمّا) يردّ المضارع إلى معنى الماضي، كما أنّ (إن) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، وقيل: معناه: أخذ يجادلنا، أو أقبل يجادلنا، أي: يجادل رسلنا.

﴿فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ أي: في معناهم، ومجادلته إيّاهم أنّه قال لهم: إن كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا، قال: إنّ فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله[1].

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول على من أساء إليه ﴿أَوَّٰهٞ﴾ كثير الدعاء ﴿مُّنِيبٞ﴾ راجع إلى الله تعالى بما يحبّ ويرضى، وفيه بيان: أنّ هذه الصفات مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع العذاب عنهم.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ على إرادة القول، أي: قالت له الملائكة: ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ الجدال وإن كانت الرحمة دأبك، فلا فائدة فيه.

﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ أي: قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن حكمة، والعذاب نازل بهم لا محالة لا مرد له بجدال ولا غيره.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ
هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ١٨٠.

يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ
لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ
لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ
مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ
ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾

يعني: ساء ﴿لُوطًا﴾ مجيء الرسل ﴿وَضَاقَ﴾ بمجيئهم ذرعه، وذلك لأنّه حسب أنّهم آدميون ورأى حسن صورتهم وجمال جملتهم، فخاف عليهم خبث قومه وسوء سيرتهم.

و﴿يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ وعصبصب: شديد، من عصبه: إذا شدّه.

وروي: أنّ لوطاً قد تقدّمهم وهم يمشون خلفه إلى المنزل، فقال في نفسه: أي شيء صنعت؟! آتي بهم قومي وأنا أعرفهم، فالتفت إليهم وقال: إنّكم لتأتون شرار خلق الله، وكان الله سبحانه قال لجبرئيل: لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث شهادات، فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثمّ مشى لوط، ثمّ التفت إليهم ثانياً وقال ذلك، ثمّ التفت ثالثة عند باب المدينة وقال ذلك، فقال جبرئيل: هذه الثلاثة، فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد، فصعدت امرأته فوق السطح فصفّقت، فلم يسمعوا، فدخنت، فلما رأوا الدخان أقبلوا ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: يسرعون كما يدفعون دفعاً.

﴿وَمِن﴾ قبل ذلك الوقت ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الفواحش فضروا بها ومرنوا عليها.

﴿قَالَ﴾ لوط ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فتزوّجوهن، وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً، كما زوّج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل أن يسلما وهما كافران. وقيل: كان لهم سيّدان مطاعان فأراد أن يزوّجهما ابنتيه(١).

﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ أي: هن أحلّ لكم من الرجال ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مواقعة الذكور.

﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾ أي: لا تفضحون، من الخزي، أو لا تخجلون، من الخزاية وهي الحياء ﴿فِي ضَيۡفِيٓ﴾ في حقّ أضيافي، فإنّه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل، وذلك من الكرم.

﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ رجل واحد يهتدي إلى سبيل الرشد في الكف عن القبيح.

﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ لأنّا لانتزوّجهنّ، أو مالنا فيهن من حاجة لأنّا نرغب عن نكاح الإناث، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ عنوا إتيان الذكور.

وجواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف، يعني: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ لفعلت بكم وصنعت، أي: لو قويت عليكم بنفسي ﴿أَوۡ﴾ أويت ﴿إِلَىٰ﴾ قوي أمتنع به منكم لدفعتكم عن أضيافي، فشبّه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدّته ومنعته، ولذلك قال جبرئيل: إنّ ركنك لشديد، افتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب ودخلوا،

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ١٨١.

فضرب جبرئيل بجناحه وجوههم وطمس أعينهم فأعماهم.

قالت الملائكة: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أرسلنا لهلاكهم فلا تغتم ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء أبداً.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ قرئ بالقطع والوصل، أي: سر بأهلك ليلاً، والقطع: القطعة العظيمة من الليل، كأنّما قطع بنصفين.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: ولا يتخلف منكم أحد، أو لا ينظر أحد منكم وراءه، والأوّل أوجه.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع. وروي: أنّه قال: متى موعد إهلاكهم؟ قالوا: ﴿ٱلصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أسرع من ذلك، لضيق صدره بهم، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ جعل جبرئيل جناحه في أسفلها ثمّ رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة، ثمّ قلبها عليهم، وأتبعوا الحجارة من فوقهم.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ هي كلمة معرّبة من: سنك كل، بدليل قوله: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾[1].

﴿مَّنضُودٍ﴾ نضد في السماء نضداً معدّاً للعذاب، وقيل: أرسل بعضه في أثر بعض متتابعاً[2].

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة للعذاب.

---

(١) الذاريات: ٣٣.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج٢: ١٣٨.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ﴾ كل ظالم ﴿بِبَعِيدٍ﴾. وفيه وعيد لكفار قريش.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم
بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟
يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن
نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ أي: برخص من السعر وثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف، أو أراكم بخير ونعمة من الله فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه.

﴿يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ مهلك من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[1]، وأصله من إحاطة العدو، ووصف اليوم به لأنّ الزمان يشتمل على ما يحدث فيه. والبخس: النقص والهضم.

---

(١) الكهف: ٤٢.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ نهي عن السرقة والغارة وقطع السبيل.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ ما يبقي لكم من الحلال بعد التنزّه عما هو حرام عليكم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: بشرط الإيمان لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب، أو يريد: إن كنتم مصدّقين لي في نصيحتي لكم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ أحفظ أعمالكم عليكم وأجازيكم عليها، إنّما أنا نذير ناصح لكم.

كان شعيب كثير الصلوات فقصدوا بقولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ الهزء، والمعنى: أصلاتك التي تداوم عليها تأمرك بتكليف ﴿أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن﴾ نترك فعل ﴿مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ في أموالنا؟ فحذف المضاف، لأنّ الإنسان لا يؤمر بفعل غيره. وقرئ: أصلاتك على التوحيد.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أرادوا بذلك نسبته إلى غاية السفه والغي، فعكسوا ليتهكّموا به.

﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ﴾ أي: من لدنه ﴿رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ وهو ما رزقه من النبوّة والحكمة، وقيل: أراد رزقاً حلالاً طيباً من غير بخس[1]. وجواب ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ محذوف، والمعنى: أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ﴾ حجّة واضحة ويقين ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وكنت نبيّاً على الحقيقة: أيصحّ لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن القبائح، والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك؟!.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ معناه: وما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبدّ بها دونكم.

---

(١) عن الضحاك. الدر المنثور ج٣: ٣٤٧.

﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ أي: ما أريد ﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ وهو أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي.

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ ظرف، أي: مدة استطاعتي للإصلاح ومادمت متمكّناً منه، أو بدل من ﴿ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ أي: المقدار الذي استطعت منه، ويجوز أن يكون مفعولاً ﴿ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ كقوله:

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ[1]

أي: ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وما كوني موفقاً لإصابة الحقّ فيما آتي وأذر إلا بمعونته وتوفيقه، والمعنى: إنّه استوفق ربّه في إمضاء أمره على رضا الله، وطلب منه التأييد والنصر على عدوه، وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم منه.

﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ أي: خلافي وعداوتي إصابة العذاب.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني: إنّهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم.

﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ عظيم الرحمة متودد إلى عباده بكثرة الإنعام عليهم، مريد لمنافعهم.

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ

---

(١) الكتاب ج١: ١٩٢ دون نسبة، وبقيته: يخال الفرار يراخي الأجل.

رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ
إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا
نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

﴿مَا نَفۡقَهُ﴾ أي: ما نفهم ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾، وكانوا يفهمونه ولكنّهم لم يقبلوه، فكأنّهم لم يفقهوه.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا﴾ لا قوة لك ولا عزّ فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً.

﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ أي: قتلناك شرّ قتلة، والرهط: من الثلاثة إلى العشرة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ فندع قتلك لعزّتك علينا، ولكن لم نقتلك لأجل قومك، والمراد: ما أنت بعزيز علينا بل رهطك هم الأعزّة علينا، ولذلك قال في جوابهم: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. والظهري منسوب إلى الظهر، والكسر من تغييرات النسب.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ قد أحاط بأعمالكم علماً، فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ المكانة: إما مصدر من مكن مكانة فهو مكين، أو اسم المكان، يقال: مكان ومكانة، والمعنى: اعملوا قارّين على مكانكم الذي أنتم

عليه من الشرك والعداوة لي، أو اعملوا متمكّنين من عداوتي مطيقين لها.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكّنني.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ يجوز أن يكون ﴿مَن﴾ استفهامية معلّقة لفعل العلم عن عمله فيها، كأنّه قال: سوف تعلمون أينا يأتيه ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ وأينا ﴿هُوَ كَاذِبٌ﴾، ويجوز أن تكون موصولة، والمعنى: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب.

﴿وَارْتَقِبُوا﴾ وانتظروا العاقبة ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر، والرقيب بمعنى الراقب أو بمعنى المراقب أو بمعنى المرتقب.

الجاثم: اللازم لمكانه لا يريم. روي: أنّ جبرئيل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم حيث هو[1].

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ كأن لم يقيموا ﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾ أحياء متصرّفين مترددين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ
قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾
وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾
ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ
الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ
تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ١٨٧.

أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ
إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ
فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بحججنا ومعجزاتنا.

﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ وحجّة ظاهرة مخلصة من التلبيس والتمويه.

﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ أي: ما في أمره رشد، إنّما هو غي وضلال.

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ يتقدّمهم إلى النار وهم يتبعونه كما كان لهم قدوة في الضلال. ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ وما أمره بصالح العاقبة حميدها، ويكون قوله: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ﴾ تفسيراً لذلك وإيضاحاً.

﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أتى بلفظ الماضي لأنّ الماضي يدلّ على أمر موجود مقطوع به، والمراد: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ﴾ الذي يردونه النار، لأنّ الورد إنّما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده. والوِرْد: الماء الذي يورد، والإبل الواردة أيضاً.

﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ أي: في الدنيا ﴿لَعۡنَةٗ﴾ ويلعنون ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ رفدهم، أي: بئس العون المعان، وذلك أنّ اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة، وقيل: بئس العطاء المعطى(١).

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة.

---

(١) عن القتيبي. تفسير السمرقندي ج٢: ١٦٩.

﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ خبر بعد خبر. ﴿مِنۡهَا﴾ الضمير للقرى، أي: بعضها ﴿قَآئِمٞ﴾ أي: باق وبعضها عافي الأثر، كالزرع القائم على ساقه والمحصود، وهذه جملة مستأنفة لا محلّ لها.

﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بإهلاكنا ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بارتكاب ما به أهلكوا.

﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ﴾ فما قدرت أن تردّ عنهم بأس الله ﴿ٱلَّتِي يَدۡعُونَ﴾ أي: يعبدونها، وهي حكاية حال ماضية.

﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه ونقمته، و﴿لَّمَّا﴾ منصوب بـ﴿مَا أَغۡنَتۡ﴾، والتتبيب: التخسير، ومنه تبّبه: أوقعه في الخسران.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الكاف مرفوع المحلّ، أي: ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ﴾، ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ حال من ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾.

﴿أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ وجيع صعب على المأخوذ، حذّر سبحانه من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة، بل لكل ظالم ظلم غيره أو نفسه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قصّ الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبها.

﴿لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّمَنۡ خَافَ﴾ لأنّه ينظر إلى ما أحلّ الله بالمجرمين في الدنيا، وهو أنموذج لما أعدّه لهم في الآخرة، [فإذا رأى عظمه وشدّته اعتبر به عظم العذاب الموعود في الآخرة][1] فيكون له لطفاً في زيادة الخشية، ونحوه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[2].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة يدلّ عليه قوله: ﴿عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) النازعات: ٢٦.

و﴿ٱلنَّاسُ﴾ رفع باسم المفعول الذي هو ﴿مَّجۡمُوعٌ﴾ كما يرفع بفعله إذا قلت: يجمع له الناس، أي: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٌ﴾ موصوف بأن يكون موعداً لجمع الناس له صفة لازمة.

﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّشۡهُودٌ﴾ أي: مشهود فيه، يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد، قال الشاعر:

فِي مَحْفِلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ[1]

الأجل يطلق على مدة التأجيل وعلى منتهاها، فيقولون: انتهى الأجل، وبلغ الأجل آخره، ويقولون: حلّ الأجل، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾[2] يراد آخر مدة التأجيل. والعدّ إنّما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فالمعنى: ما نؤخره إلا لانتهاء مدة معدودة فحذف المضاف.

وقرئ: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ بغير ياء، ونحوه قولهم: لا أدر ـ بحذف الياء ـ للاجتزاء بالكسرة عنها، وفاعل يأتي): الله عزّ وجل، لقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾[3]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[4]، ويدلّ عليه قراءة من قرأ: وما يؤخره ـ بالياء ـ وقوله: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾. ويجوز أن يكون الفاعل ضميراً لـ﴿يَوۡمَ﴾ كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾[5].

---

(١) البيت لأم قيس الضبية. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٣: ١٠٦٠، وصدره: ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع..

(٢) الأعراف: ٣٤.

(٣) البقرة: ٢١٠.

(٤) الفجر: ٢٢.

(٥) الزخرف: ٦٦.

وانتصب الظرف بـ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ أي: لا تتكلّم، والمراد بإتيان اليوم: إتيان هوله وشدائده.

﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمير لأهل الموقف، ولم يذكروا لأنّ ذلك معلوم.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ
فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن
قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾

الزفير: إخراج النفس، والشهيق: ردّه قال الشماخ:

بَعِيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ زَفِيرٌ وَيَتْلُوهُ شَهِيقٌ مُحَشْرَجُ[1]

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعني: المبدّلتين، أي: مادامت سماوات الآخرة وأرضها وهي مخلوقة للأبد، وكل ما علاك وأظلّك فهو سماء، ولابد لأهل الآخرة مما يظلّهم ويقلّهم، وقيل: إنّ ذلك عبارة عن التأبيد[2] كقول العرب: ما لاح كوكب، وما أقام ثبير ورضوى، وغير ذلك من كلمات التأبيد.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في

---

(١) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: ٨٨ باختلاف.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٢: ٧٠.

نعيم الجنّة، وذلك أن أهل النار لا يعذّبون بالنار وحدها، بل يعذّبون بأنواع من العذاب، وبما هو أغلظ من الجميع وهو سخط الله عليهم وإهانته إيّاهم، وكذلك أهل الجنّة لهم سوى الجنّة مما هو أكبر منها وهو رضوان الله وإكرامه وتبجيله، فهو المراد بالاستثناء.

وقيل: المراد بالاستثناء من ﴿ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ وخلودهم، من شاء الله أن يخرجه من النار بتوحيده وإيمانه، لإيصال الثواب الذي استحقّوه بطاعتهم إليهم، ويكون (ما) بمعنى (من)، كما يروى عن العرب: سبحان ما سبحت له، يقولونه عند سماع الرعد، وكقوله: ﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[١].

والمراد بالاستثناء من ﴿ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ وخلودهم في الجنّة أيضاً، هؤلاء الذين ينقلون إلى الجنّة من النار، والمعنى: خالدين فيها إلا ما شاء ربّك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنّة، فـ(ما) هاهنا على بابه والاستثناء في الثاني من الزمان، والاستثناء في الأوّل من الأعيان. وعن قتادة: الله أعلم بثنياه، ذكر لنا أنّ ناساً يصيبهم سفع[٢] من النار بذنوبهم ثمّ يتفضل الله عليهم فيدخلهم الجنّة، يسمّون الجهنّميين، وهم الذين أنفذ فيهم الوعيد ثمّ أخرجوا بالشفاعة[٣].

وقرئ: ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم السين، ويكون على هذا أسعده الله فهو مسعود، وسعد الرجل فهو سعيد، ونحوه: حزن الرجل وحزنته.

﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ أي: غير مقطوع، ولكنّه ممتد إلى غير نهاية.

ولما قصّ قصص الكفار وما حلّ بهم من نقمة الله سبحانه قال: ﴿فَلَا تَكُ

---

(١) الحشر: ١.

(٢) السفع: اللفح اليسير الذي يغير لون البشرة. (الصحاح مادة: سفع).

(٣) تفسير الطبري ج١٢: ٧٠.

﴿فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم للأوثان، وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم، تسلية لرسول الله ﷺ، ووعداً له بالانتقام منهم ووعيداً لهم.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالتين، فسينزل بهم مثل ما نزل بآبائهم، وهو استئناف معناه: تعليل النهي عن المرية.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي: حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: آمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف في القرآن.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: كلمة الإنظار إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ﴾ بين قوم موسى أو بين قومك. وهذا من جملة التسلية أيضاً.

وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾
فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه، يعني: وإن كلهم أي: جميع المختلفين فيه ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف، واللام في ﴿لَّمَّا﴾ موطئة للقسم و(ما) مزيدة، والمعنى: وإن جميعهم والله ليوفينهم ﴿رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من حسن أو قبيح وإيمان وكفر. وقرئ: وإن كلاً ـ بالتخفيف ـ على إعمال المخففة عمل الثقيلة

[اعتباراً لأصلها الذي هو التثقيل][١]. وقرئ: لما ـ بالتشديد ـ مع (إن) الثقيلة والخفيفة، وكلاهما مشكل عند النحويين، إذ ليس يجوز أن يراد بـ(لما) معنى الحين، ولا معنى (إلا) كالتي في قولهم: نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت، ولا معنى (لَم).

وأحسن ما يصرف إليه أن يقال: إنّه أراد (لمًا) من قوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾[٢]، ثمّ وقف فقال: (لمّا)، ثمّ أجرى الوصل مجرى الوقف، ويكون المعنى: وإن كلاً ملمومين يعني: مجموعين، كأنّه قال: وإن كلاً جميعاً، كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٣]. ويجوز أن يكون (لما) مصدراً على زنة فعلى، مثل: الدعوى والشروى.

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ أي: فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحقّ غير عادل عنها.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ عطف على الضمير المستكن في استقم، وجاز ذلك من غير تأكيد بالضمير المنفصل، لأنّ الفاصل قام مقامه. والمعنى: فاستقم أنت وليستقم من تاب معك عن الكفر وآمن معك.

﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ ولا تخرجوا عن حدود الله.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ عالم فهو مجازيكم به.

وعن الصادق عليه السلام: ((﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ أي: افتقر إلى الله بصحّة العزم))[٤]. وعن ابن عباس: (ما نزلت آية كانت أشق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) الفجر: ١٩.

(٣) الحجر: ٣٠.

(٤) الكشاف ج٢: ٤٣٣.

الآية)[١]، ولهذا قال: ((شيّبتني هود والواقعة وأخواتها))[٢].

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ولا تميلوا إلى الذين وجد منهم الظلم، والنهي متناول للدخول معهم في ظلمهم، وإظهار الرضا بفعلهم، ومصاحبتهم، ومصادقتهم، ومداهنتهم. وعن الحسن: (جعل الله الدين بين لائين: ﴿لَا تَطْغَوْاْ﴾ و﴿لَا تَرْكَنُوٓاْ﴾)[٣]. وفي الحديث: ((من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبّ أن يعصى الله في أرضه))[٤].

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ حال من قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: فتمسّكم النار وأنتم على هذه الحال، ومعناه: ومالكم من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه غيره ﴿ثُمَّ﴾ لا ينصركم هو.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ غدوة وعشية.

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وساعات من الليل، وهي ساعته القريبة من آخر النهار، من أزلفه: إذا قربه، وصلاة الغداة: صلاة الفجر، وصلاة العشية: المغرب، وصلاة

---

(١) معالم التنزيل ج٢: ١٤١.

(٢) الخصال: ١٨٢، المستدرك على الصحيحين ج٢: ٣٤٣.

(٣) الكشاف ج٢: ٤٣٣.

(٤) إرشاد القلوب ج١: ٧٦، إحياء علوم الدين ج٢: ١٤٤.

الزلف: العشاء الآخرة، وترك ذكر الظهر والعصر، لأنّهما مذكوران على التبع للطرف الأخير لأنّهما بعد الزوال، وقد قال سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[1]. والدلوك: الزوال. وقرئ: وَزُلُفاً ـ بضمتين ـ.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قيل: معناه: إنّ الصلوات الخمس تكفّر ما بينها من الذنوب[2]، لأنّ ﴿ٱلْحَسَنَـٰتِ﴾ معرّفة باللام، وقد تقدّم ذكر الصلوات. وعن عليّ عليه السلام: ((إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية))[3]. وقيل: إنّ الحسنات يكن لطفاً في ترك السيئات.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ وما بعده.

﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الامتثال بما أمرت به، والانتهاء عما نهيت عنه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. وهذه الآيات اشتملت على الاستقامة، وإقامة الصلوات، والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظلمة، وغير ذلك من الطاعات.

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ أي: فهلا كان ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أي: أولو فضل وخير، وسمّى الفضل والجودة بقية، لأنّ الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل، ويقال: فلان من بقية القوم أي: من خيارهم، وقد تكون البقية بمعنى: البقوى، وعلى ذلك فيكون معناه: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم، وصيانة لها من سخط الله وعقابه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع معناه: ولكن قليلاً ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾،

---

(١) الإسراء: ٧٨.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٢: ٧٩.

(٣) تفسير العياشي ج٢: ١٦١.

و(من) للبيان.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ أراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ تاركي النهي عن المنكرات، أي: اتبعوا ما عودوا من التنعم وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ
﴿١١٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ
أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ
وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ
إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا
رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿كَانَ﴾ بمعنى: صحّ واستقام، واللام لتأكيد النفي، و﴿بِظُلۡمٖ﴾ حال عن الفاعل. والمعنى: استحال في الحكمة أن يهلك الله ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ ظالماً لها ﴿وَأَهۡلُهَا﴾ قوم ﴿مُصۡلِحُونَ﴾ تنزيهاً لذاته عن الظلم، وإيذاناً بأنّ إهلاك المصلحين ظلم مستحيل عليه، وقيل: الظلم: الشرك[1]، أي: لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحقّ فيما بينهم، ولا يضمون إلى ظلمهم فساداً آخر.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ﴾ لاضطر ﴿ٱلنَّاسَ﴾ إلى أن يكونوا أهل ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾

---

(١) عن ابن عباس. تفسير السمرقندي ج٢: ١٧٥.

[أي: ملة واحدة][(١)] وهي ملة الإسلام، ولكنّه مكّنهم من الاختيار ليستحقّوا الثواب، فاختار بعضهم الحقّ وبعضهم الباطل فاختلفوا ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

﴿إِلَّا﴾ ناساً هداهم الله ولطف بهم، فاتفقوا على دين الحقّ غير مختلفين فيه.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: (ذلك) إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام الأوّل، يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف ﴿خَلَقَهُمْ﴾ ليثيب الذي يختار الحقّ بحسن اختياره.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكل نبأ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بيان لـ(كل)، و﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾. ويجوز أن يكون المعنى: وكل اقتصاص نقصّ، على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقصّ عليك على الأساليب المختلفة، و﴿مَا نُثَبِّتُ﴾ مفعول ﴿نَقُصُّ﴾، ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وطمأنينة قلبه، لأنّ تكاثر الأدلة أثبت للقلب.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السورة، أو في هذه الأنباء المقصوصة فيها ما هو حقّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وتذكير.

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾.

﴿وَانْتَظِرُوا﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحو ما قصّ الله من النقم النازلة بأمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا تخفى عليه خافية، فلا يخفى عليه

---

(١) ساقطة من أ.

أعمالكم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾ فينتقم لك منهم ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنّه ينصرك ويكفيك أمرهم.

سورة يوسف

مكية، وهي مائة وإحدى عشرة آية بالإجماع.

في حديث أُبيّ: ((علّموا أرقّاءكم (سورة يوسف)، فأيّما مسلم تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه، هوّن الله عليه سكرات الموت، وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل يوم أو في ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف، ولا يصيبه فزع، وكان من خيار عباد الله الصالحين))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾
قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

(١) الكشف والبيان ج٥: ١٩٦.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٦.

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر أمره في الإعجاز، أو المبين أنّه من عند الله لا من عند البشر، أو المبين الواضح الذي لا تشتبه معانيه على العرب لنزوله بلسانهم.

﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ حال. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه، ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لالتبس عليكم.

و﴿ٱلْقَصَصِ﴾ يكون مصدراً، أو يكون بمعنى المقصوص، كالنقص والحسب، فإنّ أريد المصدر فالمعنى: نحن نقصّ عليك أحسن الاقتصاص ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة، فيكون ﴿أَحْسَنَ﴾ نصباً على المصدر لإضافته إلى المصدر، والمراد بأحسن الاقتصاص: أنّه اقتص على أبدع أسلوب وأحسن طريقة وأعجب نظم.

وإنّ أريد بـ﴿ٱلْقَصَصِ﴾ المقصوص، فالمعنى: نحن نقصّ عليك أحسن ما يقصّ من الأحاديث في بابه، لما يتضمّن من النكت والحكم والعبر التي ليست في غيرها.

﴿وَإِن كُنتَ﴾: (إن) مخففة من الثقيلة، والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ يعود إلى ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: وإنّ الحديث وإن كنت من قبل إيحائنا إليك من ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عنه، ما كان لك به علم قط.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدل من ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ وهو من بدل الاشتمال، لأنّ الوقت مشتمل على ما يقصّ فيه.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قرئ بكسر التاء وفتحها، وهي تاء التأنيث جعلت عوضاً من ياء الإضافة، وإنّما صحّ أن تكون عوضاً منها لأنّ التأنيث والإضافة يتناسبان في أنّ كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره. ومن فتح حذف الألف من ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ وأبقى الفتحة دليلاً عليها.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ من الرؤيا، وعن ابن عباس: (إنّ يوسف رأى في المنام ليلة القدر أحد عشر كوكباً نزلن من السماء فسجدن له، ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له، فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر)(١)، وقيل: الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أنّ أمه راحيل قد ماتت(٢).

ويجوز أن يكون الواو في ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بمعنى (مع) أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر.

و﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأنّه قال له يعقوب: كيف رأيتها؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ خاف عليه حسد إخوته له وبغيهم عليه، لما عرف من دلالة رؤياه على أنّ الله يبلغه من شرف الدارين أمراً عظيماً.

﴿فَيَكِيدُوا﴾ منصوب بإضمار (أن)، والمعنى: إن قصصتها عليهم كادوك. ضمّن قوله: ﴿يَكِيدُوا﴾ معنى (يحتالوا) فعدّاه باللام ليفيد معنى الفعلين، ثمّ أكّده بالمصدر فقال: ﴿كَيْدًا﴾.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ
لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ

(١) الكشف والبيان ج٥: ١٩٨.

(٢) عن قتادة. الكشف والبيان ج٥: ١٩٨.

﴿عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾

الاجتباء: الاصطفاء.

و﴿ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ الرؤى جمع الرؤيا، لأنّ الرؤيا: إما حديث نفس، أو حديث ملك أو شيطان، وتأويلها: عبارتها وتفسيرها. وكان يوسفﷺ أعبر الناس للرؤيا وأصحّهم عبارة لها. وقيل: هو معاني كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وما غمض على الناس من مقاصدها، يفسّرها لهم ويشرحها، وهي اسم جمع للحديث.

ومعنى إتمام النعمة: أنّه وصل نعمة الدنيا لهم بنعمة الآخرة فجعلهم أنبياء وملوكاً ثمّ نقلهم إلى نعيم الآخرة والدرجات العلى من الجنّة.

و﴿ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أهله ونسله، وأصل آل: أهل، بدليل أنّ تصغيره أهيل، إلا أنّه لا يستعمل إلا فيمن له خطر فيقال: آل النبيّ وآل الملك.

و﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان لـ﴿أَبَوَيۡكَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بموضع الاجتباء ﴿حَكِيمٞ﴾ في إتمام الإنعام على من يستحقّه.

﴿فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ في قصّتهم وحديثهم ﴿ءَايَٰتٞ﴾ أي: علامات ودلائل على حكمته، أو عبر وأعاجيب ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن قصّتهم، أو آيات على نبوّة محمّد ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحّة من غير سماع ولا قراءة كتاب. فقد روي: أنّهم قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصّة يوسف؟. وقرئ: آية.

﴿لَيُوسُفُ﴾ لام الابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا: أنّ

زيادة محبّته ليوسف وأخيه بنيامين أمر ثابت لا شبهة فيه، وإنّما قالوا: ﴿أَخُوهُ﴾ لأنّ أمهما كانت واحدة.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ حال، والمراد: إنّه يفضّلهما في المحبّة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما، ونحن جماعة: عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى﴾ ذهاب عن طريق الحقّ والثواب. والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً، سمّوا بذلك لأنّهم تعصب بهم الأمور.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ مجهولة بعيدة من العمران، هذا هو المعنى في تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ يقبل عليكم إقبالة واحدة ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وقيل: ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾: يفرغ لكم من الشغل بيوسف[1].

﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ﴾ بعد يوسف، أي: بعد قتله أو تغريبه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ تائبين إلى الله مما جنيتم عليه، أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم.

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ
بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا
عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ
وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟
بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟
لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) تفسير الطبري ج١٢: ٩٣.

القائل: يهوذا، وكان أحسن إخوته رأياً فيه، وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[١]، ﴿قَالَ﴾ لهم: القتل أمر عظيم.

﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله. وقرئ: غيابات في الموضعين على الجمع. والجب: البئر التي لم تطو.

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ وهم الذين يسيرون في الأرض ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي.

مَالَكَ لَا تَأْمَنَنَا ـ بإظهار النونين ـ وقرئ: ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام بإشمام وغير إشمام. والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبّه، وما فعلنا في أمره ما يدلّ على خلاف النصيحة؟.

وقرئ: نرتع ونلعب بالنون فيهما، وبالياء فيهما، والجزم، وقرئ: الأوّل بالنون والثاني بالياء. وأصل الرتعة: الخصب والسعة. والمعنى: ننال ما نحتاج إليه ونتسع في أكل الفواكه وغيرها، وقرئ: يرتع ـ بكسر العين ـ ويلعب ـ بالياء فيهما وبالنون ـ من ارتعى يرتعي، يقال: رعى وارتعى، مثل: شوى واشتوى، وقد يستقيم أن يقال: نرتع وإنّما ترتع إبلهم، فيكون على حذف المضاف، وأرادوا به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام.

﴿لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ اعتذر إليهم بشيئين: أحدهما: أنّ مفارقته إيّاه مما يحزنه لأنّه كان لا يصبر عنه ساعة، والآخر: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم.

﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ اللام موطئة للقسم، و﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جواب

---

(١) يوسف: ٨٠.

القسم وقد سدّ مسدّ جواب الشرط.

والواو في ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ واو الحال. حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم ـ وحالهم أنّهم عشرة رجال، بمثلهم تعصب الأمور وتستكفي الخطوب ـ إنّهم إذاً لقوم هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً، أو مستحقّون أن يهلكوا لأنّه لا غناء عندهم، أو مستحقّون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار فيقال: خسّرهم الله، حين أكل الذئب بعضهم وهم حضور.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ
يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ
عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا
صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ
أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

﴿أَن يَجۡعَلُوهُ﴾ مفعول ﴿أَجۡمَعُوٓاْ﴾ من أجمع الأمر وأزمعه، وجواب (لما) محذوف، والتقدير: فعلوا به ما فعلوا من الأذى. فقد روي: أنّهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يضربونه، فلما أرادوا إلقاءه في الجب ربطوا يديه ونزعوا قميصه ودلوه في البئر، فلما بلغ نصفها ألقوه وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثمّ آوى إلى صخرة فقام عليها، وكان إبراهيم خليل الرحمن لما ألقي في النار عرياناً أتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنّة فألبسه إيّاه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، وجعله يعقوب في تميمة علّقها في عنق يوسف، فجاء جبرئيل [فأخرجه وألبسه إيّاه، وهو القميص الذي وجد يعقوب][1] ريحه لما فصلت العير

---

(١) ساقطة من ج.

من مصر(١).

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾، وإنّما أوحى إليه ليبشّر بما يؤول إليه أمره، والمعنى: لتتخلصن مما أنت فيه، ولتحدّثن إخوتك بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّك يوسف، لعلو شأنك ولطول عهدهم بك، وقيل: يريد وهم لا يشعرون بإيحائنا إليه وإزالتنا الوحشة عنه، ويحسبون أنّه مستوحش(٢).

وجاء إخوته ﴿أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ آخر النهار، وأظهروا البكاء ليوهموه أنّهم صادقون.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نتسابق في العدو أو في الرمي، وقيل: في تفسيره: ننتضل(٣)،

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ بمصدق ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا﴾ من أهل الصدق عندك لشدّة محبّتك ليوسف، فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا!.

﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كقول الشاعر:

فَهُنَّ بِـهِ جُـودٌ وَأَنْتُـمْ بِـهِ بُخْـلُ(٤)

وروي: إنّ يعقوب أخذ القميص وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٧٠.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٢: ٩٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٩٥.

(٤) أساس البلاغة ج١: ١٤٠ دون نسبة، وصدره: وفيهن فضل قد عرفنا مكانه.

يمزق عليه قميصه[١].

﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ محله نصب على الظرف، أي: ﴿وَجَآءُو﴾ فوق ﴿قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾، ولا يجوز أن يكون حالاً متقدّمة، لأن الحال عن المجرور لا يتقدّم عليه.

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ أي: سهّلت ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾ عظيماً ارتكبتموه من يوسف وهوّنته في أعينكم. والسول: الاسترخاء.

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أمثل، وفي الحديث: ((إنّ الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه))[٢] يعني: إلى الخلق، لقوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾[٣].

﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ﴾ احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف.

وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿سَيَّارَةٞ﴾ جماعة مارّة تسير من قبل مدين إلى مصر، وذلك بعد ثلاثة أيّام من إلقاء يوسف في الجب، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه.

﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ والوارد: الذي يرد ليستقي للقوم، أي: بعثوا رجلاً يطلب لهم الماء، وهو مالك بن ذعر.

﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥ﴾ في البئر، فتعلق يوسف بالحبل، فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان، ﴿قَالَ﴾ يا بشراي، أي: أضاف البشرى إلى نفسه،

(١) الكشف والبيان ج٥: ٢٠٣.

(٢) الكافي ج٢: ٩٣، تفسير الطبري ج١٢: ٩٩.

(٣) يوسف: ٨٦.

وقرئ: ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ نادى: البشرى، كأنّه قال: تعالي فهذا أوانك.

﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ الضمير للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة، وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر(١)، وعن ابن عباس: (أنّ الضمير لإخوة يوسف وأنّهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه)(٢).

وانتصب ﴿بِضَـٰعَةً﴾ على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما يبضع من المال للتجارة، أي: يقطع.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً.

﴿دَرَٰهِمَ﴾ لا دنانير ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة تعدّ عدّاً ولا توزن، وعن ابن عباس: (كانت عشرين درهماً)(٣).

﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طفّ(٤) من الثمن، لأنّهم التقطوه، والملتقط للشيء لا يبالي بمَ باعه. ويجوز أن يكون المعنى: واشتروه من إخوته يعني الرفقة وكانوا من الزاهدين في نفس يوسف.

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٢: ١٠٠.

(٢) تفسير الطبري ج١٢: ١٠١.

(٣) تفسير الطبري ج١٢: ١٠٣.

(٤) طفّ: قلّ، والطفيف: القليل. (الصحاح: مادة طفف).

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا
عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ
إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ هو العزيز الذي كان على خزائن مصر، واسمه قطفير أو اطفير، والملك يومئذ: الريان بن الوليد، وعن ابن عباس: (العزيز ملك مصر)، وقيل: اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: اشتراه العزيز بأربعين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين(١).

وقال ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أي: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً، أي: حسناً مرضياً بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ ومعناه: تعهّديه بالإحسان حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ لعله ينفعنا بكفايته وأمانته، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قد تفرّس فيه الرشد فقال ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الإنجاء والعطف، والمراد: كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز ﴿مَكَّنَّا﴾ له ﴿فِى﴾ أرض مصر، وجعلناه ملكاً يتصرّف فيها بأمره ونهيه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ كان ذلك الإنجاء والتمكين.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ لا يمنع مما يشاء ويقضي، أو على أمر يوسف يدبّره

(١) ينظر: القصة والأقوال في تاريخ الطبري ج١: ١٧٢.

لا يكله إلى غيره.

وقيل في الأشدّ: ثماني عشرة سنة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون، وقيل: أقصاه ثنتان وستون سنة[(١)].

﴿حُكْمًا﴾ أي: حكمة، يعني: النبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بالشريعة، وقيل: الحكم على الناس والعلم بوجوه المصالح.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه تنبيه على أنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه في العمل وتقواه. وعن الحسن: (من أحسن عبادة ربّه في شبيبته آتاه الحكمة في اكتهاله)[(٢)].

والمراودة: مفاعلة من راد يرود: إذا جاء وذهب، والمعنى: خادعته ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: فعلت ما يفعله المخادع بصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التمحّل لمواقعته إيّاها.

و﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: أقبل وتعال، وقرئ: [هَيْتُ لَكَ - بضم التاء - و][(٣)] هِيتَ لَكَ - بكسر الهاء وفتح التاء - وهِئْتُ لَكَ - بالهمزة وضم التاء - بمعنى تهيأت لك. يقال: هاء يهيئ، واللام من صلة الفعل وأما في الأصوات فللبيان، كأنّه قيل: لك أقول هذا.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أعوذ بالله معاذاً.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن والحديث.

---

(١) ينظر: الأقوال في تفسير الطبري ج١٢: ١٠٥.

(٢) الكشاف ج٢: ٤٥٤.

(٣) ساقطة من ج.

﴿رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ مبتدأ وخبر، يريد قطفير حين قال لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ فليس جزاؤه أن أخلفه في أهله بسوء وأخونه.

وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

همّ بالأمر: إذا قصده وعزم عليه، والمعنى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ﴾ بمخالطته ﴿وَهَمَّ﴾ بمخالطتها.

﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابه محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربّه لخالطها، فحذف لأنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدلّ عليه، كقولك: هممت بقتله لولا أنّي خفت الله، معناه: لولا أنّي خفت الله لقتلته. والمراد في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: أنّ نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب ميلاً يشبه الهمّ بها والقصد إليها، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمّى همّاً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع، ولو كان همّه كهمّها لما مدحه الله بأنّه: ﴿مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وشارف أن يهمّ بها، كما يقول الرجل:

قتلته لو لم أخف الله. ومن حقّ القارئ أن يقف على ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ويبتدئ ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [ومن حقّ المفسّر أن يفسّر برهان ربّه](١).

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في محلّ النصب أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، أو في محلّ الرفع أي: الأمر مثل ذلك.

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ من خيانة السيّد ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ من الزنا ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾ المخلِصين الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح: الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ وتسابقا إلى الباب، على حذف الجار أو على تضمّنه معنى ابتدرا، ففرّ منها يوسف فأسرع يريد الباب البراني ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من خلفه فانقدّ، أي: انشق ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وصادفا بعلها وهو قطفير.

و﴿مَا﴾ نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن، أو استفهامية بمعنى: أي شيء جزاؤه إلا السجن؟ كما تقول: من في الدار إلا زيد؟. وقيل: العذاب الأليم: الضرب بالسياط(٢).

ولما عرضته للسجن والعذاب وأغرت به، وجب عليه الدفع عن النفس ف ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ ولولا ذلك لكتم عليها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ قيل: كان ابن عم لها وكان جالساً مع زوجها

---

(١) ساقطة من ج، ط.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٥: ٢١٤.

عند الباب[١]، وقيل: كان ابن خال لها صبياً في المهد[٢]. وسمّي قوله شهادة لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها.

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ يعني: قطفير، وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: إنّ قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أو إنّ هذا الأمر ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾، واستعظم كيد النساء لأنّهن ألطف مكيدة وأنفذ حيلة من الرجال.

﴿يُوسُفُ﴾ حذف منه حرف النداء لأنّه منادى قريب ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ الأمر واكتمه ولا تحدّث به.

﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ أنت ﴿لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ﴾ القوم المتعمّدين للذنب، يقال: خطئ إذا أذنب متعمداً.

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

---

(١) عن السدي. تاريخ الطبري ج١: ١٧٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج٥: ٢١٥.

﴿وَقَالَ﴾ جماعة من النساء، والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة، وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمّة، وفيه لغتان: كسر النون وضمها.

﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ في مصر.

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ يردن قطفير، والعزيز: الملك بلسان العرب.

﴿فَتَىٰهَا﴾ غلامها.

﴿شَغَفَهَا﴾ خرق حبّه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف: حجاب القلب، وروي عن أهل البيت عليهم السلام: شعفها ـ بالعين ـ من شعف البعير: إذا هنأه فأحرقه بالقطران، قال امرؤ القيس:

كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[1]

و﴿حُبًّا﴾ نصب على التمييز.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خطأ وبعد عن الصواب.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهن وتعييرهن وقولهن: امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ ما يتكئن عليه من نمارق، وقصدت بتلك الهيئة ـ وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن ـ أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقطعن أيديهن، وقيل: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ مجلس طعام[2]، لأنّهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين، وقيل: ﴿مُتَّكَـًٔا﴾

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٣٣، وفيه: أيقتلني أني شغفت فؤادها كما شغف...

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج١٢: ١١٩.

طعاماً يجزّ جزّاً[١]، أي: يعتمد بالسكين، لأنّ القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين.

﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الرائق. قيل: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدار كما يرى نور الشمس من الماء عليها[٢]، وقيل: ورث الجمال من جدته سارة[٣].

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها.

﴿حَـٰشَ﴾ كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاش زيد، فمعنى ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾: براءة الله وتنزيه الله من صفات العجز، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله، وأما قوله: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾[٤] فالتعجّب من قدرته على خلق عفيف مثله.

﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾ نفين عنه البشرية، لغرابة حاله في الحسن، وأثبتن له الملكية لما هو مركوز في الطباع أنّه لا أحسن من الملك.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ ولم تقل: فهذا وهو حاضر، رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحبّ ويفتتن به، أو تقول: هو ذلك العبد الذي صورتن في أنفسكن ثمّ لمتنني فيه، ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به.

﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: امتنع أشدّ امتناع كأنّه في عصمة، واجتهد في الاستزادة منها، ونحوه: استمسك. وفي هذا برهان قوي على أنّ يوسف بريء مما أضاف إليه الحشوية من همّ المعصية.

---

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج١٢: ١٢٠.

(٢) الدر المنثور ج٤: ١٧.

(٣) العرائس: ٦٨.

(٤) يوسف: ٥١.

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ الأصل: ما آمر به، فحذف الجار، كما في قولك: أمرتك الخير.

﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ليحبسن في السجن ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بالنون الخفيفة ولذلك كتبت في المصحف ألفاً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أي: أسهل عليّ ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ من الفاحشة، أو نزول السجن أحبّ إليّ من ركوب المعصية. روي: أنّ النسوة لما خرجن من عندها أرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سرّاً تسأله الزيارة[1]، وقيل: إنّهن قلن له: أطع مولاتك فإنّها مظلومة وأنت تظلمها[2]. وقرئ: السَّجْنُ ـ بالفتح ـ على المصدر.

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ فزع إلى ألطاف الله تعالى وعصمته كعادة الأنبياء والأولياء فيما وطّن عليه نفسه من الصبر.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إليهن ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الذين لا يعملون بما يعلمون، أو من السفهاء لأنّ الحكيم لا يفعل القبيح.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ الفاعل مضمر لدلالة ما يفسّره عليه وهو ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾، والمعنى: بدا لهم بداء، أي: ظهر لهم رأي ليسجننه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْءَايَٰتِ﴾ وهي الشواهد على براءته ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمان.

والضمير في ﴿لَهُم﴾ لـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ وأهله.

(١) عن الجبائي. التبيان ج٦: ١٣٥.

(٢) تفسير السمرقندي ج٢: ١٩١.

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ
وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ
نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا
طَعَامٞ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا
عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا
كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ
ءَأَرْبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءٗ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ
ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي: عبدان للملك ـ ملك مصر ـ مصاحبين له، لأنّ (مع) تدلّ على الصحبة. والفتيان: خباز الملك وشرابيه أدخلا السجن ساعة أدخل يوسف، نمى إلى الملك أنّهما يسمّانه.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ يعني: في المنام، وهي حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرٗا﴾ يعني: عنباً، تسمية للعنب بما يؤول إليه.

﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ من الذين يحسنون عبارة الرؤيا، أو من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بأن تفرّج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا. روي: أنّه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه، وإذا ضاق على أحد

منهم مكانه وسّع له، وإن احتاج جمع له[١]. وعن الشعبي: (أنّ الفتيين امتحناه، فقال الشرابي: إنّي أراني في بستان فإذا بأصل حبلة[٢] عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته، وقال الخباز: إنّي أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير ينهبن منها)[٣].

﴿نَبِّئۡنَا﴾ بتأويل ذلك.

ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان، ابتدأ فوصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب، وأنّه ينبّئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما، ويصفه لهما ويقول: اليوم ﴿يَأۡتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ بصفة كذا وكذا فيجدانه على ما أخبر به، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويقبح إليهما الشرك بالله.

﴿ذَٰلِكُمَا﴾ إشارة إلى التأويل، أي: ذلك التأويل والإخبار بالغائبات ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ وأوحى به إليّ، ولم أقله عن تكهن وتنجم.

﴿إِنِّي تَرَكۡتُ﴾ يجوز أن يكون استئناف كلام، وأن يكون تعليلاً لما قبله أي: علمني ربّي لأنّي تركت ﴿مِلَّةَ﴾ أولئك ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾ الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية، وذكر آباءه ليريهما أنّه من أهل بيت النبوّة ومعدن الوحي بعد أن عرّفهما أنّه نبيّ يوحى إليه، ليقوّي رغبتهما في الاستماع إليه.

﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ أي: ما صحّ لنا ـ معشر الأنبياء ـ الشرك ﴿بِٱللَّهِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التمسّك بالتوحيد ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ على الرسل

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٧٦.

(٢) الحبلة: القضيب من الكرم. (الصحاح: مادة حبل)

(٣) الكشاف ج٢: ٤٦٩.

وعلى المرسل إليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ﴾ المرسل إليهم ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ فضل الله فيشركون.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ يريد: يا صاحبيّ في السجن، فأضافهما إلى السجن، كقوله:

يَـا سَــارِقَ اللَّيْلَـةِ أَهْـلَ الـدَّارِ[1]

فكما أنّ الليلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنّما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام، ويجوز أن يريد: يا ساكني السجن، كقوله عزّ اسمه: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[2].

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ في العدد، أي: أأن يكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا ﴿خَيۡرٌ﴾ لكما ﴿أَمِ﴾ أن يكون لكما ربّ واحد قاهر لا يغالب ولا يشارك في الربوبية؟!. وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام.

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ﴾ فارغة سمّيتم بها، يقال: سمّيته بزيد وسمّيته زيداً ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بتسميتها ﴿مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: حجّة.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ﴾ في أمر الدين والعبادة ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾، ثمّ بين ما حكم الله فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾ الثابت بالدلائل.

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾

(١) خزانة الأدب ج٣: ١٠٨ دون نسبة، وكذا في المصادر المتوفرة.

(٢) الحشر: ٢٠.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ يعني: الشرابي ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ﴾ أي: سيّده.

﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: قطع وفرغ منه. وروي: أنّهما قالا: ما رأينا شيئاً، فأخبرهما أنّ ذلك كائن صدقتما أو كذبتما(١).

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظن هنا بمعنى العلم، كما في قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾(٢).

﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ صفني عند الملك بصفتي وأخبره بحالي وأنّي حبست ظلماً، فأنسى الشرابي ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ أن يذكره لربّه، وقيل: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه في تلك الحال حين وكل أمره إلى غيره حتى استغاث بمخلوق(٣).

والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع. وأصحّ الأقوال: أنّه لبث في السجن سبع سنين.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ
أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ
أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٧٦.

(٢) الحاقة: ٢٠.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٢: ١٣٣.

وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ
وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي
سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ
يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾

قرأ الصادق عليه السلام: وسبع سنابل... يأكلن ما قرّبتم لهن.

لما دنا فرج يوسف من الحبس رأى الملك ـ وهو الريان بن الوليد ـ رؤيا هالته: رأى ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ خرجن من نهر يابس، و﴿سَبۡعٌ﴾ بقرات ﴿عِجَافٞ﴾ فأكلت العجاف السمان، ورأى ﴿سَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ قد انعقد حبّها، وسبعاً ﴿أُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ قد استحصدت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها.

فجمع الأشراف والكهان وقصّ رؤياه عليهم وقال ﴿ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ أي: عبّروا ما رأيت في منامي ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ أي: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا، وحقيقة عبرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها، كما تقول: عبرت النهر: إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه.

وأما اللام في قوله: ﴿لِلرُّءۡيَا﴾ إما أن تكون للبيان كقوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾(١)، وإما أن تدخل لأنّ المعمول إذا تقدّم على عامله لم يقو على العمل، فعضد باللام كما يعضد به اسم الفاعل إذا قيل: هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن

---

(١) يوسف: ٢٠.

الفعل في القوة، ويجوز أن يكون ﴿لِلرُّءْيَا﴾ خبر كان، كما تقول: كان فلان لهذا الأمر: إذا كان مستقلاً به متمكّناً منه.

و﴿تَعْبُرُونَ﴾ خبر بعد خبر، أو حال.

والسبب في وقوع ﴿عِجَافٌ﴾ جمعاً لعجفاء ـ وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال ـ حمله على ﴿سِمَانٍ﴾ لأنّه نقيضه، وهم يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض.

﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ أي: وسبعاً أخر.

و﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من وسوسة أو حديث نفس، وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم، والواحد ضغث، والإضافة بمعنى (من)، أي: أضغاث من أحلام، والمعنى: هي أضغاث أحلام.

﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا﴾ أي: بعد مدة طويلة.

﴿أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾ أنا أخبركم به عمن عنده علمه.

﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ فابعثوني إليه لأسأله ومروني باستعباره، فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أيّها البليغ في الصدق، وإنّما قاله لأنّه تعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه، ولذلك كلّمه كلام محترز فقال: ﴿لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لأنّه ليس على يقين من الرجوع فربّما اخترم دونه، ولا من علمهم فربّما لم يعلموا.

ومعنى ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك من حبسك، وعن ابن عباس: (لم يكن السجن في

المدينة)[(١)].

﴿تَزْرَعُونَ﴾ خبر في معنى الأمر، كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾[(٢)]، ويدلّ عليه قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾.

قرئ: ﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدرا دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي: دائبين: إما على تدأبون دأباً، وإما على إيقاع ﴿دَأَبًا﴾ بمعنى: ذوي دأب.

﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلا يتسوس.

و﴿يَأْكُلْنَ﴾ من الإسناد المجازي: جعل أكل أهلهن مسنداً إليهن.

﴿تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون وتخبؤون.

﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾ من الغوث أو من الغيث، يقال: غيثت البلاد: إذا مطرت، ومنه قول الأعرابية: غثنا ما شئنا.

﴿يَعْصِرُونَ﴾ العنب والسمسم. وقرئ: يعصرون من عصره: إذا أنجاه، وقيل: معناه: يمطرون[(٣)]. تأوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثمّ بشّرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأنّ العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً كثير الخير، وذلك من جهة الوحي.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ
مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا

---

(١) تفسير الطبري ج١٢: ١٣٦.

(٢) الصف: ١١.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج٢: ١٨٠.

خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ
مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ
وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

تأنّى عليه السلام وتثبّت في إجابة الملك، وقدّم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما اتهم به وحبس لأجله، ومن كرمه عليه السلام وحسن أدبه أنّه لم يذكر امرأة العزيز مع ما صنعت به من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر ﴿ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ ما شأنكن ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟.

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تعجباً من عفته ونزاهته عن الريبة.

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ثبت الحقّ واستقر، وهو من حصحص البعير: إذا ألقى ثفناته للإناخة، ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن بأنّه لم يفعل شيئاً مما قرفنه[1] به لأنّهن خصومه، وإذا اعترف الخصم بأنّ صاحبه على الحقّ وهو على الباطل لم يبق لأحد كلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك التشمر والتثبّت ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾ بظهر الغيب في حرمته، وقوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في محلّ النصب على الحال من الفاعل أو المفعول، بمعنى: وأنا غائب عنه أو هو غائب عني وليعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ أي: لا ينفذه ولا يسدده.

---

(١) قرفنه: رمينه واتهمنه. (الصحاح: مادة قرف)

ثمّ تواضع لله وبين أنّ ما فيه من الأمانة إنّما هو بتوفيق الله وعصمته، فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ من الزلل.

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أراد الجنس ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [إلا البعض الذي رحمه ربّي][1] بالعصمة، ويجوز أن يكون بمعنى الزمان، أي: وقت رحمة ربّي، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز[2]، أي: ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أنّي لم أكذب عليه في حال الغيبة وصدقت فيما سئلت عنه، وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإنّي خنته حين قذفته وسجنته، تريد الاعتذار مما كان منها. [والوجه الأخير أجود عندي][3].

وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ﴾ وأستخصّه متقاربان، والمعنى: إنّه جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به يرجع إليه في تدبيره.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ وعرف فضله وأمانته، لأنّه استدلّ بكلامه على عقله، وبعفته على أمانته.

﴿قَالَ إِنَّكَ﴾ أيّها الصدّيق ﴿ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿أَمِينٞ﴾

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) تفسير القمي ج١: ٣٤٦.

(٣) ساقطة من ب، ج، ط.

مؤتمن على كل شيء. ثمّ قال: أيّها الصدّيق، إنّي أحبّ أن أسمع رؤياي منك، قال: نعم أيّها الملك رأيت سبع بقرات، فوصف لونهن وأحوالهن ووصف السنابل على الهيئة التي رآها، ثمّ قال له: من حقّك أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتبني الأهراء[1] فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك، ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك، فقال الملك: من لي بهذا؟ فقال ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ولّني خزائن أرضك ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لما استودعتني أحفظه عن أن تجري فيه خيانة ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجوه التصرّف.

وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين يطلبهما الملوك ممن يولونه، وإنّما طلب يوسف عليه السلام الولاية ليتوصل بذلك إلى إمضاء أحكام الله وبسط العدل، ووضع الحقوق مواضعها، ويتمكّن من الأمور التي كانت مفوّضة إليه من حيث كان نبيّاً إماماً، ولعلمه أنّ غيره لا يقوم في ذلك مقامه. وفي ذلك دلالة على جواز تولي القضاء من جهة السلطان الجائر إذا كان فيه تمكّن من إقامة الحقّ وتنفيذ أحكام الدين، وقيل: إنّ الملك كان يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك التمكين الظاهر ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي﴾ أرض مصر.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ أي: كل مكان أراد أن يتخذه منزلاً ومتبوءاً لم يمتنع منه لاستيلائه على جميعها. وقرئ: نشاء ـ بالنون ـ.

﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا﴾ بعطائنا في الدنيا والدين ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ

---

(١) الأهراء: جمع الهريّ، وهو البيت الضخم لطعام السلطان. العين ج٤: ٨٤.

(٢) الكشف والبيان ج٥: ٢٣٢.

﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ في الدنيا.

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ لهم.

وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾

لما تمكّن يوسف بمصر وقحط الناس جمع يعقوب بنيه وقال: بلغني أنّه يباع الطعام بمصر وأنّ صاحبه رجل صالح، فاذهبوا إليه، فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر ﴿فَدَخَلُواْ﴾ على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمۡ﴾ لأنّ همّته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لم يعرفوه لطول العهد، ولاعتقادهم أنّه قد هلك.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ أي: أصلحهم بعدّتهم وأوقر ركائبهم بما طلبوه من الميرة ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ﴾.

لابد من مقدّمة سبقت معهم حتى جرت هذه المسألة. روي: أنّه لما رآهم قال: من أنتم؟ قالوا: نحن إخوة عشرة وأبونا نبيّ من الأنبياء اسمه: يعقوب، وكنا اثنا عشر إخوة فهلك منا واحد، قال: فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿ٱئۡتُونِي﴾ به ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ ولا أبخس أحداً شيئاً ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ المضيفين.

﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ﴾ فليس ﴿لَكُمۡ عِندِي﴾ طعام أكيله عليكم.

وقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾ يجوز أن يكون مجزوماً عطفاً على محلّ قوله: ﴿فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ﴾ كأنّه قال: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، ويجوز أن يكون بمعنى النهي.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ لقادرون على ذلك.

وقال لفتيته، وقرئ: لفتيانه، وهما: جمع فتى، مثل إخوة وإخوان في جمع أخ، وفعلة: جمع القلة، وفعلان: جمع الكثرة، أي: لغلمانه الكيالين ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ يعني: ثمن طعامهم وما كانوا جاؤوا به في أوعيتهم، واحدها رحل، يقال للوعاء: رحل، وللمسكن: رحل، [وللدابة رحل][١] وأصله: الشيء المعدّ للرحيل.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ﴾ لعلهم يعرفون حقّ ردها وحقّ التكرم بإعطاء البدلين.

﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ وفرغوا ظروفهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، قيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً[٢].

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ
مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ
عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ

---

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) الكشف والبيان ج٥: ٢٣٦.

وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ
رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ
وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيْلٞ يَسِيرٞ
﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾

﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ أرادوا قول يوسف: ﴿لَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ لأنّه إذا أعلمهم بمنع الكيل فقد منعهم الكيل.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلْ﴾ برفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه من الطعام. وقرئ: يكتل ـ بالياء ـ أي: يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا، أو يكن سبباً للاكتيال.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾ أي: لا آمنكم على بنيامين في الذهاب به ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف إذ قلتم فيه: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] كما تقولونه في أخيه ثمّ لم تفوا بضمانكم.

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم. و﴿حَٰفِظًا﴾ نصب على التمييز كقولهم: لله درّه فارساً. ويجوز أن يكون حالاً. وقرئ: حِفْظاً.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يرحم ضعفي وكبر سني، فيحفظه ويردّه عليّ ولا يجمع عليّ مصيبتين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ أي: أوعية طعامهم ﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ

---

(١) يوسف: ١٢.

﴿إِلَيۡهِمۡ﴾، وقرأ يحيى بن وثاب[1]: رِدَّتْ ـ بكسر الراء ـ على أنّ كسر الدال المدغمة نقلت إلى الراء.

﴿مَا نَبۡغِي﴾: ﴿مَا﴾ للنفي، أي: ما نبغي في القول، أو ما نبتغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان والإكرام، أو للاستفهام بمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا من الإحسان؟ وقيل: معناه: ما نريد منك بضاعة أخرى.

وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾ جملة مستأنفة موضحة لقوله: ﴿مَا نَبۡغِي﴾ والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى: أنّ بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها.

﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ فما يصيبه شيء مما تخافه ﴿وَنَزۡدَادُ﴾ باستحضار أخينا وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا، فأي شيء نطلب وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا؟.

﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ أي: ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون: ما يكال لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كيل بعير، أي: ذلك الكيل شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك، أو سهل عليه لا يتعاظمه.

﴿حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ﴾ أي: تعطوني ما أتوثق به ﴿مِّنَ﴾ عند ﴿ٱللَّهِ﴾ من عهد أو حلف.

﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جواب القسم، لأنّ المعنى: حتى تقسموا بالله لتأتنني به.

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ إلا أن تغلبوا فلم تقدروا على الإتيان به، أو إلا أن تهلكوا.

---

(١) يحيى بن وثاب الاسدي مولاهم الكوفي، تابعي من العبّاد، كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، مات سنة ١٠٣هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج٢: ٣٨٠.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ أي: أعطوه ما يوثق به من العهود والأيمان.

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ أي: رقيب مطلع، إن أخلفتم انتصف لي منكم.

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾

نهاهم أن يدخلوا ﴿مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ لأنّهم كانوا ذوي جمال وبهاء وهيئة حسنة، وقد شهروا في مصر بالقربة من الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فخاف عليهم العين.

﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ يعني: إن أراد الله بكم سوءاً، لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرّق، وهو مصيبكم لا محالة ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ أي: متفرّقين.

﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم﴾ رأي يعقوب ودخولهم متفرّقين شيئاً قط.

﴿إِلَّا حَاجَةٗ﴾ استثناء منقطع على معنى: ولكن حاجة ﴿فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهي إظهار الشفقة عليهم بما قاله لهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ﴾ أي: إنّه لذو يقين ومعرفة بالله.

﴿لِمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: من أجل تعليمنا إيّاه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ أي: ضمّ إليه ﴿أَخَاهُ﴾ بنيامين. روي: أنّهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به، فقال: أحسنتم، فأنزلهم وأكرمهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده، فأجلسه معه على مائدته وقال له: أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك؟! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى، فإنّ الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا، ولا تعلمهم بما أعلمتك(١).

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ٢٣٨.

و﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها وهي الصواع، قيل: كان يسقى بها الملك ثمّ جعلت صاعاً يكال به وكانت من فضة مموهة بالذهب[١]، وقيل: كانت من ذهب مرصعة بالجواهر[٢].

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ ثمّ نادى مناد، يقال: آذن: أعلم، وأذّن: أكثر الإعلام، و﴿ٱلْعِيرُ﴾: الإبل التي عليها الأحمال لأنّها تعير، أي: تجيء وتذهب، وقيل: هي قافلة الحمير[٣] ثمّ كثر حتى قيل لكل قافلة: عير. والمراد: أصحاب العير كقوله: يا خيل الله اركبي.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي: قال المنادي: من ﴿جَآءَ﴾ بالصواع فله ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠﴾ بذلك كفيل: ضامن أؤديه إليه.

﴿تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم.

وإنّما قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾ فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم وحسن سيرتهم في معاملتهم معهم مرة بعد أخرى، ولأنّهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكون وضع ذلك بغير إذن العزيز ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ وما كنا موصوفين بالسرقة قط.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الهاء للصواع، أي: فما جزاء سرقته ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في ادعائكم البراءة منه؟.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: جزاء سرقته أخذ ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ﴾، وكانت السُّنّة في بني إسرائيل أن يسترق السارق سنة فلذلك استفتوا في جزائه.

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٨١.

(٢) العرائس: ٨٢.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٣: ١٢.

وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥ﴾ معناه: فهو جزاؤه لا غير، كقولك: حقّ فلان أن يكرم وينعم عليه فذلك حقّه، أي: فهو حقّه، ويجوز أن يكون ﴿جَزَآؤُهُۥ﴾ مبتدأ والجملة الشرطية خبره، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع ﴿جَزَآؤُهُۥ﴾ موضع (هو) إقامة للظاهر مقام المضمر.

﴿فَبَدَأَ﴾ بتفتيش أوعيتهم ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين لنفي التهمة ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن﴾ وعائه. والصواع يذكّر ويؤنث.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الكيد العظيم ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يعني: علّمناه إيّاه وأوحينا به إليه.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ هذا تفسير للكيد وبيان له، لأنّه كان في دين ملك مصر وحكمه في السارق أن يضرب ويغرم مثل ما أخذ لا أن يستعبد.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه. وقرئ: يرفع ـ بالياء ـ ودرجات ـ بالتنوين ـ.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أرفع درجة منه في علمه حتى ينتهي إلى الله تعالى العالم لذاته، فلا يختص بمعلوم دون معلوم فيقف عليه ولا يتعداه.

قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا
يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا
شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ

إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ
كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ
ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ
لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

﴿أَخٌ لَّهُۥ﴾ عنوا به يوسف، واختلف فيما أضافوه إلى يوسف من السرقة، وأصحّ الأقوال فيه: أنّ عمّته كانت تحضنه بعد وفاة أمه وتحبّه حبّاً شديداً، فلما ترعرع أراد يعقوب استرداده منها، وكانت منطقة إسحاق عندها لكونها أكبر ولده وكانوا يتوارثونها بالكبر، فعمدت إلى المنطقة وشدّتها على يوسف تحت ثيابه وادّعت أنّه سرقها، فحبسته بذلك السبب عندها[١].

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ﴾ هذا إضمار قبل الذكر على شريطة التفسير، وتفسيره: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فكأنّه قال: فأسرّ الجملة أو الكلمة التي هي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، والمعنى: قال في نفسه: أنتم شرّ مكاناً، لأنّ قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ بدل من ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ أي: أنتم شرّ منزلة في السرقة، لأنّكم سرقتم أخاكم من أبيكم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ يعلم أنّه ليس الأمر كما تصفون، ولم يصحّ لي ولا لأخي سرقة.

ثمّ رفقوا في القول واستعطفوه بذكر أبيهم يعقوب، وأنّه شيخ كبير السن أو كبير القدر، وأنّ بنيامين أحبّ إليه منهم ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ أي: بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا فأتمم إحسانك،

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٧٠. تفسير العياشي ج٢: ١٨٥.

أو اجر على عادتك في الإحسان فإنّه عادتك.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ هو كلام موجه ظاهره: أنّه يجب أخذ من وجد الصواع في رحله على مقتضى فتياكم، فلو أخذنا غيره كان ظلماً عندكم فلا تطلبوا مني ما تعرفون أنه ظلم، وباطنه: أنّ الله تعالى أمرني بأخذ بنيامين واحتباسه لمصالح علمها في ذلك، فلو أخذت غيره كنت ظالماً عاملاً بخلاف ما أمرت به. ومعنى ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ﴾: نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ.

و﴿إِذًا﴾ جواب لهم وجزاء، لأنّ المعنى: إن نأخذ بدله ظلمنا.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾ يئسوا ﴿خَلَصُواْ﴾ أي: اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يشوبهم سواهم.

﴿نَجِيًّا﴾ ذوي نجوى، فيكون النجي مصدراً بمعنى التناجي، كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾[(١)] تنزيلاً للمصدر منزلة الوصف، أو قوماً نجياً أي: مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً، فيكون مثل العشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[(٢)]. وكان تناجيهم في تدبير أمرهم: أيرجعون أم يقيمون، وإذا رجعوا فماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ في السن وهو روبيل، وقيل: رئيسهم وهو شمعون[(٣)]، وقيل: كبيرهم في الرأي والعقل وهو يهوذا أو لاوي[(٤)].

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ذكّرهم الوثيقة التي

---

(١) الإسراء: ٤٧.

(٢) مريم: ٥٢.

(٣) عن مجاهد. معالم التنزيل ج٢: ١٦٣.

(٤) عن الكلبي ومحمّد بن اسحاق. الكشف والبيان ج٥: ٢٤٥.

أخذها عليهم يعقوب.

﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾ فيه وجوه:

أن تكون ﴿مَا﴾ مزيدة، أي: ومن قبل هذا قصّرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم.

وأن تكون مصدرية على أن تكون مبتدأ و﴿مِن قَبۡلُ﴾ خبره، أي: وقع من قبل تفريطكم في يوسف، أو يكون في محلّ نصب عطفاً على مفعول ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقاً عليكم وتفريطكم من قبل في يوسف؟.

وأن تكون موصولة بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدّمتموه في حقّ يوسف من الخيانة العظيمة، ومحلّه الرفع أو النصب على الوجهين.

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الانصراف إليه ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخي، أو بخلاصه من يده.

ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا
شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ
ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ
﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ
عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ
كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ
حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي

وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَمَا شَهِدْنَآ ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ في الظاهر أنّ الصواع استخرج من وعائه.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ ﴾ أي: للأمر الخفي ﴿حَٰفِظِينَ﴾ ولم نشعر أسرق أم دسّ الصاع في رحله.

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصّة ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: أصحاب العير. والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له: ما قال أخوهم.

فقال ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه، وإلا فما أدرى ذلك الرجل أنّ السارق يؤخذ بسرقته لولا تعليمكم.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي لم يبتلني إلا لحكمة ومصلحة.

﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ وأعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ كراهة لما جاؤوا به.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾ أضاف الأسف إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والأسف: أشدّ الحزن والحسرة، وتأسفه ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ دون غيره دليل على أنّه لم يقع فائت عنده موقعه، وأنّ الرزء فيه كان عنده غضاً طرياً مع طول العهد.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ والبكاء حتى أشرف على العمى فكان لا

يرى إلا رؤية ضعيفة، وقيل: إنّه عمي[(١)].

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: مملوّ من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسؤهم.

﴿تَفۡتَؤُاْ ﴾ أي: لا تفتؤ، حذف حرف النفي لأنّه لا يلتبس بالإثبات لأنّه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون، ونحوه:

فَقُلْـتُ يَمِـينَ اللهِ أَبْـرَحُ قَاعِـداً[(٢)]

ومعنى لا تفتؤ: لا تزال، كما يقال: ما فتئ يفعل كذا.

﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: مشفياً على الهلاك، وأحرضه المرض، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنّه مصدر، والصفة حرض، ومثله: دنف ودنف.

البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس، أي: ينشره.

و﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ ﴾ معناه: لا أشكو إلى أحد وإنّما أشكو ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ ﴾ من صنع ﴿ٱللَّهِ ﴾ ورحمته ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ وحسن ظني به أنّه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب. وروي: أنّه رأى ملك الموتعليه السلام فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا، فعلم أنّه حيّ[(٣)].

فقال: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ أي: فتعرّفوا منهما وتطلّبوا خبرهما، وهو تفعّل من الإحساس وهو المعرفة.

---

(١) تفسير القمي ج١: ٣٢٧.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٣٢، وبقيته: ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.

(٣) تفسير العياشي ج٢: ١٩٠، الدر المنثور ج٤: ٣٢.

﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ من فرجه وتنفيسه، وقيل: من رحمته(١).

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لأنّ المؤمن من الله على خير، يرجوه عند البلاء، ويشكره في الرخاء.

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا
بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي
ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ
أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ
وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ
تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١
قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ
أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣

﴿ٱلضُّرُّ﴾ الهزال من الجوع والشدّة، شكوا إلى يوسف ما نالهم من القحط وهلاك المواشي.

والبضاعة المزجاة: المدفوعة، يدفعها كل تاجر رغبة عنها وتحقيراً لها، من أزجيته: إذا دفعته وطردته، قيل: كانت من متاع الأعراب: الصوف والسمن(٢)، وقيل: كانت دراهم زيوفاً لا تنفق في ثمن الطعام(٣).

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٣: ٣٣.

(٢) عن عبد الله بن الحارث. تفسير الطبري ج١٣: ٣٤.

(٣) عن عكرمة الدر المنثور ج٤: ٣٣.

﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ كما كنت توفيه في السنين الماضية.

﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾ وتفضّل علينا بالمسامحة، وزدنا على حقّنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ يثيبهم على صدقاتهم بأفضل منها.

فرقّ يوسف لهم ولم يتمالك أن عرّفهم نفسه، و﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم﴾ استفهم عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، أي: هل علمتم قبح ﴿مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه؟ لأنّ علم القبح يجر إلى التوبة. وكان كلامه شفقة عليهم ونصحاً لهم في الدين، إيثاراً لحقّ الله على حقّ نفسه في ذلك المقام الذي ينفث فيه المصدور ويتشفى المحنق المغيظ. وقيل: معناه: إذ أنتم صبيان أو شبان حين يغلب على الإنسان الجهل[١].

وقرئ: ﴿أَءِنَّكَ﴾ على الاستفهام، وإنّك على الإيجاب، قيل: إنّه تبسّم فأبصروا ثناياه فعرفوه وكانت كاللؤلؤ المنظوم[٢]، وقيل: رفع التاج عن رأسه فعرفوه[٣].

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ من يخف الله وعقابه ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ عن المعصية وعلى الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾ أجرهم، فوضع ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ موضع الضمير، لاشتماله على المتقين والصابرين.

﴿لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ أي: فضّلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين، وإنّ شأننا وحالنا أنّا ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ متعمّدين للإثم، لا جرم

(١) عن الحسن. معالم التنزيل ج٢: ١٦٥.

(٢) عن ابن عباس برواية الضحاك. معالم التنزيل ج٢: ١٦٦.

(٣) عن ابن عباس برواية عطاء. معالم التنزيل ج٢: ١٦٦.

أنّ الله أعزّك وأذلنا.

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ لا عتب ولا تعيير ولا تأنيب عليكم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: لا أثربكم اليوم فيما فعلتم ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، دعا لهم بالمغفرة لما فرط منهم.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾، قيل: إنّه القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنّة[1].

﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أي: يرجع بصيراً، أو يأت إليّ وهو بصير، وينصره قوله: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ليأتيني أبي وآله جميعاً.

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ
﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا
اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

﴿وَلَمَّا﴾ خرجت القافلة وانفصلت ﴿الْعِيرُ﴾ من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب لولد ولده ومن حوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله تعالى ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان أو عشر.

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تنسبوني إلى الفند وهو الخرف، والمعنى: لولا تفنيدكم إيّاي لصدّقتموني.

---

(١) تفسير القمي ج١: ٣٥٥، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٣٤.

﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: في ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبّتك ليوسف ورجائك للقائه، وكان عندهم أنّه قد مات.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ﴾ يعني: القميص، طرحه ﴿عَلَىٰ﴾ وجه يعقوب، أو ألقاه يعقوب.

﴿فَٱرْتَدَّ﴾ فرجع ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني قوله: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾[١].

وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ويجوز أيضاً أن يكون واقعاً عليه.

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: إنّه أخّر الاستغفار إلى وقت السحر[٢]، لأنّه أقرب إلى إجابة الدعاء، وقيل: إلى سحر ليلة الجمعة[٣].

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ
سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ
وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ
بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى
مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ

---

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ٤٢.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج٢: ١٩٦، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٣٦.

أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

معنى دخولهم ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قبل دخولهم مصر: أنّهم حين استقبلهم يوسف كأنّه نزل لهم في بيت أو مضرب هناك، فدخلوا عليه وضم ﴿إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ ثمّ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وتعلّقت المشيئة بالدخول مقيداً بالأمن، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتموه آمنين، ثمّ حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه، ثمّ اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال. وقوله: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ معناه: ضمهما إليه واعتنقهما.

ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما ﴿عَلَى﴾ السرير ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ﴾ يعني: الإخوة الأحد عشر ﴿سُجَّدًا﴾ وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، وقيل: معناه: خرّ إخوته وأبواه لأجله سجداً لله شكراً(١)، ويعضده ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قرأ: وَخَرُّوا للهِ سَاجِدِينَ.

﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ يقال: أحسن به وإليه، وأساء به وإليه، قال:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ(٢)

و﴿ٱلۡبَدۡوِ﴾ البادية، وهم كانوا أهل بادية وأصحاب مواشي، ينتقلون في المياه والمناجع.

﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ أي: أفسد بيننا وحرش.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ في تدبير عباده يسهل لهم العسير، وبلطفه اجتمعنا.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ٤٤. تفسير العياشي ج٢: ١٩٧.

(٢) ديوان كثير: ١٠١.

وروي: أنّ يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثمّ مات ودفن بالشام عن وصية منه بذلك(١)، وقيل: إنّه عاش مع يوسف حولين(٢)، وعاش يوسف بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمره وعلم أنّه لا يدوم ملكه طلبت نفسه الملك الدائم الذي لا يفنى، فتمنّى الموت وما تمنّاه نبيّ قبله ولا بعده، فتوفّاه الله طيباً طاهراً.

و﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ و﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ للتبعيض، لأنّه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر، وبعض التأويل.

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين، وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي.

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وصف لقوله: ﴿رَبِّ﴾ أو نصب على النداء ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي، أو على العموم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وهو مبتدأ، و﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبران، والمعنى: إنّ هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي، لأنّك لم تحضر بني يعقوب حين ﴿أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف، ويبغون له الغوائل حتى ألقوه في الجب.

وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(١) العرائس: ٨٧.

(٢) عن الباقر عليه السلام. تفسير العياشي ج٢: ١٩٨.

﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ
وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿وَمَا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ يريد العموم، وعن ابن عباس: (يريد أهل مكة)[١]، أي: وما هم بمؤمنين ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم، لعنادهم وتصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة أجراً فيصدهم ذلك عن الإيمان.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة من الله تعالى ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عامة، يعني: القرآن.

وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: علامة ودلالة على توحيد الله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ ويشاهدونها وهم معرضون عنها، لا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم﴾ في إقرارهم ﴿بِٱللَّهِ﴾ وبأنّه خلقهم وخلق السماوات والأرض ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ بعبادة الأوثان، يريد: مشركي قريش، وقيل: هم الذين يشبهون الله بخلقه[٢]، [وقيل: هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان[٣]][٤]. وعن الباقر عليه السلام: ((إنّه شرك الطاعة لا شرك العبادة))[٥]، أطاعوا

---

(١) الكشاف ج٢: ٥٠٨.

(٢) عن السدي. تفسير الماوردي ج٣: ٨٧.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٣: ٥١.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) تفسير العياشي ج٢: ١٩٩.

الشيطان في ارتكاب المعاصي.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ﴾ أي: نقمة تغشاهم، وعذاب يغمرهم.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، ثمّ فسّر سبيله بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو إلى دينه مع حجّة واضحة، و﴿أَنَا۠﴾: تأكيد للضمير المستكن في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾، و﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ عطف عليه، أي: أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني؛ ويجوز أن يكون ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حالاً من ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ عاملة الرفع في ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ وأنزّه الله من الشركاء.

﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ لا ملائكة، وقرئ: ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ بالنون.

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ لأنّهم أعلم وأحلم، وأهل البوادي أهل الجفاء والقسوة.

﴿وَلَدَارُ﴾ الساعة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، أو الحالة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ أي: خافوا الله فلم يشركوا به.

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

هنا حذف دلّ الكلام عليه، كأنّه قيل: وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً قد تأخّر نصرنا إيّاهم كما أخّرناه عن هذه الأمم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ استيأسوا عن النصر ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ أي: فظن

﴿ٱلرُّسُلُ﴾ أنّهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم، وقرئ: كذبوا ـ بالتخفيف ـ وهو قراءة أئمّة الهدى عليهم السلام. ومعناه: وظن المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصرة الله إيّاهم، جاء الرسل ﴿نَصۡرُنَا﴾ بإرسال العذاب على الكفار، فننجي ﴿مَن نَّشَآءُ﴾ أي: نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله، وقرئ: ﴿فَنُجِّيَ﴾ بالتشديد على لفظ الماضي المبني للمفعول.

والمراد بـ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: المؤمنون، ويبين ذلك قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

الضمير في ﴿قَصَصِهِمۡ﴾ راجع إلى يوسف وإخوته.

﴿عِبۡرَةٞ﴾ أي: اعتبار للعقلاء، فإنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خالط أهله، ثمّ حدّثهم به في حسن نظمه ومعانيه بحيث لم يردّ عليه أحد من ذلك شيئاً، وفيه أوضح برهان على صحّة نبوّته.

﴿مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ أي: يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: قبله من الكتب السماوية ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدٗى﴾ ودلالة ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماً وعملاً.

سورة الرعد

مختلف فيها، وهي خمس وأربعون آية بصري، وثلاث كوفي، عدّ غير الكوفي ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، ﴿الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الرعد) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة، وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من أكثر قراءة (الرعد) لم يصبه الله بصاعقة أبداً، وأدخل الجنّة بغير حساب))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى
ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ٢٦٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٦.

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبره.

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن كله هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا مزيد عليه.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى رَفَعَ﴾ خبره، بدليل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، ويجوز أن يكون صفة وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ خبراً بعد خبر.

﴿تَرَوْنَهَا﴾ كلام مستأنف بمعنى: وأنتم ترونها كذلك، ليس دونها دعامة ولا فوقها علاقة، وقيل: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لـ﴿عَمَدٍ﴾، وقرئ: عُمُد ـ بضمتين ـ يعني: بغير عمد مرئية، وإنّما تعمّدها قدرة الله عزّ وجل.

﴿يُدَبِّرُ﴾ أمر ملكوته وأمور خلقه على الوجه الذي توجبه الحكمة.

﴿يُفَصِّلُ﴾ آياته في كتبه المنزلة لعلكم ﴿تُوقِنُونَ﴾ بالجزاء، وبأنّ هذا المدبّر المفصّل قادر على البعث والنشور، ولابد لكم من الرجوع إليه.

﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها طولاً وعرضاً ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: خلق فيها من جميع أنواعها زوجين زوجين: أسود وأبيض وحلواً وحامضاً ورطباً ويابساً، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يلبس ظلمة الليل ضياء النهار فيصير مظلماً بعد أن كان مضيئاً.

وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ
صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن
تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾

﴿قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة: طيبة إلى سبخة، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع والشجر إلى أخرى على عكسها، مع انتظام جميعها في جنس الأرضية، وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى ﴿بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾، وتراها متغايرة الثمار في الأشكال والهيئات والطعوم والروائح، متفاضلة فيها.

و﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ دلالة على صنع القادر العالم الموقع أفعاله على وجه دون وجه. وقرئ: وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ـ بالجر ـ عطفاً على أعناب. والصنوان: جمع صنو، وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد، وقرئ بضم الصاد وكسرها وهما لغتان، وقرئ: يسقى بالتاء والياء، وقرئ: نفضل بالنون والياء ﴿فِي ٱلۡأُكُلِ﴾ بضم الكاف وسكونها.

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يا محمّد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجب حقيق بأن يتعجب منه، لأنّ من قدر على إنشاء ما عدّد عليك من الصنائع العجيبة والفطر البديعة كانت الإعادة أهون عليه.

﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ إلى آخر قولهم، يجوز أن يكون [في محلّ الرفع بدلاً من ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾، وأن يكون][1] في محلّ نصب بالقول، و(إذا) نصب بما دلّ عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ فكأنّه قيل: أنبعث إذا متنا وكنا تراباً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أولئك المتمادون في كفرهم الكاملون فيه.

---

(١) ساقطة من أ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ﴾ وصف لهم بالإصرار، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾[1]، وكقول الشاعر:

لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلالٌ وَأَقْيَادُ[2]

أو هو من جملة الوعيد.

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن
قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ
عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧ ٱللَّهُ
يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ
وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن
جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ لَهُۥ
مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ
سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١

﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ بالعذاب والنقمة قبل الرحمة، بالعافية والإحسان إليهم بالإمهال. وذلك أنّهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب.

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ﴾ أي: وقد مضت ﴿مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، وسمّيت العقوبة مثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من

(١) يس: ٨.

(٢) ديوان الأفوه الأودي: ٦٧، وصدره: كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر.

المماثلة، وجزاء السيئة سيئة مثلها، ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه، والمثال: القصاص.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، ومحلّه النصب على الحال، بمعنى: ظالمين لأنفسهم. وعن سعيد بن المسيب[1]: (لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: ((لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش، ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل أحد)))[2].

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عناداً، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى، فقيل: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمّد ﴿مُنذِرٌ﴾ مخوّف لهم من سوء العاقبة، وما عليك إلا الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول منذر، والآيات كلها متساوية في حصول صحّة الدعوى بها.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وبآية خصّ بها، ولم يجعل الأنبياء شرعاً سواء في الآيات والمعجزات.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ ﴿مَا﴾ إما موصولة [في ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ و﴿مَا تَغِيضُ﴾ و﴿مَا تَزْدَادُ﴾، وإما مصدرية، فإن كانت موصولة][3] فالمعنى: إنّه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو، من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وغير ذلك من الصفات، ويعلم ﴿مَا﴾ تغيضه ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي: تنقصه، يقال: غاض الماء

---

(١) أبو محمّد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي، من كبار التابعين، ولد في زمن عمر، وتوفي بالمدينة سنة ٩١هـ على قول. ينظر: وفيات الأعيان ج٢: ١١٧، معجم رجال الحديث ج٨: ١٣٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج١٠: ٣٢٧٣.

(٣) ساقطة من ج.

وغضته أنا، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي: تأخذه زائداً، ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد، فإنّ الرحم يشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأكثر، ومنه حدّ الولد في أن يكون تاماً ومخدجاً، ومنه مدة الولادة.

وإن كانت مصدرية فالمعنى: إنّه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أن يكون الفعلان غير متعدّيين، ويعضده قول الحسن: (الغيضوضة: أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد: أن تزيد على تسعة أشهر)[1]، وعنه: (الغيض: أن يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام)[2].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ مقدّر وحدّ لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه.

﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ المستعلي عل كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المخلوقين.

﴿وَسَارِبٌ﴾ أي: ذاهب في سربه ـ بالفتح ـ أي: في طريقه ومذهبه، يقال: سرب في الأرض سروباً، والمعنى: سواء عنده من استخفى أي: طلب الخفاء في مختبأ ﴿بِٱلَّيْلِ﴾ في ظلمته، ومن يضطرب في كل وجه ظاهراً ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ يبصره كل أحد.

والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ راجع إلى ﴿مَن﴾ والمعنى: لمن أسرّ ومن جهر، ومن استخفى ومن سرب.

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ٢٧٢.

(٢) تفسير الماوردي ج٣: ٩٦.

﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أي: جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته، والأصل: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف، أو مفعّلات من عقبه: إذا جاء على عقبه، كما يقال: قفّاه، لأنّ بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنّهم يعقبون ما يتكلّم به فيكتبونه.

﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ هما صفتان جميعاً، وليس ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بصلة للحفظ، كأنّه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل [أمر الله تعالى أي: من أجل](١) أنّ الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءة عليّ عليه السلام وابن عباس وجعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام: لَهُ رَقِيبٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمُعَقِّبَاتٌ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ يلي أمرهم ويدفع عنهم.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ
ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ
وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى
ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا
يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ
وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لا يجوز أن يكون انتصابهما على المفعول له، لأنّهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا أن يكون على تقدير حذف مضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى: إخافة وإطماعاً، ويجوز أن يكون انتصابهما على

(١) ساقطة من ج.

الحال من ﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾ كأنّه في نفسه خوف وطمع، أو على: ذا خوف وطمع، أو من المخاطبين أي: خائفين وطامعين.

ومعنى الخوف والطمع: أنّه يخاف عند لمع البرق من وقوع الصواعق ويطمع في الغيث، وقيل: يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف عليه، ويطمع فيه من له نفع فيه[١].

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ بالماء يرفعها من الأرض ويجريها في الجو.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ﴾ أي: سامع الرعد من العباد حامدين له، يقولون: سبحان الله والحمد لله، وقيل: إنّ الرعد ملك موكّل بالسحاب يزجره بصوته، فهو يسبّح الله ويحمده[٢].

﴿وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: يسبّح الملائكة من هيبته وجلاله.

ولما ذكر سبحانه ما دلّ على أنّه العالم القادر على كل شيء قال: ﴿وَهُمۡ﴾ يعني: الكفار الذين أنكروا آياته ﴿يُجَـٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث والإعادة ويتخذون له الشركاء والأنداد، فهذا جدالهم.

و﴿ٱلۡمِحَالِ﴾: المماحلة وهي المماكرة والمكايدة، ومنه تمحّل لكذا: إذا تكلّف استعمال الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان: إذا سعى به إلى السلطان، ومنه الحديث: ((ولا تجعله بنا ماحلاً مصدّقاً))[٣] يعني: القرآن. والمعنى: إنّه شديد المكر بأعدائه،

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٣: ٨٢.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٤: ٥٠.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما يوجد بلفظ: ((القرآن شافع مشفّع وماحل مصدّق)). الكافي ج٢: ٥٩٩، معجم الطبراني الكبير ج١٠: ١٩٨.

يأتيهم بالهلاك من حيث لا يشعرون.

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ معناه: إنّه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة، فأضيفت الدعوة إلى ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ لكونها مختصة بالحقّ وبمعزل من الباطل، وقيل: إنّ معناه: دعوة المدعو الحقّ الذي يسمع ويجيب وهو الله سبحانه، وعن الحسن: (الحقّ هو الله، وكل دعاء إليه دعوة الحقّ)[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: والآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ من طلباتهم ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي: كاستجابة ﴿ٱلۡمَآءِ﴾ من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ ﴿فَاهُ﴾، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وقيل: معناه: أنّهم كمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً.

﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: في ضياع لا جدوى فيه.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ﴾ أي: ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤوا أم أبوا، وينقاد له ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ أيضاً، حيث يتصرّف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال.

قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

﴿قُلۡ﴾ يا محمّد لهؤلاء الكفار: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ومدبّرهما؟ فإذا

(١) الكشاف ج٢: ٥٢١.

استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم أن يقولوا: الأصنام، فلقّنهم و﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، فإنّهم لا يقدرون أن ينكرونه.

﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم﴾ بعد أن علمتموه ربّ السماوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: لا يستطيعون لها ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فكيف يستطيعونه لغيرهم، وقد آثرتموهم على الخالق الرازق فما أبين ضلالكم!.

﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾ بل أجعلوا، وهي همزة الإنكار.

﴿خَلَقُوا۟﴾ صفة لـ﴿شُرَكَآءَ﴾ يعني: إنّهم لم يتخذوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ خالقين قد ﴿خَلَقُوا۟﴾ مثل خلق الله ﴿فَتَشَٰبَهَ﴾ عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقّوا العبادة، فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما عبدنا الله، ولكنّهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على شيء.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا خالق سواه، فلا يكون له شريك في العبادة.

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ في الإلهية ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لا يغالب، ومن سواه مربوب ومقهور.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا
رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ
ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم
مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ
ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

هذا مثل ضربه ﴿ٱللَّهُ﴾ تعالى للحقّ وأهله والباطل وأهله. فمثّل الحقّ وأهله بالماء الذي ينزله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فتسيل به ﴿أَوۡدِيَةُۢ﴾ الناس فيحيون به وينتفعون منه بأنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في اتخاذ الحلي والآلات المختلفة، وأنّ ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهراً، يثبت الماء في منافعه ويبقي آثاره في العيون والآبار والحبوب والثمار التي تنبت به، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة طويلة.

وشبّه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وخلّوه من المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب.

وقوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ معناه: بمقدارها الذي عرف الله أنّه نافع غير ضار للممطور عليهم.

والفائدة في قوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ كالفائدة في قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ لأنّه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع.

وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما جاء في ذكر الآجر ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾[١].

و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ ﴿زَبَدٞ﴾ مثل زبد الماء، أو للتبعيض بمعنى: وبعضه زبد. والرابي: العالي المنتفخ على وجه الماء. والجفاء: المتفرق، جفأه السيل أي: رمى به، وجفأت القدر بزبدها، وقرئ: يوقدون ـ بالياء ـ أي: يوقد الناس.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾ اللام متعلّقة بـ﴿يَضۡرِبُ﴾ أي: كذلك يضرب الله الأمثال

---

(١) القصص: ٣٨.

للذين استجابوا وهم المؤمنون وللذين ﴿لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ وهم الكافرون، أي: هما مثلا الفريقين.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ صفة لمصدر ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾ أي: استجابوا الاستجابة الحسنى.

وقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين.

وقيل: إنّ الكلام قد تم عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ وما بعده كلام مستأنف، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾. والمعنى: لهم المثوبة الحسنى وهي الجنّة، و﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَوۡ﴾ مع ما في حيّزه.

و﴿سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ المناقشة في الحساب، وعن النخعي[1]: (أن يحاسب الرجل بذنوبه كلها لا يغفر منها شيء)[2]. الصادق عليه السلام: ((هو أن لا يقبل لهم حسنة، ولا يغفر لهم سيئة))[3].

﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، الفقيه الكوفي، أحد كبار التابعين، توفي سنة ٩٥ هـ على قول وله تسع وأربعون سنة، وقيل ثمان وخمسون. ينظر: وفيات الأعيان ج١: ٦، معجم رجال الحديث ج١: ٣٢٥.

(٢) تفسير الطبري ج١٣: ٩٣.

(٣) تفسير العياشي ج٢: ٢١٠ بالمعنى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ
وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ
عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أنّ حال من علم ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ فاستجاب، بخلاف حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب، وبينهما من البون ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الذين يعملون على قضايا عقولهم فيتفكرون ويستبصرون.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، ويجوز أن يكون صفة لـ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. والأوّل أوجه.

﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقرابات، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، بالإحسان إليهم بحسب الطاقة والذبّ عنهم ونصرتهم والنصيحة لهم وعيادة مرضاهم وحضور جنائزهم، ومنه مراعاة حقّ الخدم والجيران والرفقاء في السفر.

﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ أي: يخافون وعيده كله ﴿وَيَخَافُونَ﴾ خصوصاً ﴿سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على القيام بأوامر الله ومشاق التكليف، وعلى المصائب في النفوس والأموال، وعن معاصي الله ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ لا لغرض من الأغراض الدنيوية، أو ليقال: ما أصبره وأوقره، ولئلا يشمت به الأعداء، كقوله:

وَتَجَلُّدِي لِلْشَّامِتِينَ أُرِيهُمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ[(١)]

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الحلال، لأنّ الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند إلى الله.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يتناول النافلة، لأنّها في السرّ أفضل، فأما الفرائض فالمجاهرة بها أفضل، نفياً للتهمة.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعونها، ومنه الحديث: ((أتبع السيئة الحسنة تمحها))[(٢)]، وعن ابن عباس: (يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم)[(٣)]، وعن الحسن: (إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا)[(٤)].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وهي الجنّة، لأنّها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها.

و﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ جمع أبوي كل واحد منهم، فكأنّه قيل: من آبائهم وأمهاتهم. جعل سبحانه من ثواب المطيع سروره بما يريه في أهله وأنسابه وذريته وإلحاقهم به في الجنّة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب قصورهم.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ في موضع الحال، لأنّ المعنى: قائلين: سلام عليكم أو

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. شرح أشعار الهذليين ج١: ١٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج١: ٥٤، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٩٨.

(٣) معالم التنزيل ج٢: ١٧٧ بالمعنى.

(٤) معالم التنزيل ج٢: ١٧٧.

مسلّمين.

وتعلّق قوله: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، يعنون: هذا الثواب بما صبرتم، أي: بسبب صبركم، أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر. والمعنى: لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة. ويجوز أن يتعلّق بـ﴿سَلَامٌ﴾ أي: نسلّم عليكم ونكرمكم بصبركم.

وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي: من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بمعاصي الله وظلم عباده وإخراب بلاده ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: عذاب النار.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي: الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره، وهو الذي بسط رزق قريش.

﴿وَفَرِحُوا﴾ بما بسط لهم منه فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه

عليهم، وليست هذه ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ جنب نعيم ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ أي: شيء قليل يتمتع به كعجالة الراكب ثمّ يفنى ويضمحل، وخفي عليهم ذلك حتى آثروه على النعيم الدائم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هو جار مجرى التعجب من قولهم، مع كثرة آياته الباهرة التي لم يؤتها نبيّ قبله، وكفى بالقرآن وحده آية معجزة، فإذا لم يعتدّوا بها كان موضعاً للتعجب، فكأنّه قيل لهم: ما أشدّ عنادكم!.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ ممن كان مثلكم في التصميم على الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية.

﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ﴾ كان على خلاف صفتكم، ومعنى الإنابة: الإقبال على الحقّ، والدخول في نوبة الخير، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدل من ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾.

﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ بذكر رحمة الله ومغفرته.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأ و﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾ خبره، وطوبى: من طاب، مصدر كبشرى وزلفى، ومعنى طوبى لك: أصبت خيراً وطيباً، واللام للبيان، مثلها في: سقياً لك. والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها، كواو موقن وموسر. وعن النبيّ ﷺ: ((إنّ طوبى شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة. وقال مرة أخرى: في دار عليّ. فقيل له في ذلك، فقال: إنّ داري ودار عليّ في الجنّة بمكان واحد))[1].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإرسال ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يعني: أرسلناك إرسالاً له فضل على غيره من الإرسالات.

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٣٠٤.

﴿فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ﴾ تقدّمتها ﴿أُمَمٞ﴾ كثيرة، فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء.

﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ﴾ الكتاب العظيم ﴿ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وحال هؤلاء أنّهم ﴿يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الواسع الرحمة، فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم، وإنزال هذا القرآن المعجز عليهم.

﴿قُلۡ هُوَ﴾ الرحمن ﴿رَبِّي﴾ وخالقي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تعالى عن الشركاء والأنداد.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في نصرتي عليكم ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ مآبي، فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم.

وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ
ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا
صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ
كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ
كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا
يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ
وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾

جواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف، والمعنى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ عن مقارّها، وزعزعت عن أماكنها ﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ حتى تتصدع وتشقق

قطعاً، وقيل: معناه: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً[١]. ﴿أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فتسمع وتجيب؛ لكان هذا القرآن، لعظم قدره وجلالة أمره. وقيل: لما آمنوا به[٢]، كقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَا... الآية﴾[٣]. وعن الفراء: (أنّه يتعلّق بما قبله)[٤]، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال، وما بينهما اعتراض.

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾ بل لله القدرة على كل شيء، وهو قادر على الآيات التي اقترحوها لكنّه لا يفعل، لما يعلمه من المصلحة.

﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾ أي: أفلم يعلم، وهي لغة قوم من النخع، وقيل: إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه[٥]، لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنّه لا يكون، كما استعمل الرجاء بمعنى الخوف لذلك، ويدلّ عليه أنّ أهل البيت عليهم السلام وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا: أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ، وهو تفسير ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾. ويجوز أن يكون المعنى: أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفار ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بـ﴿أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ولهداهم.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من كفرهم وسوء أفعالهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ أي: داهية تقرعهم من صنوف المصائب في نفوسهم وأموالهم ﴿أَوۡ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِ﴾ وهو موتهم أو القيامة، وقيل: المراد بالقارعة:

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ٢٩٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ١٤٨.

(٣) الأنعام: ١١١.

(٤) معاني القرآن للفراء ج٢: ٦٣.

(٥) عن ابن عباس. معاني القرآن للفراء ج٢: ٦٤.

سرايا النبيّ ﷺ التي كان يبعثها إليهم فتغير حول مكة وتختطف منهم[(١)]، أو: تحلّ أنت يا محمّد بجيشك قريباً من دارهم كما حلّ بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة، لأنّه سبحانه وعده ذلك.

والإملاء: الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى، وهذا وعيد لهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ احتجاج عليهم في إشراكهم بالله، يعني: أفالله الذي هو رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ صالحة أو طالحة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعلم خيره وشرّه، ويعدّ لكل جزاءه؛ كمن ليس كذلك؟. ويجوز أن يقدّر ما يكون خبراً للمبتدأ ويعطف عليه ﴿وَجَعَلُوا۟﴾، وتقديره: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحّدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحقّ العبادة وحده ﴿شُرَكَآءَ﴾.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: جعلتم له شركاء فسمّوهم له من هم، وأنبئوه بأسمائهم.

ثمّ قال: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ هي ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، أي: بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو العالم بما في السماوات والأرض، [فإذا لم يعلمهم فإنّهم ليسوا بشيء يتعلّق بهم العلم، والمراد: نفي أن يكون له شركاء، ونحوه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[(٢)]][(٣)].

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بل أتسمّونهم شركاء بظاهر من القول ليس له حقيقة، وهذه الأساليب العجيبة في الاحتجاج تنادي بلسان فصيح أنّها ليست من كلام البشر.

---

(١) عن عكرمة وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ١٠٥.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) ساقطة من ط.

﴿وَصُدُّواْ﴾ قرئ: بفتح الصاد وضمها.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ ومن يخذله لعلمه بأنّه لا يهتدي ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ﴾ أحد يقدر على هدايته.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي وسائر المحن تلحقهم عقوبة لهم على كفرهم.

﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: دافع يدفع عنهم عذابه.

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفتها التي هي في غرابة المثل، وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه[١]، أي: فيما نقصّ عليكم مثل الجنّة، وعند غيره الخبر: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ كما تقول: صفة زيد أسمر. وعن الزجّاج: (معناه: مثل الجنّة جنّة تجري من تحتها الأنهار)[٢]، على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ كقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٣]، ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم

(١) الكتاب ج١: ١٤٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ١٥٠.

(٣) الواقعة: ٣٣.

لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهم: عبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة [وثمانية باليمن][1].

﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ أي: ومن أحزابهم، وهم كفارهم المتحزبون على رسول الله ﷺ بالعداوة ﴿مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥ﴾ مما يخالف أحكامهم، وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ﴾ فيما أنزل إليّ بـ﴿أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓ﴾ فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده.

﴿إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ﴾ خصوصاً لا أدعو إلى غيره ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ لا إلى غيره مرجعي، فلا معنى لإنكاركم وأنتم تقولون مثل ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه.

﴿حُكۡمًا عَرَبِيًّا﴾ حكمة عربية مترجمة بلسان العرب، وانتصابه على الحال.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ في أمور يدعونك إلى أن توافقهم عليها ما هي إلا أهواء وشبه ﴿بَعۡدَ﴾ ثبوت ﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾ عندك بالحجج والدلائل والبيّنات، لم ينصرك الله وخذلك، فلا يقيك منه ﴿وَاقٍ﴾. وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الصلابة في الدين، والتثبّت فيه من الزلة عند الشبهة بعد الاستمساك بالحجّة.

---

(١) ساقطة من أ، وفي ج: وثمانية بالروم وكانوا على دين عيسى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ
مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

كانوا يعيّرون رسول الله ﷺ بكثرة تزوّج النساء، فقيل: إنّ الرسل قبله كانوا مثله ذوي أزواج وذرية.

﴿وَمَا كَانَ﴾ لهم أن يأتوا بآيات برأيهم وبما يقترح عليهم منها، والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأوقات والأحوال، فلكل وقت حكم يكتب على العباد، أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي: ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ، وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلاً فيسقط عقابه، ويترك ذنوب من يريد عقابه مثبتاً عدلاً[١]، وقيل: يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضاً من الأناسي وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها، فيمحو من الرزق والأجل ويزيد فيهما، ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما[٢].

﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ، لأنّ كل كائن مكتوب فيه.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك ﴿بَعْضَ الَّذِي﴾ وعدنا

---

(١) عن سعيد بن جبير. تفسير الطبري ج١٣: ١١٤.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ١١٣.

هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم، وتمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال، ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا﴾ يجب ﴿عَلَيۡكَ﴾ تبليغ الرسالة فحسب ﴿وَعَلَيۡنَا﴾ حسابهم لا عليك، نجازيهم وننتقم منهم إما عاجلاً وإما آجلاً.

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

يريد: أرض الكفر ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص بلاد الحرب ونزيد في بلاد الإسلام وذلك من آيات النصر. والمعنى: عليك البلاغ ولا يهمّنك ما وراء ذلك، فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر وإعلاء كلمة الإسلام، وقيل: ننقصها بذهاب علمائها وخيار أهلها[1].

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ لا رادّ لحكمه، والمعقّب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله، وهو جملة في موضع الحال، كأنّه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه.

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وصفهم بالمكر، ثمّ جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره، فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾، ثمّ فسّر ذلك بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، لأنّ من علم ما تكسب كل نفس وأعدّ لها جزاءها فهو المكر كله، لأنّه يأتيهم من حيث لا يشعرون. وقرئ: الكافر، والمراد بالكافر: الجنس.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ١١٧.

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ بما أظهر من المعجزات على نبوّتي.

﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز، وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، لأنّهم يشهدون بنعته في كتبهم[١]، وقيل: هو الله عزّ وجل والكتاب هو اللوح المحفوظ[٢]، وقيل: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣]. الصادق عليه السلام: ((إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم))[٤].

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٣: ١١٩.

(٢) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ١١٩.

(٣) عن ابن عباس وغيره، وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. شواهد التنزيل ج١: ٣٠٧.

(٤) بصائر الدرجات: ٢١٤.

سورة إبراهيم

مكية إلا آيتين، إحدى وخمسون آية بصري، اثنتان كوفي، عدّ الكوفي ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ آية.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة إبراهيم) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبدها))[1]، الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة إبراهيم والحجر) في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٥: ٣٠٤.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ بتسهيله وتيسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب، والمراد: ما يمنحهم سبحانه من التوفيق والألطاف.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ بتكرير العامل.

﴿ٱللَّهِ﴾ بالجر عطف بيان لـ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾، لأنّه جرى مجرى الأعلام، لاختصاصه بالمعبود الذي تحقّ له العبادة، كما غلب النجم للثريا. وقرئ بالرفع على هو الله. والويل: نقيض الوأل وهو النجاة، وهو اسم معنى كالهلاك، إلا أنّه لا يشتق منه فعل، إنّما يقال: ويلاً له، فينصب نصب المصادر، ثمّ يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات فيقال: ويل له، كما يقال: سلام عليك. والمعنى: إنّهم يولولون ﴿مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴾ ويضجّون منه فيقولون: يا ويلاه، كقوله تعالى: ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾[1].

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾، ويجوز أن يكون مجروراً صفة للكافرين، ومنصوباً على الذم أو مرفوعاً على: أعني الذين يستحبّون، أو هم الذين يستحبّون. والاستحباب: استفعال من المحبّة ومعناه: الإيثار.

﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: ويطلبون لسبيل الله اعوجاجاً، وأن يدلّوا الناس على أنّها سبيل ناكبة عن الحقّ غير مستوية، والأصل: يبغون لها، فحذف الجار وأوصل الفعل.

﴿فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾ أي: ضلوا عن طريق الحقّ ووقعوا دونه بمراحل،

(١) الفرقان: ١٣.

ووصف الضلال بالبعد مجاز، وإنّما البعد في الحقيقة للضال، [لأنّه هو الذي يتباعد عن الطريق][١]، فهو نحو قولهم: جدّ جدّه.

﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي: بلغة قومه.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هو مثل قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[٢]، لأنّه سبحانه لا يضل إلا من يعلم أنّه لن يؤمن، ولا يهدي إلا من يعلم أنّه يؤمن. والمراد بالإضلال: التخلية ومنع الألطاف، والمراد بالهداية: التوفيق واللطف، فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ
مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٥ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَظِيمٌ ٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ
وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ
وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ هي ﴿أن﴾ المفسّرة، لأنّ الإرسال فيه معنى القول، فكأنّه قال: أرسلناه وقلنا له: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾، ويجوز أن تكون (أن) الناصبة للفعل،

(١) ساقطة من ج.

(٢) التغابن: ٢.

والتقدير: بأن أخرج قومك، ويجوز أن يوصل (أن) بفعل الأمر، لأنّ الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل، والأمر وغيره سواء في الفعلية.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: وأنذرهم بوقائع الله الواقعة على الأمم قبلهم، ومنه: أيّام العرب لحروبها وملاحمها، كيوم بعاث[1] ويوم النسار[2] ويوم الفجار[3] ونحوها، وعن ابن عباس: (هي نعماؤه وبلاؤه)[4].

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يصبر على بلاء الله ﴿شَكُورٍ﴾ يشكر نعمه.

﴿إِذْ أَنجَىٰكُم﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام، أي: إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ذلك الوقت، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ وقت إنجائكم وهو بدل الاشتمال.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من جملة ما ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ أي: واذكروا حين تأذّن ربّكم. وتأذن وآذن بمعنى، مثل توعّد وأوعد وتفضّل وأفضل، ولابد في تفعّل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنّه قال: وإذ آذن ربّكم إيذاناً بليغاً ينتفي عنده الشكوك. والمعنى: وإذ تأذّن ربّكم فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ ما خولتم من نعمة الإنجاء وغيرها ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾

---

(١) هو آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وفيه ظهرت الأوس وحلفاؤها على الخزرج. ينظر: الكامل في التاريخ ج١: ٤١٧ وما بعدها.

(٢) هو يوم من أيّام العرب تحالفت فيه أسد وطي وغطفان ولحقت بهم ضبّة وعدي، فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلاً شديداً. ينظر: نهاية الإرب ج١٥: ٤٢١.

(٣) أيّام الفجار عدّة، وسمّيت الفجار لأنّها كانت في الأشهر الحرم، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية. ينظر: نهاية الإرب ج١٥: ٤٢٣.

(٤) الكشف والبيان ج٥: ٣٠٥.

وغمطتم[١] ما أنعمت به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لمن كفر نعمتي.

﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ﴾ والناس جميعهم فمضرّة كفرانكم عائدة عليكم، والله غني عن شكركم.

﴿حَمِيدٌ﴾ مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وإن لم يحمده حامد.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ
أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟
إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهي جملة اعتراضية، أو ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل جر عطفاً على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اعتراض. والمعنى: إنّهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: (كذب النسّابون)[٢]، وقيل: إنّ بين عدنان وإسماعيل ثلاثين أباً لا يعرفون[٣].

﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: فعضّوا على أصابع أيديهم من

---

(١) غمطه: حقّره. (الصحاح: مادة غمط)

(٢) تفسير الطبري ج١٣: ١٢٥.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الماوردي ج٣: ١٢٤.

شدّة الغيظ والضجر لما جاءت به الرسل، كقوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾[1]، أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أي: هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق، أو وضعوا أيديهم على أفواههم يقولون للأنبياء: اسكتوا. وقيل: الأيدي جمع يد وهي: النعمة، بمعنى الأيادي، أي: ردّوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم والشرائع التي أوحيت إليهم في أفواههم، لأنّهم إذا لم يقبلوها فكأنّهم ردّوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل.

شك ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة، أو ذي ريبة.

﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ دخلت همزة الإنكار على الظرف، لأنّ الكلام في المشكوك فيه وأنّه لا يحتمل الشك، لا في الشك.

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ أي: لأجل المغفرة، كما تقول: دعوته ليأكل معي، أو يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت بيّن مقداره وسمّاه، يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت.

﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضل لكم علينا، فلم خصصتم بالنبوّة؟.

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجّة واضحة، أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات تعنتاً وعناداً.

---

(١) آل عمران: ١١٩.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ
عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ
أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ
ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ تسليم لقولهم، يعنون: أنّهم مثلهم في البشرية وحدها.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوّة، ولا يخصّهم بتلك الكرامة إلا لخصائص فيهم ليست في أبناء جنسهم.

﴿وَمَا﴾ صحّ ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم﴾ بالآية التي اقترحتموها ﴿إِلَّا﴾ بمشيئة ﴿ٱللَّهِ﴾.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا بذلك أنفسهم، أي: ومن حقّنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاداتكم وعنادكم، وأي عذر ﴿لَنَآ﴾ في ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ﴾ فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه، وهو التوفيق لهداية كل واحد منا إلى السبيل الذي يجب عليه سلوكه في الدين.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ
لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾
وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى
وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن

وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ
كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ
شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

أي: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ﴾ بلادنا، إلا أن ترجعوا إلى أدياننا ومذاهبنا.

﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حكاية تقتضي إضمار القول أو أجري الإيحاء مجرى القول، والمراد بالأرض: أرض الظالمين وديارهم. وفي الحديث: ((من آذى جاره ورّثه الله داره))[1].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قضى الله به من الهلاك للظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم، أي: ذلك الأمر حقّ.

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: موقفي وهو موقف الحساب، لأنّه موقف الله الذي يقف فيه عباده، أو على إقحام المقام.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ واستنصروا الله على أعدائهم، أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم [وبين أعدائهم][2]، من الفتاحة وهي الحكومة، ومنه: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾[3]، وهو عطف على ﴿أَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾.

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معناه: فنصروا وظفروا وخاب كل جبار

(١) تفسير القمي ج١: ٣٦٨ باختصار، التذكرة الحمدونية ج١: ١٨٥ باختلاف يسير.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) الأعراف: ٨٩.

وهم قومهم.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ من بين يدي هذا الجبار نار ﴿جَهَنَّمُ﴾ يلقى فيها ما يلقى.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ هو عطف بيان، كأنّه قال: ويسقى من ماء، فأبهمه إبهاماً ثمّ بيّنه بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾ وهو ما يسيل من جلود أهل النار من الدم والقيح.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يتكلف جرعه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ دخل كاد للمبالغة، أي: ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة، كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[١] أي: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ كأنّ أسباب الموت قد أحاطت به من كل الجهات ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: ومن بين يديه عذاب أشدّ مما قبله وأغلظ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه[٢]، والتقدير: فيما نقصّ عليكم مثل الذين كفروا.

وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ جملة مستأنفة على تقدير جواب سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد، [أو يكون ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾][٣] بدلاً من ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، والتقدير: مثل أعمال الذين كفروا ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ فذرته وسفته ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه، كما تقول: يوم

---

(١) النور: ٤٠.

(٢) الكتاب ج١: ١٤٣.

(٣) ساقطة من أ.

ماطر.

و﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ هي: المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام، وعتق الرقاب، وإغاثة الملهوفين، وإكرام الأضياف، وغير ذلك من صنائعهم، شبّهت في حبوطها وذهابها هباءً منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به، برماد طيرته الريح العاصف.

﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ يوم القيامة منها ﴿عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ كما لا يقدر من الرماد المطير على شيء، يعني: لا يرون لشيء منها ثواباً.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالحكمة والغرض الصحيح ولم يخلقهما عبثاً ولا شهوة، وقرئ: خالق السماوات والأرض.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أي: يعدمكم ويخلق مكانكم خلقاً آخرين.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بممتنع متعذّر، بل هو عليه هيّن يسير، لأنّه قادر لذاته، لا اختصاص له بمقدور دون مقدور.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ ويبرزون يوم القيامة لله، أي: يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله وحسابه.

و﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ﴾ الأتباع والعوام، والذين ﴿ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن اتباع الأنبياء واستماع كلامهم. والتبع: جمع التابع، مثل: خادم وخدم وغائب وغيب.

﴿قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡ﴾ أي: لو هدانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب لهديناكم إلى ذلك.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر.

﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ أي: منجى ومهرب.

وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

يقول ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ وهو إبليس، يقوم خطيباً في الأشقياء من الجن والإنس إذا ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: قطع وفرغ من الأمر وهو الحساب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ ولم أوف لكم بما وعدتكم.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: تسلّط وقهر، فأقسركم على الكفر والمعاصي وأكرهكم عليها.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ إلا دعائي إيّاكم إلى الضلال بوسوستي وتزييني، وليس

الدعاء من جنس السلطان، ولكنّه كقولهم: ما تحيتهم إلا الضرب.

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم، ولم تطيعوا ربّكم إذ دعاكم.

﴿مَّآ أَنَاْ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغيثه، والإصراخ: الإغاثة.

و(ما) في ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ مصدرية، يعني: ﴿كَفَرۡتُ﴾ اليوم بإشراككم إيّاي ﴿مِن قَبۡلُ﴾ هذا اليوم أي: في الدنيا، ونحوه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[1]، ومعنى كفره بإشراكهم إيّاه: تبرؤه منه واستنكاره له. وقيل: تعلّق ﴿مِن قَبۡلُ﴾ بـ﴿كَفَرۡتُ﴾، و(ما) موصولة أي: كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله جل جلاله، تقول: شركت زيداً، ثمّ تقول: أشركنيه فلان أي: جعلني له شريكاً، وهذا آخر قول إبليس.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قول الله عزّ وجل، ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس.

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ
أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا
كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ

(١) فاطر: ١٤.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ
يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن
سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ أي: اعتمد مثلاً ووضعه.

و﴿كَلِمَةٗ﴾ منصوبة بفعل مضمر، أي: جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾، وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ كما تقول: أكرم الأمير زيداً: كساه حلّة وحمله على فرس. ويجوز أن ينتصب ﴿مَثَلٗا﴾ و﴿كَلِمَةٗ﴾ بـ﴿ضَرَبَ﴾ أي: ضرب كلمة طيبة مثلاً، بمعنى: جعلها مثلاً.

ثمّ قال: ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ على أنّها خبر مبتدأ محذوف، أي: هي كشجرة طيبة.

﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ في الأرض: ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في جهة العلو والصعود، أي: وفروعها، على الاكتفاء بلفظ الجنس.

والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد، وقيل: هي كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والتوبة والاستغفار، وأما الشجرة: فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة والتين والرمان وغير ذلك، وعن ابن عباس: (شجرة في الجنّة)[١]. وعن الباقر عليه السلام: ((الشجرة: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفرعها: عليّ، وعنصر الشجرة: فاطمة، وثمرها: أولادها، وأغصانها وورقها: شيعتها))[٢].

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها،

---

(١) تفسير الطبري ج١٣: ١٣٧.

(٢) معاني الأخبار: ٣٨٠ وفيه: وغصن الشجرة بدل وعنصر الشجرة.

الصادق: ((وعن النبيّ ﷺ: أنا شجرة، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا أوراقها))(١).

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهَا﴾ بتيسير خالقها وتكوينه.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كمثل شجرة، أي: صفتها كصفتها. والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك، وقيل: كل كلمة قبيحة، وأما الشجرة الخبيثة: فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث(٢). وقال الباقر عليه السلام: ((بنو أمية))(٣).

﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ أي: استوصلت، وهي في مقابلة قوله: ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ أي: استقرار، يقال: قرّ قراراً مثل: ثبت ثباتاً، شبّه بها القول الذي لم يعضد بحجّة فهو داحض غير ثابت يضمحل عن قريب، ونحوه: (الباطل لجلج)(٤).

والقول ﴿ٱلثَّابِتِ﴾ الذي ثبت بالحجّة والبرهان في قلب صاحبه وتمكّن فيه واطمأنت إليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا أنّهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلّوا ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أنّهم إذا سئلوا في القبر عن معتقدهم ودينهم ونبيّهم يقول كل منهم: الله ربّي وديني الإسلام ونبيّي محمّد ﷺ، فيقول له الملكان: نم قرير العين نوم الشاب الناعم.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين لم يتمسّكوا بحجّة في دينهم، واقتصروا

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٣١٢، أمالي الشيخ الطوسي ج١: ١٨.

(٢) الكشوث: نبت يتعلّق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الارض. (الصحاح: مادة كشث).

(٣) تفسير القمي ج١: ٣٦٩.

(٤) مجمع الأمثال ج١: ٣٦٧.

على تقليد شيوخهم في الدنيا، فلا يثبتون في مواقف الفتن، وتزلّ أقدامهم عن الحقّ، وهم في الآخرة أضل وأذل.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ولا يشاء إلا ما توجبه الحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وخذلان الظالمين.

﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [أي: شكر نعمة الله كفراً][1] بأن وضعوه مكانه، وقيل: هم الأفجران من قريش: بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو أمية فمتّعوا إلى حين، وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر[2].

﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ ممن تابعهم على الكفر ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ أي: الهلاك.

﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لـ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾.

وقرئ: ﴿لِيَضِلُّوا۟﴾ بفتح الياء وضمها، ولما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد أدخل اللام وإن لم يكن غرضاً على طريق التشبيه والتقريب.

﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ إيذان بأنّهم كأنّهم مأمورون بالتمتع لانغماسهم فيه، وأنّهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه.

قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ
لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ
لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) عن علي عليه السلام وعمر وغيرهما. تفسير الطبري ج١٣: ١٤٦.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾

المقول محذوف، لأنّ جواب ﴿قُل﴾ يدلّ عليه، والتقدير: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ﴾ أقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ﴾، وقيل: هو بمعنى: ليقيموا ولينفقوا وهو المقول. وجاز حذف اللام لأنّ الأمر الذي هو ﴿قُل﴾ عوض منه، ولو قيل ابتداء: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ﴾ لم يجز.

وانتصب ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ على الحال، بمعنى: مسرّين ومعلنين، أو على الظرف أي: وقتي سرّ وعلانية، أو على المصدر أي: إنفاق سرّ وإنفاق علانية. والخلال: المخالة.

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ خبره، و﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيان للرزق، أي: أخرج به رزقاً هو ثمرات، ويجوز أن يكون ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مفعول ﴿أَخْرَجَ﴾، و﴿رِزْقًا﴾ حالاً من المفعول، أو نصباً على المصدر لـ(أخرج) لأنّه في معنى: رزق.

﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: بقوله: كن فيكون.

﴿دَآئِبَيْنِ﴾ يدأبان في سيرهما، لا يفتران في منافع الخلق وإصلاح ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لمعاشكم وسباتكم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من جميع ما سألتموه نظراً في مصالحكم، و﴿مِّن﴾ للتبعيض، وقيل: معناه: من كل شيء سألتموه ولم تسألوه[1]، فتكون ﴿مَا﴾ موصوفة بالجملة وحذف ولم تسألوه، لأنّ ما أبقي

---

(١) عن ركانة بن هاشم. تفسير الطبري ج١٣: ١٥٠.

يدلّ على ما ألقي، ومثله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[1] وحذف (والبرد). وقرئ: مِنْ كُلٍ ـ بالتنوين ـ وهو قراءة السيّدين: الباقر والصادق عليهما السلام، وعلى هذا فيكون ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ نفياً ومحلّه نصب على الحال، أي: آتاكم من جميع ذلك غير سائليه، أو تكون ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه، فكأنّكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال.

﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي: لا تعدّوها ولا تطيقوا حصرها.

﴿لَظَلُومٌ﴾ للنعمة لا يشكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ يكفرها، أو ظلوم في الشدّة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ
إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ
وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى
ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ
وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

يريد ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ الحرام ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن، ويقال: جنّبه الشرّ وجنّبه الخير

(١) النحل: ٨١.

وأجنبه، والمعنى: ثبّتني ﴿وَبَنِيَّ﴾ على اجتناب عبادة ﴿ٱلْأَصْنَامَ﴾ وأراد بنيه من صلبه.

﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأعوذ بك لأن تعصمني وبنيّ من ذلك، ومعنى إضلالهن الناس: إنّهم ضلوا بسببهن فكأنّهن أضللنهم، كما يقال: غرّته الدنيا بمعنى: اغتر بها وبسببها.

﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على ملتي ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي: هو بعضي، لاختصاصه بي وملابسته لي، ونحوه قوله ﷺ: ((من غشّنا فليس منا))[1] أي: ليس بعض المؤمنين، لأنّ الغش ليس من أفعالهم.

﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ تستر على العباد معاصيهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: بعض أولادي وهو إسماعيل وأولاده.

﴿بِوَادٍ﴾ هو وادي مكة ﴿غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ لا يكون فيه شيء من زرع قط.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي لم يزل ممنّعاً عزيزاً يهابه كل جبار كالشيء المحرّم الذي حقّه أن يجتنب، أو جعل محرّماً [على الطوفان ممنوعاً منه، كما سمّي عتيقاً لأنّه أعتق منه، أو هو محرّم][2] محترم عظيم الحرمة لا يحلّ انتهاكها، وما حوله حرم لحرمته.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يتعلّق اللام بـ﴿أَسْكَنتُ﴾ أي: ما أسكنتهم بهذا الوادي إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرّم ويعمروه بذكرك وعبادتك.

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ﴾ أفئدة ﴿ٱلنَّاسِ﴾، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض.

---

(١) سنن الدارمي ج٢: ٢٤٨، الكافي ج٥: ١٦٠ بالمعنى.

(٢) ساقطة من ج.

﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: تسرع إليهم وتفزع، وقرئ: تهوى إليهم، من هوى يهوى: إذا أحبّ، ضمّن معنى تنزع فعدّي تعديته، وهي قراءة أهل البيتعليهم السلام.

﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سكناهم وادياً ليس فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب[1].

﴿إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾ أي: تعلم السرّ كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه، فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب، إنّما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وافتقاراً إلى ما عندك، واستعجالاً لنيل مواهبك.

﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو علام الغيوب ﴿مِن شَيۡءٖ فِي﴾ كل مكان من الأرض والسماء. و﴿مِن﴾ للاستغراق.

﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾ أي: مع الكبر، كقول الشاعر:

إنِّي عَلى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِي   أعْلَمُ مِنْ حَيْثُ يُؤْكَلُ الكَتِفُ[2]

وهو في موضع الحال، أي: وهب لي وأنا كبير أو في حال الكبر.

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: مجيبه وقابله، وهو إضافة الصفة إلى مفعولها، والأصل: لسميع الدعاء.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: وبعض ذريتي عطفاً على الضمير المنصوب في ﴿ٱجۡعَلۡنِي﴾.

﴿وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ أي: عبادتي، أو وأجب دعائي، لأنّ قبول الدعاء:

---

(١) يباب: خراب. (الصحاح: مادة يبب).

(٢) جمهرة الامثال ج٢: ٤٢٢ دون نسبة، وفيه: من أين...

الإجابة، وقبول الطاعة: الإثابة.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وفي هذا دلالة على أنّ أبويه لم يكونا كافرين، وإنّما كان آزر عمّه أو جدّه لأمه على الخلاف فيه، لأنّه سأل المغفرة لهما ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ وهو يوم القيامة. وقرئ: وَلِوَلَدَيَّ، وهو قراءة أهل البيت عليهم السلام، وهما إسماعيل وإسحاق.

و﴿يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ معناه: يثبت، وهو مستعار من قيام القائم على الرجل، يدلّ عليه قولهم: قامت الحرب على ساق، ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازياً، أو أن يكون مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(١).

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

هذا وعيد للظالم وتسلية للمظلوم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: أبصارهم لا تقرّ في أماكنها من هول ما ترى في ذلك اليوم.

---

(١) يوسف: ٨٢.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاع: أن تقبل ببصرك على ما ترى تديم النظر إليه لا تطرف(١).

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعي رؤوسهم.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا ترجع إليهم أعينهم، فلا يغمضونها ولا يطبقونها لكنّها مفتوحة ممدودة من غير تحريك الأجفان.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي خلاء خالية عن العقول، وصفت الأفئدة بالهواء إذا كان صاحبها لا قوة في قلبه ولا جرأة، قال حسان:

فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ(٢)

وعن ابن جريج: (هواء: صفر من الخير خاوية منه)(٣).

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ مفعول ثان لـ﴿أَنْذِرِ﴾ وهو يوم القيامة.

﴿أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ردّنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك، ويجوز أن يكون المراد يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذّبين فيسألون يومئذ تأخيرهم إلى أجل كما في قوله: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾(٤).

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ على إرادة القول، أي: حلفتم ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ انتقال إلى دار أخرى، أو قلتم ذلك بلسان الحال حيث بنيتم شديداً وأمّلتم

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٣: ١٥٧.

(٢) ديوان حسان بن ثابت ج١: ١٨، وصدره: ألا أبلغ أبا سفيان عني.

(٣) الكشاف ج٢: ٥٦٤.

(٤) المنافقين: ١٠.

بعيداً. و﴿مَا لَكُم﴾ جواب القسم وإن جاء بلفظ الخطاب.

يقال: سكن الدار وسكن فيها، من السكنى أو من السكون، أي: اطمأننتم فيها طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلكم في الظلم. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بالإخبار والمشاهدة ﴿كَيْفَ﴾ أهلكناهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فلم تعتبروا.

وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ العظيم.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ يمكن أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأوّل، والمعنى: وعند الله مكرهم يجازيهم عليه، وأن يكون مضافاً إلى المفعول، والمعنى: وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: وإن كان مكرهم لعظمه وكبره يكاد يزيل الجبال عن أماكنها. وعلى هذا تكون (إن) هي المخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لِتَزُولَ﴾ هي الفارقة. وقد جعلت (إن) نافية واللام مؤكدة لها، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1]، أي: وما كان مكرهم لتزول منه

(١) البقرة: ١٤٣.

ما هو مثل الجبال من دلائل النبيّ ﷺ وشرائعه في الثبات والتمكّن. وقرأ عليّ عليه السلام وعمر وابن مسعود: وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ مثل قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾[١]، ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ [أَنَا وَرُسُلِي﴾[٢]، وقدّم الوعد ليعلم أنّه لا يخلف الوعد أصلاً، ثمّ قال][٣]: ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ ليؤذن أنّه إذا لم يخلف أحداً وعده، فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته من عباده؟!.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾ أو على الظرف للانتقام، والمعنى: يوم تبدّل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غيرها، وكذلك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾. والتبديل: التغيير، وقد يكون في الذوات كقولك: بدّلت الدراهم دنانير، ومنه: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٤]، ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾[٥]، وقد يكون في الأوصاف كقولك: بدّلت الحلقة خاتماً: إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل. واختلف في تبديل الأرض والسماوات، فقيل: تبدّل أوصافها فتسير على الأرض جبالها، وتفجّر بحارها، وتسوّى فلا يرى فيها عوج ولا أمت[٦]، وقيل: تخلق أرض وسماوات أخر[٧].

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين، أو مغللين قرنت أيديهم

(١) غافر: ٥١.

(٢) المجادلة: ٢١.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) النساء: ٥٦.

(٥) سبأ: ١٦.

(٦) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٤: ٩١.

(٧) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٣: ١٦٤.

إلى أرجلهم ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: الأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي: قميصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ وهو ما يطلى به الإبل الجربى فيحرق الجرب والجلد. وقرئ: من قِطْرَانٍ، والقطر: النحاس أو الصفر المذاب، والآني: المتناهي حرّه.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ خصّ الوجوه لأنّ الوجه أعزّ موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه، ولذلك قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[1].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ﴾ هو من صلة قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يفعل بهم ما يفعل ليجزي الله ﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: كفاية للتذكير والموعظة، ويعني بها ما وصفه من قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ معطوف على محذوف، أي: لينصحوا ولينذروا به أي: بهذا البلاغ ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لأنّ الخوف يدعو إلى النظر الموصل إلى التوحيد، وقيل: معناه: هذا القرآن عظة بالغة كافية للناس، أنزل ليبلّغوا [ولينذروا بما فيه من الوعيد، وليعلموا][2] أنّما هو إله واحد بالنظر في الأدلة المؤدية إلى التوحيد المثبتة في القرآن، وليتذكر وليتعظ به ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقول والنهى.

(١) الهمزة: ٧.

(٢) ساقطة من ج.

سورة الحجر

مكية، وهي تسع وتسعون آية بلا خلاف.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمّد ﷺ))[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟
وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾

﴿رُّبَمَا﴾ قرئ بتشديد الباء وتخفيفها، ودخلت على الفعل المضارع وإن كانت إنّما تدخل على الماضي، فإنّها إنّما تدلّ على أمر قد مضى، لأنّ المترقب في إخبار الله عزّوجل بمنزلة الماضي المقطوع به في التحقق، فكأنّه قال: ربّما ودّوا. والمعنى:

(١) الكشف والبيان ج٥: ٣٣٠.

ربّما يتمنى الكفار يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، [فقالوا: يا ليتنا كنا مسلمين][(١)]. وروي: أنّ ذلك يكون إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار[(٢)].

و﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ حكاية ودادتهم.

﴿ذَرۡهُمۡ﴾ أي: اقطع طمعك منهم ودعهم عن النهي عما هم عليه وخلّهم ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم، ويشغلهم أملهم الكاذب عن اتباعك ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم. وهذا إيذان بأنّهم لا ينفعهم الوعظ ولا ينجع فيهم النصح، ومبالغة في الإنذار وإلزام للحجّة.

﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ﴾ صفة لـ﴿قَرۡيَةٍ﴾، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾[(٣)]، وإنّما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما تقول في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب. ومعناه: مكتوب ﴿مَّعۡلُومٞ﴾ وهو أجلها الذي كتب في اللوح، ألا ترى إلى قوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ في موضع كتابها، وأنّث الأمة أوّلاً ثمّ ذكّرها ثانياً حملاً على اللفظ والمعنى، وأراد: ﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ عنه فحذف.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ كان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[(٤)]. والمعنى: إنّك لتقول قول المجانين حين تدّعي أنّ الله تعالى نزّل عليك الذكر.

وركبت ﴿لَوۡ﴾ مع ﴿لَا﴾ و﴿مَا﴾ لمعنيين: أحدهما: امتناع الشيء لوجود

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) الدر المنثور ج٤: ٩٢.

(٣) الشعراء: ٢٠٨.

(٤) الشعراء: ٢٧.

غيره، والآخر: التحضيض، وأما (هل) فلم تركب إلا مع (لا) وحدها للتحضيض، قال ابن مقبل:

لَوْمَا الحَيَاءُ وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي[١]

والمعنى: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك، أو هلا يأتوننا الملائكة للعقاب على تكذيبنا إيّاك.

ما تنزل، أي: ما تتنزل الملائكة، وقرئ: ﴿نُنَزِّلُ﴾ بالنونين ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بالنصب، وقرئ: تنزل الملائكة، على البناء للمفعول.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا تنزيلاً ملتبساً بالحقّ أي: بالحكمة والمصلحة، وقيل: بالوحي أو بالعذاب[٢].

و﴿إِذًا﴾ جواب وجزاء، والتقدير: لو نزّلنا الملائكة ما كانوا ﴿مُّنظَرِينَ﴾ أي: مؤخّرين ممهلين، والمعنى: لا نمهلهم ساعة.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ
نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا

---

(١) ديوان ابن مقبل:٧٦، وفيه: لولا الحياء....

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٤: ٦.

﴿لِلنَّاظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾

هذا ردّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأكّد عليهم إنّه هو المنزّل للقرآن على القطع والثبات، وإنّه حافظه من كل زيادة ونقصان وتغيير وتحريف، بخلاف الكتب المتقدّمة فإنّه لم يتول حفظها وإنّما استحفظها الربّانيين ولم يكل القرآن إلى غير حفظه، وعن الفراء: (يجوز أن يكون الضمير في ﴿لَهُ﴾ لرسول الله ﷺ)[1]، كقوله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: في فرقهم وطوائفهم، والشيعة: الفرقة إذا اتفقوا في مذهب وطريقة، أي: نبأنا من قبلك رسلاً فيهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية، لأنّ (ما) لا يدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال.

والضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾ للذكر، وسلكت الخيط في الإبرة وأسلكته: أدخلته فيها ونظمته، أي: مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، على معنى: إنّه يلقيه في قلوبهم مكذباً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها تقول: كذلك أنزلها باللئام، يعني: هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية.

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في محلّ النصب على الحال أي: غير مؤمنين به، أو هو بيان

---

(١) معاني القرآن للفراء ج٢: ٨٥.

(٢) المائدة: ٦٧.

لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾.

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين كذّبوا رسلهم، وهو وعيد.

وقرئ: ﴿يَعۡرُجُونَ﴾ بضم الراء وكسرها.

و﴿سُكِّرَتۡ﴾ بالتثقيل والتخفيف، والمعنى: حبست عن الإبصار، من السكر أو السكر، أي: كما يحبس النهر من الجري، يريد: إنّ هؤلاء المشركين بلغ من عنادهم أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسّر لهم معراج يصعدون فيه إليها لقالوا: هو شيء خيّل إلينا على غير حقيقة، بل قالوا: قد سحرنا محمّد بذلك، وقيل: الضمير للملائكة[1]، أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً ﴿لَقَالُوٓاْ﴾ ذلك. وذكر ﴿ظَلُّواْ﴾ ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرونه، وقال: ﴿إِنَّمَا﴾ ليدلّ على أنّهم يقطعون بأنّ ذلك ليس إلا تسكيراً لأبصارهم.

﴿مَنِ ٱسۡتَرَقَ﴾ في محلّ النصب على الاستثناء. عن ابن عباس: (إنّهم كانوا لا يحجبون عن السماوات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمّد ﷺ منعوا من السماوات كلها)[2].

﴿شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾ أي: ظاهر للمبصرين.

وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ
مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ٨.

(٢) الكشف والبيان ج٥: ٣٣٣.

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها وجعلنا لها طولاً وعرضاً ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثابتة. والموزون: المقدر المعلوم، وزن بميزان الحكمة، أو الذي له وزن وقدر في أبواب المنفعة، وقيل: هو ما يوزن نحو الذهب والفضة وغيرهما[1].

﴿مَعَٰيِشَ﴾ بياء صريحة بخلاف الشمائل ونحوها فإنّها تهمز وتصريح الياء فيها خطأ، أو يخرج الياء بين بين.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ عطف على ﴿مَعَٰيِشَ﴾ أو على محلّ ﴿لَكُمْ﴾، كأنّه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين، وأراد بهم العيال والمماليك الذين يحسبون أنّهم يرزقونهم وإنّما الله رازقهم وإياهم. ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾.

وما ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ ينتفع به العباد ﴿إِلَّا﴾ ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه، وضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ أي: وما نعطيه ﴿إِلَّا﴾ بمقدار ﴿مَّعْلُومٍ﴾ نعلم أنّه مصلحة لهم.

﴿لَوَٰقِحَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنّ معناها الملاقح، جمع ملقحة، كما قال الشاعر:

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٤: ١٢.

وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[(١)]

أراد المطاوح جمع مطيحة.

والثاني: أنّه يقال: ريح لاقح: إذا جاءت بخير، وضدّها العقيم، ونحوه: سحاب ماطر.

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فجعلناه لكم سقياً.

﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ أي: نحن الخازنون للماء، القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، ولا تقدرون على ذلك.

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كله، وهو استعارة من وارث الميت، لأنّه يبقى بعد فناء الموروث منه. وفي حديثه صلوات الله عليه وآله: ((اللهم متّعنا بأبصارنا وأسماعنا واجعله الوارث منا))[(٢)].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ من استقدم ولادة وموتاً ومن استأخر، أي: تأخّر من الأوّلين والآخرين، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدّم في الإسلام، أو في صف الجماعة ومن تأخّر.

﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم مع كثرتهم ووفور عدتهم.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ باهر الحكمة ﴿عَلِيمٌ﴾ واسع العلم، أحاط بكل شيء علماً.

---

(١) البيت لنهشل بن حري. خزانة الأدب ج١: ٢٩٧، وصدره: ليبك يزيد ضارع لخصومه.

(٢) كتاب الزهد والرقائق: ١٤٥، وينظر: الكافي ج٢: ٥٧٨.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، فإذا طبخ فهو فخار. والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصور، وسنة الوجه: صورته، وقيل: هو المصبوب المفرغ كأنّه أفرغ حتى صار صورة[1]، وحقّ ﴿مَّسْنُونٍ﴾ - بمعنى: مصوّر - أن يكون صفة لـ﴿صَلْصَٰلٍ﴾، كأنّه أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل، ثمّ غيرّ بعد ذلك فصير إنساناً.

﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ للجن كآدم للناس.

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ من نار الحر الشديد النافذ في المسام.

واذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ وقت قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: عدّلت خلقته

(١) مجاز القرآن ج١: ٣٥١.

وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ معناه: أحييته، وليس ثمّ نفخ ولا منفوخ فيها، وإنّما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه.

﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ حذف حرف الجر مع (أن) والتقدير: مالك في أن لا تكون ﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، والمعنى: أي غرض لك في إبائك السجود، وأي داع لك إليه؟.

﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ [اللام لتأكيد النفي، أي: لا يصحّ مني أن أسجد ويستحيل مني ذلك][1].

﴿رَجِيمٌ﴾ مرجوم، ملعون، مطرود من الرحمة، مبعد منها، والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود إلى الجنّة، أو إلى السماء، أو إلى الملائكة.

و﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ في معنى واحد، خولف بين العبارات سلوكاً لطريق البلاغة، وقيل: إنّما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت، لأنّه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى ذلك وأُنظر إلى آخر أيّام التكليف.

﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للقسم و(ما) مصدرية، وجواب القسم ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، والمعنى: أقسم بإغوائك إيّاي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾، ومعنى إغوائه إيّاه: تسبيبه لغيّه بأن أمره بالسجود لآدم فأفضى ذلك إلى غيّه، وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن الملعون اختار الاستكبار فهلك وغوى باختياره.

---

(١) ساقطة من ج.

ويجوز أن لا يكون ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ قسماً ويقدّر قسم محذوف، ويكون المعنى: بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم، بأن أزيّن لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في الدنيا التي هي دار الغرور، كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[1]، أو أراد: لأجعلن مكان التزيين عندهم الأرض][2] ولأوقعن تزييني فيها، أي: لأزيننها في أعينهم حتى يستحبّوها على الآخرة ويطمئنوا إليها. ثمّ استثنى ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ لأنّه علم أنّهم لا يقبلون قوله.

قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

أي: ﴿هَـٰذَا﴾ طريق حقّ ﴿عَلَيَّ﴾ أن أراعيه، وهو أن لا يكون لك ﴿سُلْطَـٰنٌ﴾ على عبادي إلا من اختار منهم متابعتك لغوايته. وقرئ: صِرَاطٌ عَلِيٌّ، وهو من علو الشرف والفضل.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير لـ﴿ٱلْغَاوِينَ﴾.

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) ساقطة من ج.

وأبواب جهنم: أطباقها، بعضها فوق بعض.

﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي: نصيب مفروض.

والمتقون: الذين يتقون ما يجب عليهم اتقاؤه مما نهوا عنه، يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين مسلّمين من الآفات ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الإخراج منها.

والغل: الحقد الكامن في القلب، معناه: وأزلنا ما كان في قلوبهم من أسباب العداوة في الدنيا، وقيل: معناه: طهّرنا قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنّة.

و﴿إِخْوَٰنًا﴾ نصب على الحال، و﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ كذلك: أي: كائنين على مجالس السرور متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾ تعب وعناء.

ثمّ قرر ما ذكره من الوعد ومكّنه في نفوسهم بقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا﴾ وحدي ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ للذنوب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الكثير الرحمة ﴿وَأَنَّ عَذَابِى﴾ هو المستأهل لأن يسمّى أليماً، فارجوا رحمتي وخافوا عذابي.

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا
قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ
عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ
تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ
﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ عطف على ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾، أي: وأخبرهم عنهم ليتخذوا ما أحلّ بقوم لوط من العذاب عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين، ويتحقّقوا عنده أنّ عذابه هو العذاب الأليم.

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي: نسلّم عليك سلاماً، أو سلّمت سلاماً.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، وكان خوفه لأنّهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت، أو لامتناعهم من الأكل.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، المعنى: إنّك آمن مبشّر فلا توجل.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ مع مس ﴿ٱلْكِبَرُ﴾ بأن يولد لي؟ أي: أنّ الولادة أمر عجيب مع الكبر.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ وهي (ما) الاستفهامية دخلها معنى التعجب، كأنّه قال: فبأي أعجوبة تبشّرون؟!. وقرئ بفتح النون وكسرها، على حذف نون الجمع، والأصل تبشّرونن، وقرئ بإثبات الياء تبشّروني، وتبشرونّ ـ بإدغام نون الجمع في نون العماد ـ.

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باليقين الذي لا لبس فيه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ أي: الآيسين. وقرئ: ﴿يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها.

﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي: المخطئون سبيل الصواب، يعني: لم أستنكره قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة الجارية بين الخلق.

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنكم الذي بعثتم له؟.

وقوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إن كان استثناء من ﴿قَوْمٍ﴾ كان منقطعاً، لأنّ

القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وإن كان استثناء من الضمير في ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾ كان متصلاً، كأنّه قال: ﴿إِلَىٰ قَوۡمٖ﴾ قد أجرموا كلهم إلا آل لوط.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من الضمير المجرور في ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ وليس استثناء من الاستثناء.

﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ تعليق، لأنّ التقدير يتضمّن معنى العلم، ولذلك فسّر العلماء تقدير الله تعالى أعمال العباد بالعلم، وإنّما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو لله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص بالله، كما يقول خاصة الملك: فعلنا كذا وأمرنا بكذا، والمدبر والآمر هو الملك لا هم. وقرئ: قَدَرْنَا بالتخفيف، وكذلك في النمل[1].

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾
قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا
يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ
ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا
تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ
إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن
سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ
﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الآية: ٥٧.

﴿مُّنكَرُونَ﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشرّ، يدلّ عليه قولهم: ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وتتوعدهم بنزوله فيمترون أي: يشكون فيه.

﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين عن عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الإخبار بنزوله بهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ قرئ بقطع الهمزة ووصلها، من سرى وأسرى.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وهو من آخره بعدما يمضي أكثر الليل.

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي: اقتف آثارهم وكن وراءهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلف أحد منهم.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ما خلف ورائه في المدينة، أو هو كناية عن مواصلة السير وترك التوقف، لأنّ من يلتفت لابد له في ذلك من أدنى وقفة.

﴿وَٱمْضُواْ﴾ أي: اذهبوا إلى ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي: إلى الموضع الذي أمرتم بالذهاب إليه وهو الشام. وعدّي ﴿امْضُوا﴾ إلى ﴿حَيْثُ﴾ كما يعدّى إلى الظرف المبهم، لأنّ (حيث) مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في تؤمرونه.

وعدّي ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ بـ(إلى) لأنّ المعنى: وأوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ مقضياً، وفسّر ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه وتفسيره تعظيم للأمر. وقرئ: إنّ ـ بالكسر ـ على الاستئناف، كأنّ قائلاً قال: أخبرنا عن ذلك الأمر؟ فقيل: إنّ دابر هؤلاء مقطوع. ودابرهم: آخرهم، يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

﴿مُصۡبِحِينَ ﴾أي: داخلين في وقت الصبح.

﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وهي سدوم التي يضرب بقاضيها المثل في الجور[١]، مستبشرين بالملائكة.

﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾ بفضيحة ضيفي، لأنّ من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه.

﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾ ولا تذلوني بإذلال ضيفي، من الخزي، أو لا تشوروا بي، من الخزاية وهي الحياء.

﴿عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم، وهو ما أوعدوه من قولهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[٢]، وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم[٣].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ إشارة إلى النساء، لأنّ كل أمّة أولاد نبيّها، أي: هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلّوا بنيّ فلا تتعرضوا لهم.

﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ شك في قبولهم لقوله، فكأنّه قال: إن فعلتم ما أقوله لكم وما أظنكم تفعلون، وقيل: معناه: إن كنتم متزوجين[٤].

﴿ لَعَمۡرُكَ ﴾ أي: وحياتك يا محمّد ومدة بقائك، وعن المبرد: (هو دعاء معناه: أسأل الله عمرك)[٥]. وتقديره: لعمرك مما أقسم به، والعَمر والعُمر واحد إلا أنّهم

---

(١) يقال: أجور من قاضي سدوم. مجمع الأمثال ج١: ٣٣٩.

(٢) الشعراء: ١٦٧.

(٣) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٤: ٣٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ١٨٣.

(٥) الكامل في اللغة والأدب ج٤: ١٦٥ بالمعنى.

خصّوا القسم بالمفتوح لخفة الفتحة.

﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ أي: في غوايتهم التي أذهبت عقولهم يتحيّرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ وهي صيحة جبرئيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في الشروق وهو طلوع الشمس.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين عليه كتاب.

والمتوسّم: المتفرّس المتأمّل المتثبّت في نظره حتى يعرف حقيقة سمة الشيء. الصادق عليه السلام: ((نحن المتوسّمون))[1]، وفي الحديث: ((إنّ لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم))[2].

﴿وَإِنَّهَا﴾ وإن آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار، وهي تنبيه لقريش، كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾[3].

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا
لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾
وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ
بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ
﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

---

(١) الاختصاص: ٣٠٣.

(٢) معجم الطبراني الاوسط ج٣: ٢٠٧.

(٣) الصافات: ١٣٧.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ قوم شعيب، وتقديره: وإنّه كان أصحاب الأيكة ظالمين.

﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني: قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ لبطريق واضح يؤم ويتبع ويهتدى به.

و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾: ثمود، والحجر: واديهم، وهو بين المدينة والشام.

﴿ءَامِنِينَ﴾ من أن تنهدم بيوتهم ومن نقب اللصوص لوثاقتها واستحكامها، أو آمنين من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه.

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ فما دفع عنهم العذاب ﴿مَّا كَانُواْ﴾ يكسبونه من البناء الوثيق والمال والعدد.

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: إلا خلقاً ملتبساً بالحقّ والحكمة والثواب لا باطلاً وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾ فينتقم الله لك فيها من أعدائك، ويجازيك وإياهم وجميع الخلائق على أعمالهم.

﴿فَٱصۡفَحِ﴾ أي: فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ
عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ
أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ

﴿بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾
ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿سَبْعًا﴾ أي: سبع آيات وهي الفاتحة، أو سبع سور وهي السبع الطوال، والسابعة الأنفال وبراءة لأنّهما في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما بـ(بسم الله الرحمن الرحيم). والأوّل أصحّ.

و﴿ٱلْمَثَانِي﴾ من التثنية وهو التكرير، لأنّ الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة، أو من الثناء لاشتمالها على الثناء على الله، والواحدة مثناة: مفعلة، أي: موضع ثناء أو تثنية، و﴿مِن﴾ إما للبيان أو للتبعيض.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تطمح ببصرك ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً من المشركين من أنواع النعم طموح راغب فيه متمن له، واستغن بما أوتيت من النعمة التي كل نعمة - وإن عظمت - فهي بالإضافة إليها نزرة يسيرة وهي القرآن العظيم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا فيتقوى بهم الإسلام وأهله، وتواضع لمن معك من المؤمنين، وطب نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أنّ عذاب الله نازل بكم، وأبيّن لكم ما تحتاجون إليه وما أرسلت به إليكم.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على اليهود والنصارى وهم المقتسمون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ إذ قالوا بعنادهم: بعضه حقّ موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما، فاقتسموه

إلى حقّ وباطل وعضوه.

والثاني: أن يتعلّق بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ أنذركم عذاباً مثل ما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة أيّام الموسم، وهم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة فقعدوا في كل مدخل ينفّرون الناس عن الإيمان برسول الله، يقول بعضهم: لا تغترّوا بالخارج منا والمدّعي النبوّة فإنّه ساحر، ويقول الآخر: كذّاب، والآخر: شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات.

﴿عِضِينَ﴾ أجزاء، جمع عضة، وأصله عضوة، فعلة من عضا الشاة إذا جعلها أعضاء.

﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ عبارة عن الوعيد، وقيل: نسألهم سؤال توبيخ وتقريع:لم عضيتم؟![1].

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجّة: إذا تكلّم بها جهاراً، من الصديع وهو الصبح، والأصل: بما تؤمر به من الشرائع، فحذف الجار، كما في قول الشاعر:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ[2]

ثمّ حذف ضمير المفعول، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، أي: بأمرك، وهو مصدر من المبني للمفعول.

والمستهزئون: خمسة نفر ذوو أسنان وشرف: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن عبد مناف، والحارث بن

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٤: ٤٦.

(٢) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ٣١، وبقيته: فقد تركتك ذا مال وذا نشب.

الطلاطلة، ماتوا كلهم قبل بدر. قال جبرئيل للنبيّ ﷺ: (أمرت أن أكفيكهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمرّ وهو يجرّ ثوبه، فتعلّقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها، فخدشت ساقه فمات من ذلك؛ وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فوطأ شبرمة[١] فدخلت فيها وقال: لدغت، ولم يزل يحكّها حتى مات؛ وأشار إلى عيني الأسود فعمي، وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى مات؛ وأشار إلى أنف الحارث فامتخط قيحاً فمات؛ وأشار إلى بطن الأسود فاستسقى فمات)[٢].

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

أي: ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك، والطعن فيك وفي القرآن.

﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فافزع إلى الله عزّ اسمه فيما يأتيك، يكشف عنك الغم ويكفيك المهم.

﴿وَكُن مِّنَ﴾ الذين يسجدون لله. كان صلوات الله عليه وآله وسلم إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة[٣].

ودم على عبادة ﴿رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي: الموت، يعني: مادمت حياً.

(١) الشبرمة واحدة الشبرم وهي شجرة شاكة لها زهرة حمراء. (اللسان: مادة شبرم)

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام ج٢: ٥٠ ـ ٥٢.

(٣) سنن أبي داود ج٢: ٣٦ح١٣١٩، ينظر: الكافي ج٣: ٤٨٠.

سورة النحل

وتسمّى أيضاً سورة النعم، أكثرها مكي، مائة وثمان وعشرون آية بلا خلاف.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها لم يحاسبه الله تعالى على النعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا، وإن مات في يوم تلاها أو ليلة أُعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأها في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص، وكان مسكنه في جنّة عدن وهي وسط الجنان))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ
مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ٥ باختصار.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦
وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ
إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧

قرب ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بعذاب هؤلاء الكفار، أو أتى أمر القيامة، أي: هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه.

﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ كانوا يستعجلون ذلك كما حكى الله عنهم قولهم: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[(١)].

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ تبرأ عزّ وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء فتكون (ما) موصولة، أو عن إشراكهم فتكون مصدرية، وقرئ: يشركون بالياء والتاء.

وقرئ: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد، و﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بالنصب، وقرئ: تنزل الملائكة، أي: تتنزل ﴿بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد.

و﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ بدل من الروح أي: ينزلهم بأن أنذروا، والتقدير: بأنّه، والضمير للشأن أي: بأنّ الشأن أقول لكم: أنذروا، أو تكون ﴿أَنۡ﴾ مفسّرة، لأنّ تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى أنذروا: أعلموا بأنّه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ من نذرت بكذا: إذا علمته، أي: يقول لهم: أعلموا الناس قولي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

ثمّ دلّ على وحدانيته وأنّه لا إله إلا هو بذكر ما لا يقدر عليه غيره من خلق

---

(١) الأنفال: ٣٢.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وخلق ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وما يصلحه وما لابد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلقه تعالى وجلّ من أن يشرك به غيره.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ معناه: فإذا هو مجادل للخصوم، منطيق، مبين عن نفسه بعدما كان نطفة جماداً، وقيل: فإذا هو خصيم لربّه، منكر لخالقه.

و﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ الأزواج الثمانية، وأكثر ما يقع على الإبل، وانتصب بفعل مضمر يفسّره الظاهر. والدفء: اسم ما يدفأ به، كالملء اسم ما يملأ به، وهو اللباس المعمول من صوف أو وبر أو شعر.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ هي نسلها ودرّها وغير ذلك من الحمل والركوب وإثارة الأرض.

ومنّ سبحانه بالتجمّل بها كما منّ بالانتفاع بها، لأنّها من أغراض أصحاب المواشي، لأنّهم إذا أراحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزيّنت الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء، فرحت أربابها وأجلّهم الناظرون إليها، فكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، وقدّم الإراحة على السرح لأنّ الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع.

وقرئ: ﴿بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ بفتح الشين وكسرها، وهما لغتان في معنى المشقة، والفرق بينهما: أنّ المفتوح مصدر شقّ الأمر عليه، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشِّق: فالنصف، كأنّه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد.

والمعنى: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ﴾ بعيد ﴿لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ في التقدير: لو لم يخلق الإبل، إلا بجهد أنفسكم ومشقتها. ويجوز أن يكون المعنى: لم

تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس، وقيل: إنّ البلد مكة[١].

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

عطف ﴿الْخَيْلَ﴾ على ﴿الْأَنْعَامَ﴾، أي: خلق هؤلاء للركوب وللزينة، وعطف ﴿زِينَةً﴾ على محلّ ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ ولم يرد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد، لأنّ الركوب فعل المخاطبين، والزينة فعل الزائن وهو الخالق عزّ اسمه.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أنواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم.

والمراد بالسبيل: الجنس، ولذلك أضاف إليها القصد وقال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، والقصد مصدر بمعنى الفاعل، سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم، كأنّه

(١) عن عكرمة. معالم التنزيل ج٢: ٢٠٢.

يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: إنّ هداية الطريق الموصل إلى الحقّ واجبة عليه، ونحوه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾(١).

﴿وَمِنْهَا﴾ أي: ومن السبيل ﴿جَآئِرٌ﴾ عن القصد، فأعلم سبحانه بأنّ السبيل العادل عن الحقّ لا يضاف إليه بقوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، ولو كان الأمر على ما ظنه المجبّرة لقال: وعليه جائرها أو وعليه الجائر.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قسراً وإلجاءً إلى السبيل القصد.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: مطراً ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ أي: لكم هو شراب كقوله:

يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ(٢)

والشراب: ما يشرب.

وقوله: ﴿شَجَرٌ﴾ يعني: الشجر الذي ترعاه المواشي، وقيل: معناه لكم من ذلك الماء شراب ﴿وَمِنْهُ﴾ شرب ﴿شَجَرٌ﴾ أو سقي شجر فحذف المضاف، أو لكم من إنباته شجر أو من سقيه شجر فحذف المضاف إلى الهاء في ﴿وَمِنْهُ﴾ كما قال زهير:

أَمِـنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تُكَلَّـمِ(٣)

أي: من ناحية أم أوفى.

---

(١) الليل: ١٢.

(٢) البيت لأعشى باهلة. ملحق ديوان الأعشى: ٢٦٧، وصدره: أخو رغائب يعطيها ويسألها.

(٣) شعر زهير بن أبي سلمى: ٤٢. وبقيته: بحومانة الدراج فالمتثلم.

﴿تُسِيمُونَ﴾ من سامت الماشية: إذا رعت فهي سائمة وأسمتها أنا.

وقرئ: ﴿يُنۢبِتُ﴾ بالياء والنون.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (من) للتبعيض، لأنّ كل الثمرات لا تكون إلا في الجنّة، وأنبت في الأرض بعض من كلها.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ ينظرون فيستدلّون بها عليه وعلى كمال حكمته وقدرته.

[﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾][(١)] قرئ جميعها بالنصب، فيكون المعنى: وجعل النجوم مسخرات، إذ لا يصلح أن يقال: وسخّر النجوم مسخّرات، ويجوز أن يكون المعنى: أنّه سخّرها أنواعاً من التسخير، جمع مسخّر، بمعنى تسخير، من قولك: سخّره الله مسخّراً، فكأنّه قال: وسخّرها لكم تسخيرات بأمره. وقرئ بنصب ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر، وقرئ: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ بالرفع وما قبله بالنصب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ جمع الآية هنا، لأنّ الآثار العلوية أظهر دلالة للعقلاء على عظمة الله وباهر قدرته.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾ معطوف على ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، يعني: ما خلق فيها من حيوان ونبات وغير ذلك من أنواع النعم مختلف الهيئات والأشكال لا يشبه بعضها بعضاً.

وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أي: ذلّله لكم وسهل لكم الطريق إلى ركوبه، واستخراج ما فيه من المنافع.

وأراد باللحم الطري: السمك، وصفه بالطراوة لأنّ الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله لئلا يفسد، والحلية: هي اللؤلؤ والمرجان.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: تتزينون بها وتلبسونها نساءكم.

﴿مَوَاخِرَ﴾ أي: شواق لماء البحر بحيازيمها، وعن الفراء: (المخر: صوت جري الفلك بالرياح)[١]. وابتغاء الفضل: التجارة.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب.

﴿وَأَنْهَارًا﴾ وجعل فيها أنهاراً، لأنّ في ﴿أَلْقَىٰ﴾ معنى (جعل)، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[٢].

﴿وَسُبُلًا﴾ أي: طرقاً ﴿تَهْتَدُونَ﴾ بها إلى حيث شئتم من البلاد.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ وهي معالم الطرق وكل ما يستدلّ به المارة من جبل وسهل وغير ذلك. والمراد بالنجم: الجنس، كما يقال: كثر الدرهم في أيدي الناس،

---

(١) معاني القرآن للفراء ج٢: ٩٨.

(٢) النبأ: ٦، ٧.

وعن السدي: (هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي)[١]، وكأنّه سبحانه بتقديم النجم وإقحام ﴿هُمْ﴾ فيه والخروج من الخطاب إلى الغيبة أراد أنّ قريشاً ـ خصوصاً ـ لهم اهتداء بالنجوم خصوصاً في أسفارهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم فلذلك خصصوا. الصادقؑ: ((نحن العلامات، والنجم رسول الله ﷺ))[٢].

﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ أريد به الأصنام، وجعل (من) فيما لا يعقل لما اتصل بذكر الخالق أفلا تتذكرون فتعتبرون.

﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي: لا تضبطوا عددها فضلاً عن أن تطيقوا القيام بشكرها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر نعمه ولا يقطعها عنكم.

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا
يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿يَدۡعُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء، نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون، وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخلق بأنّهم مخلوقون وأنّهم أموات وأنّهم جاهلون بالغيب، أي: لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات وأمرهم على العكس من ذلك.

---

(١) معالم التنزيل ج٢: ٢٠٣.

(٢) الكافي ج١: ٢٠٧.

والضمير في ﴿يُبۡعَثُونَ﴾ للداعين، أي: لا يشعرون متى يبعث عابدوهم، وفيه تهكّم بالمشركين، وأنّ آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم؟!.

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقّاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ سرّهم وعلانيتهم فيجازيهم، وهو وعيد.

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ
(٢٤) لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ
ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)
قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ
ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ
شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٢٧) ٱلَّذِينَ
تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ
مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٨) فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

﴿مَّاذَآ﴾ منصوب بـ﴿أَنزَلَ﴾ بمعنى: أيّ شيء أنزل ربّكم؟، أو مرفوع بالابتداء بمعنى: أيّ شيء أنزله ربّكم؟. فإذا نصبت فمعنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: ما يدّعون نزوله أساطير الأوّلين، وإذا رفعت فالمعنى: المنزل أساطير الأوّلين، أي: أحاديث الأوّلين وأباطيلهم.

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ أي: قالوا ذلك إضلالاً للناس وصدّاً عن رسول الله ﷺ، فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كَامِلَةٗ﴾ وبعض ﴿أَوۡزَارِ﴾ من أضلوهم، لأنّ

المضل والضال شريكان، هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله. وجاء باللام من غير أن يكون غرضاً، نحو قولك: خرجت من البلد مخافة الشرّ.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول، أي: يضلون من لا يعلم أنّهم ضلال، وإنّما وصف بالضلال من لا يعلم، لأنّه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحقّ والمبطل.

و﴿ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أساطين البناء، وقيل: الأساس[١]، وهذا تمثيل لاستئصالهم. والمعنى: إنّهم سووا منصوبات ليمكروا الله بها فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا، ومن أمثالهم: (من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً)[٢]. والمراد بإتيان الله: إتيان أمره. ﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ من جهة القواعد. وقرأ الصادق عليه السلام: فَأَتَى اللهُ بَيْتَهُمْ.

﴿يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يذلهم بعذاب الخزي، يعني: هذا لهم في الدنيا ثمّ العذاب في الآخرة.

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أضافهم إلى نفسه على طريق الاستهزاء بهم ليوبخهم بذلك.

﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ أي: تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم ومعناهم. وقرئ بكسر النون بمعنى: تشاقونني، لأنّ مشاقة المؤمنين كأنّها مشاقة الله.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هم: الأنبياء والعلماء من أممهم، وقيل: هم الملائكة[٣].

---

(١) تفسير الطبري ج١٤: ٦٧.

(٢) المستقصى في أمثال العرب ج٢: ٣٥٤.

(٣) تفسير ابن عباس ج٣: ٨٧.

﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ قرئ بالتاء والياء، وبإدغام التاء في التاء.

﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: تسالموا وأخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ جحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان في الدنيا، فردّ عليهم أولو العلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يجازيكم عليه، وهذا أيضا من الشماتة، وكذلك ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
(٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ
يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا
عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤)

﴿خَيْرًا﴾ أي: أنزل خيراً، ونصب هذا ورفع الأوّل فصلاً بين جواب المقرّ وبين جواب الجاحد، فهؤلاء أطبقوا الجواب على السؤال مفعولاً للإنزال فقالوا: خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأوّلين وليس من الإنزال في شيء.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وما بعده بدل من ﴿خَيْرًا﴾ حكاية لقول الذين اتقوا، أي: قالوا هذا القول، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عدة للقائلين.

﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: مكافأة في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خير منها.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدّم ذكره.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح.

﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، لأنّه في مقابلة ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ سلامة لكم من كل سوء.

﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض الأرواح ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب المستأصل أو القيامة.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنّهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ
وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا
فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ
فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ
فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن
تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار والضلال: أشركوا بالله وحرّموا

ما أحلّ الله وارتكبوا ما حرّمه، فلما نبهوا على قبح أفعالهم نسبوها إلى الله وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لم نفعلها ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا﴾ أن يبلّغوا الحقّ، وأنّ الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان.

﴿فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: ما من أمّة إلا وقد ﴿بَعَثْنَا﴾ فيهم ﴿رَّسُولًا﴾ يأمرهم بالخير الذي هو عبادة الله، وينهاهم عن الشرّ الذي هو اختيار[1] ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: لطف به لعلمه أنّه من أهل اللطف ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لتصميمه على الكفر.

﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ ما فعلت بـ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ حتى لا يبقى لكم شبهة في أنّي لا أريد الشر حيث أفعل ما أفعل بالأشرار.

ثمّ ذكر سبحانه عناد قريش، وحرص النبيّ ﷺ على إيمانهم، وعرّفه أنّهم ممن حقّت عليهم الضلالة، وأنّه ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ أي: لا يلطف بمن يخذله، وقيل: معناه: لا يهتدي[2]، يقال: هداه الله فهدي، وقرئ: لا يهدى على البناء للمفعول، والعائد إلى ﴿مَن﴾ الموصولة الهاء المحذوفة، أي: من يضله.

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا
عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ
﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد النفي، أي: بلى يبعثهم، و﴿وَعْدًا﴾ مصدر مؤكد لما

---

(١) في أ، ب، ج: اجتناب.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ج٢: ٩٩.

دلّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾، لأن ﴿يَبۡعَثُ﴾ موعد من الله. ثمّ بيّن أنّ الوفاء بذلك الوعد حقّ واجب عليه في الحكمة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنّهم يبعثون، أو أنّه وعد واجب على الله لأنّهم يقولون: لا يجب على الله شيء من مواجب الحكمة.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ الضمير لـ﴿مَن يَمُوتُ﴾ وهو عام للمؤمنين والكافرين.

و﴿ٱلَّذِي﴾ اختلفوا ﴿فِيهِ﴾ هو الحقّ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ﴾ كذبوا في قولهم: لا يبعث الله من يموت.

﴿قَوۡلُنَا﴾ مبتدأ، و﴿أَن نَّقُولَ﴾ خبره، و﴿كُن فَيَكُونُ﴾ من (كان) التامة، أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: أحدث فهو محدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل في أنّ مراداً لا يمتنع عليه، وأنّ وجوده عند إرادته مثل وجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل، ولا قول هناك. وقرئ: فَيَكُونَ ـ بالنصب ـ عطفاً على ﴿نَّقُولَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ
وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ
إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ
يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ هم رسول الله ﷺ وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، فهاجر بعضهم إلى الحبشة ثمّ بعد هاجروا إلى المدينة، وقيل: (هم الذين كانوا محبوسين بمكة بعد هجرة رسول الله ﷺ، وكلما خرجوا تبعوهم

وردّوهم، منهم بلال وصهيب[١] وعمار وخباب[٢])[٣].

﴿فِي ٱللَّهِ﴾ في حقّه ولوجهه.

﴿حَسَنَةً﴾ صفة لمصدر محذوف، أي: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ تبوئة حسنة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لَنُثْوِيَنَّهُمْ. ومعناه: إثواءة حسنة، أي: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، وقيل: لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم الأنصار ونصروهم[٤].

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير للكفار، أي: لو علموا أنّ الله يجمع للمهاجرين الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم، ويجوز أن يكون الضمير للمهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: هم الذين صبروا، أو أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح، صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن وعلى الجهاد.

قالت قريش: الله لا يرسل إلينا بشراً مثلنا، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ على ألسنة الملائكة ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ وهم أهل الكتاب ليعلموكم أنّه سبحانه لم يبعث إلى من تقدّم من الأمم إلا البشر، وقيل: إنّ أهل

---

(١) صهيب بن سنان الرومي، الصحابي المشهور،كان من السابقين إلى الإسلام، مات بالمدينة سنة ٣٨ هـ، وقيل سنة ٣٩ هـ. ينظر: الاستيعاب ج٢: ١٧٤، معجم رجال الحديث ج٩: ١٤٧.

(٢) خباب بن الأرت التميمي، الصحابي الجليل، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع النبيّ صلى الله عليه وآله مات بالكوفة سنة ٣٧ هـ. ينظر: الاستيعاب ج١: ٤٢٣، معجم رجال الحديث ج٧: ٤٧.

(٣) أسباب النزول: ١٩٦.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ٧٣.

الذكر: أهل القرآن، والذكر: القرآن[١]، وقيل: أهل العلم[٢]. وعن الباقر عليه السلام: ((نحن أهل الذكر))[٣].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يتعلّق بـ﴿مَا أَرْسَلْنَا﴾ ويدخل تحت الاستثناء، أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبيّنات، كما تقول: ما ضربت إلا زيداً بالسوط، وأصله: ضربت زيداً بالسوط، أو يتعلّق بـ﴿رِجَالًا﴾ صفة له، أي: رجالاً ملتبسين بالبيّنات، أو بـ﴿نُّوحِىٓ﴾ أي: نوحي إليهم بالبيّنات، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [اعتراض.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآن، إنّما سمّي ذكراً لأنّه موعظة وتنبيه للغافلين.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا﴾ نزل الله ﴿إِلَيْهِمْ﴾ في الذكر][٤] مما أمروا به ونهوا عنه إرادة أن يتفكروا فينتبهوا.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ
فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ
ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٤: ٧٥.

(٢) تفسير الماوردي ج٣: ١٨٩.

(٣) الكافي ج١: ٢١١، تفسير الطبري ج١٤: ٧٥.

(٤) ساقطة من ج.

أي: ﴿مَكَرُواْ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يريد: أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ حال، أي: متقلبين في أسفارهم ومتاجرهم.

﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ أي: متخوّفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوّفوا، أي: ﴿يَأۡخُذَهُمۡ﴾ العذاب وهم متخوّفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، وقيل: معناه: على تنقّص[1]، أي: يأخذهم على أن يتنقّصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ حيث يحلم عنكم ولا يعذّبكم عاجلاً.

وقرئ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، و﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ بالتاء والياء.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة، وهو مبهم بيانه: ﴿مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾.

و﴿ٱلۡيَمِينِ﴾ بمعنى الأيمان ﴿سُجَّدٗا﴾ حال من الظلال ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ لأنّه في معنى الجمع، وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو والنون لأنّ الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأنّ في جملة ذلك من يعقل فغلّب العقلاء. والمعنى: أوَ لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيّئة عن أيمانها وشمائلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، مستعار من يمين الإنسان وشماله، أي: يرجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيّؤ، والأجرام في أنفسها ـ أيضاً ـ داخرة صاغرة منقادة لأفعال الله فيها.

﴿مِن دَآبَّةٖ﴾ بيان لـ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جميعاً، على أنّ في

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ٧٨.

السماوات خلقاً لله يدبّون فيها، أو بيان لـ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وحده، ويراد بـ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الملائكة، وكرر ذكرهم على معنى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خصوصاً من بين الساجدين لأنّهم أعبد الخلق، أو يراد ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم، [والمراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم][1]: انقيادها لإرادة الله وأنّها غير ممتنعة عليه.

﴿يَخَافُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، أو استئناف لبيان نفي الاستكبار وتأكيده، لأنّ من خاف الله لم يستكبر عن عبادته.

﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ إن تعلّق بـ﴿يَخَافُونَ﴾ فالمعنى: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، وإن تعلّق بـ﴿رَبَّهُم﴾ فهو حال منه، أي: يخافون ربّهم غالباً لهم قاهراً، كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[2].

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ
(٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ
(٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ
تَجْـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

﴿إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ هو تأكيد للعدد ودلالة على العناية به، ألا ترى أنّك لو قلت: إنّما هو إله، ولم تؤكده بواحد لم يحسن، وخيل أنّك أثبت الإلهية لا الوحدانية.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ نقل الكلام من الغيبة إلى التكلّم على طريقة الالتفات، لأنّ الغائب هو المتكلّم، ولأنّه أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

يجيء ما قبله على لفظ التكلّم.

و﴿ٱلدِّينُ﴾: الطاعة، ﴿وَاصِبًا﴾ حال عمل فيها الظرف، والواصب: الواجب الثابت، لأنّ كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، ويجوز أن يكون من الوصب، أي: وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمّي تكليفاً، أو وله الجزاء دائماً ثابتاً سرمداً لا يزال يعني: الثواب والعقاب.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ أي: ما اتصل بكم من نعمة في النفس أو المال فهو من الله.

و﴿إِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ أي: فما تتضرّعون إلا إليه، والجؤار: رفع الصوت بالدعاء. وقرئ: تجرون، بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ يجوز أن يكون الضمير في ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ عاماً ويريد بالفريق فريق الكفرة، وأن يكون الخطاب للكفار، و﴿مِّنكُم﴾ للبيان لا للتبعيض، كأنّه قال: إذا فريق كافر وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر، كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾(1).

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنّهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة.

﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تخلية ووعيد، ويجوز أن يكون ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ و﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ من الأمر الوارد بمعنى الخذلان والتخلية، واللام لام الأمر.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ

---

(1) لقمان: ٣٢.

﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ
فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ
ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

أي: لما لا يعلمونها، يريد: آلهتهم، لأنّهم اعتقدوا فيها أنّها تضرّ وتنفع وتشفع وهي جماد، فهم إذاً جاهلون بها، وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة، أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم، أي: يتقرّبون إليها، فـ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لها ﴿نَصِيبًا﴾ في أنعامهم وزروعهم وهي لا تشعر بذلك.

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من الإفك في زعمكم أنّها آلهة، وأنّها أهل للتقرّب إليها.

زعموا أنّ الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه، أو تعجّب من قولهم.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين، ومحلّه نصب عطف على ﴿ٱلْبَنَـٰتِ﴾ أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهونه من الذكور، أو رفع على الابتداء.

و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: صار، كما يستعمل أصبح وأمسى وبات بمعنى الصيرورة، أي: صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ مربداً من الكآبة، فهو ﴿كَظِيمٌ﴾ مملوء حنقاً على المرأة.

﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾ يستخفي ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن﴾ أجل ﴿سُوٓءِ﴾ المبشّر ﴿بِهِۦٓ﴾ ويحدّث نفسه وينظر ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: يئده.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون الولد الذي هو عندهم بهذا المحلّ لله تعالى، ويجعلون لأنفسهم من هو على العكس من هذه الصفة.

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء، وهي الحاجة إلى الولد، أو صفة النقص من الجهل والعجز.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو صفات الإلهية والغنى عن الصاحبة والولد، والنزاهة عن صفات المخلوقين.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ
ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ
﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

﴿بِظُلْمِهِم﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم.

﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض، أي: لأهلك الدواب كلها بشؤم ظلم الظالمين، وقيل: ما ترك من دابة ظالمة تدبّ عليها[1]، وعن ابن عباس: (من مشرك)[2].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رئاستهم ومن الاستخفاف برسولهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿ٱلْكَذِبَ﴾.

---

(١) تفسير الماوردي ج٣: ١٩٦.

(٢) الكشاف ج٢: ٦١٣.

و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ بدل من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾، وهو قول قريش: لنا البنون، أو هو قولهم: إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فإنّ لنا الجنّة.

﴿مُّفْرَطُونَ﴾ قرئ مفتوح الراء ومكسورها، وبالتخفيف والتشديد، فالمفتوح بمعنى: مقدّمون إلى النار معجّلون إليها، من أفرطت فلاناً وفرّطته في طلب الماء، أي: قدّمته، وقيل: منسيون متروكون[١]، من أفرطت فلاناً خلفي: إذا خلّفته ونسيته. والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي، وبالتشديد من التفريط في الطاعات.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: فهو قرينهم في الدنيا، جعل ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ عبارة عن زمان الدنيا، ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، أي: زين ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ للكفار قبلهم ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فهو ولي هؤلاء لأنّهم منهم.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ عطف على محلّ ﴿لِتُبَيِّنَ﴾.

و﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ هو البعث، لأنّ بعضهم كان يؤمن به وأشياء من التحريم والتحليل.

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إنصاف وتدبر، لأنّ من لم يسمع بقلبه فكأنّه أصم.

وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ
تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ

---

(١) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ٨٦.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

وقرئ: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها، هاهنا وفي (المؤمنون)[1] وهو استئناف، كأنّه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: نسقيكم ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾. وإذا ذكّر ﴿الْأَنْعَامِ﴾ فعلى أن يكون اسماً مفرداً بمعنى الجمع، مثل نعم في قوله:

في كُلِّ عَـامٍ نَعَـمٌ تَحْوُونَـهُ ... يُلْقِحُـهُ قَـوْمٌ وَتَنْتِجُونَـهُ[2]

وإذا أنث فلأنّه تكسير (نعم)، والمعنى: أنّه سبحانه يخلق اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله عزّ اسمه لا يشوبانه ولا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله.

﴿سَائِغًا﴾ أي: سهل المرور في الحلق.

و﴿مِن﴾ الأولى للتبعيض، لأنّ اللبن بعض ما في بطونه، والثانية لابتداء الغاية، لأنّ بين الفرث والدم مكان الاستقاء الذي منه يبتدئ.

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ يتعلّق بمحذوف، والتقدير: ونسقيكم من ثمرات النخيل ﴿وَالْأَعْنَابِ﴾ أي: من عصيرها، و﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ بيان لكيفية الإسقاء، أو يتعلّق بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ وتكون ﴿مِنْهُ﴾ تكريراً للظرف للتوكيد، والهاء في ﴿مِنْهُ﴾ يعود إلى الثمرات، لأنّ الثمر بمعنى الثمرات، ويجوز أن يعود إلى موصوف محذوف و﴿تَتَّخِذُونَ﴾ صفة له، والتقدير: ما تتخذون منه سكراً،

---

(١) الآية: ٢١.

(٢) البيت لقيس بن حصين الحارثي. خزانة الادب ج١: ٤١٢.

وتكون (ما) نكرة موصوفة، أو ثمر تتخذون منه سكراً ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ لأنّهم كانوا يأكلون بعضها ويتخذون بعضها سكراً. والسكر: الخمر وكل ما يسكر، سمّيت بالمصدر من سكر سُكراً وسكراً، قال:

فَجَاؤُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا   فَأَجْلَى اليَوْمُ وَالسَّكْرَانُ صَاحِي[1]

والرزق الحسن: ما هو حلال منها كالخل والدبس والتمر والزبيب.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ أي: ألهمها وقذف في قلوبها وعلّمها على وجه لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، فأنّ صنعتها الأنيقة ولطفها في تدبير أمرها والعجائب المركبة في طباعها شواهد بيّنة على أنّ الله سبحانه أودعها علماً بذلك.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ هي (أن) المفسّرة، لأنّ الإيحاء فيه معنى القول، وقرئ: بيوتاً بكسر الباء لأجل الياء في جميع القرآن، و﴿يَعْرِشُونَ﴾ بضم الراء وكسرها، أي: ومن الكرم الذي يعرشونه، أي: يتخذون منه العريش، والضمير في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ للناس. و﴿مِن﴾ في جميعها للتبعيض، لأنّها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: من أي ثمرة شئت واشتهيت، فإذا أكلتها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو إذا أكلت الثمار فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربّك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها.

و﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول حال من ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾، لأنّ الله ذللها لها وسهلها، أو من الضمير في ﴿فَٱسْلُكِى﴾ أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يعني: العسل اختلفت ألوانه:

---

(١) أساس البلاغة: ٤٥٠ دون نسبة، وكذا في المصادر المتوفرة.

أبيض وأصفر وأحمر ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ لأنّه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة، وتنكيره: إما لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأنّ فيه بعض الشفاء، وقال: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ وإن كانت تلقيه من أفواهها كالريق، لئلا يظن أنّه ليس من بطنها.

﴿إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أي: أخسّه وأحقره، وهو خمس وسبعون سنة عن عليّ عليه السلام[1]، وتسعون سنة عن قتادة[2]، لأنّه لا عمر أسوء حالاً من عمر الهرم.

﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔا﴾ ليصير إلى حال شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلم شيئاً ثمّ ينسى فلا يعلمه إن سئل عنه، وقيل: لئلا يعلم زيادة علم على علمه.

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾

أي: جعلكم متفاوتين ﴿فِي ٱلرِّزۡقِ﴾ فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم، فأنتم لا تسوون بينكم وبينهم فيما أنعم الله به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيده له شركاء،

---

(١) التبيان ج٦: ٤٠٥، تفسير الطبري ج١٤: ٩٥.

(٢) معالم التنزيل ج٢: ٢٠٩.

وتوجّهوا العبادة والقرب إليهم كما توجّهون ذلك إليه؟!. وقيل: معناه: إنّ الموالي والمماليك الله رازقهم جميعاً ﴿فَهُمۡ سَوَآءٌ﴾ في رزقه ﴿سَوَآءٌ﴾ فلا يحسب الموالي أنّهم يرزقونهم من عندهم، وإنّما هو رزق الله أجراه إليهم على أيديهم، وقيل: معناه: فلم يرد الموالي فضل ما رزقوه على مماليكهم حتى يتساووا في المطعم والملبس. ويحكى عن أبي ذر: أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: ((إنّما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون))[1]، فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت.

﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ فجعل ذلك من جملة جحود النعمة. وقرئ: ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: من جنسكم.

﴿وَحَفَدَةً﴾ أي: خدماً وأعواناً. الصادقؑ: ((هم أختان الرجل على بناته))[2]. وقيل: هم أولاد الأولاد[3]، وهو جمع حافد، وحفد الرجل: أسرع في الطاعة والخدمة. وفي الدعاء: ((إليك نسعى ونحفد))[4].

﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: بعضها.

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾ وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها ويكفرون ﴿بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ المشاهدة التي لا شبهة فيها، وقيل: يريد بنعمة الله: رسول الله ﷺ والقرآن والإسلام، أي: هم كافرون بها منكرون لها.

---

(١) سنن أبي داود ج٤: ٣٤٢ ح ٥١٥٨، أمالي الشيخ الطوسي ج٢: ١٨.

(٢) تفسير القمي ج١: ٣٨٧.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ٩٨.

(٤) المزار: ١٢١، مصنف عبد الرزاق ٣: ١١٩.

﴿رِزْقًا﴾ مصدر و﴿شَيْـًٔا﴾ منتصب به، كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ... يَتِيمًا... أَوْ مِسْكِينًا﴾(١)، أي: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ أن يرزق شيئاً، ويجوز أن يكون بمعنى ما يرزق، فيكون ﴿شَيْـًٔا﴾ بدلاً منه بمعنى قليلاً.

و﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ صلة للرزق إن كان مصدراً، بمعنى: لا يرزق من السماوات مطراً ومن الأرض نباتاً، أو صفة إن كان اسماً لما يرزق.

والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لـ﴿مَا﴾ لأنّه في معنى الآلهة بعدما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ على اللفظ، ويجوز أن يكون للكفار، أي: ولا يستطيعون مع أنّهم أحياء شيئاً من ذلك فكيف بالجماد؟!.

﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به، لأنّ من يضرب الأمثال](٢) يشبه حالاً بحال وقصّة بقصّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ ما تفعلونه ويعاقبكم عليها ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ
مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ
بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

---

(١) البلد: ١٤ـ١٦.

(٢) ساقطة من أ.

ذكر ﴿مَّمۡلُوكٗا﴾ ليميز العبد من الحر لأنّهما من عباد الله.

و﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾ موصوفة، أي: وحراً رزقناه ليطابق ﴿عَبۡدٗا﴾، ويجوز أن تكون موصولة.

و﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾ معناه: هل يستوي الأحرار والعبيد؟ وإذا كان القادر والعاجز لا يستويان، فكيف يسوّى بين الحجارة وبين الله القادر على ما يشاء الرازق جميع خلقه؟!.

الأبكم: الذي ولد أخرس فلا يُفهِم ولا يَفهَم.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله.

﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ حيثما يرسله في حاجة أو يصرفه في كفاية مهم لم ينفع ولم ﴿يَأۡتِ﴾ بنجح ولا يهتدي إلى منفعة.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن﴾ كان سليم الحواس نفاعاً كافياً ذا رشد وديانة فهو ﴿يَأۡمُرُ﴾ الناس ﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾ والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: دين قويم وسيرة صالحة.

وهذان مثلان ضربهما الله لنفسه ولما يفيضه على عباده من النعم الدينية والدنيوية، وللأصنام التي هي جماد وموات لا تنفع ولا تضرّ، وقيل: ضربهما الله مثلين للكافر والمؤمن(١).

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يختص به علم ما غاب منهما عن العباد وخفي عليهم علمه.

﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ أي: هو عند الله وإن تراخى، كما يقولون في الشيء

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٤: ١٠٠.

الذي يستقربونه: هو كلمح البصر ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ إذا بالغتم في استقرابه، ونحوه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾(١)، يعني: إنّه عنده قريب دان وهو عندكم بعيد، وقيل: معناه: إنّ إقامة الساعة وإحياء جميع الأموات تكون في أقرب وقت وأوحاه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة.

وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾
أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ
إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ
لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا
تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا
وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾

قرئ: ﴿أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ بضم الهمزة وكسرها في جميع القرآن.

﴿لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ في موضع الحال، المعنى: غير عالمين شيئاً من حقّ المنعم الذي خلقكم في البطون، ويجوز أن يكون ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مصدراً، والمعنى: لا تعلمون علماً.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: وركّب فيكم هذه الأشياء لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه، واكتساب العلم والعمل به من شكر المنعم وطاعته وعبادته.

وقرئ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ بالياء والتاء.

---

(١) الحج: ٤٧.

﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية لذلك، والجو: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو، والسكاك واللوح أبعد منه.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في قبضهن وبسطهن ووقوفهن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جل جلاله.

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تسكنونها من الحجر والمدر والخيام والأخبية.

﴿سَكَنًا﴾ هو فعل بمعنى مفعول، وهو ما يسكن إليه من بيت أو إلف[1].

﴿بُيُوتًا﴾ هي القباب من الأدم والأنطاع.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ ترونها خفيفة المحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ أي: ارتحالكم من بلد إلى بلد. وقرئ بفتح العين وسكونها.

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: تخف عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً.

﴿وَمَتَٰعًا﴾ أي: شيئاً ينتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى أن تبلى، أو إلى أن تموتوا.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾

---

(١) الإلف: الأليف. (الصحاح: مادة ألف).

﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الأشجار والأبنية أشياء تستظلون بها في الحر والبرد ﴿أَكۡنَٰنٗا﴾ جمع (كن) وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال.

﴿سَرَٰبِيلَ﴾ أي: قمصاً من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾، ولم يذكر البرد لأنّ الوقاية من الحر عندهم أهم، ودلّ ذكر الحر على البرد.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ يريد الدروع والجواشن. والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد أو غيره.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ تنظرون في نعمه الفاشية فتؤمنون به وتنقادون له.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فلم يقبلوا منك فقد أعذرت وأديت ما وجب عليك من التبليغ.

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي عددناها حيث يعترفون بها وأنّها من الله ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بعبادتهم غير الله ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ﴾ الجاحدون، وقيل: نعمة الله: نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله[1] كانوا يعرفونها ثمّ ينكرونها عناداً، وأكثرهم المنكرون بقلوبهم.

﴿شَهِيدٗا﴾ وهو نبيّها أو إمامها القائم مقامه يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب.

﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار، والمعنى: لا حجّة لهم، فدلّ بترك الإذن على أن لا حجّة لهم ولا عذر.

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ يسترضون، أي: لا يقال لهم: أرضوا ربّكم، لأنّ الآخرة ليست بدار تكليف.

---

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج١٤: ١٠٥.

وانتصب ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ﴾ بمحذوف، والتقدير: واذكر يوم نبعث، أو: يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه.

وكذا قوله: ﴿وَإِذَا﴾ رأوا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ أي: إذا رأوه ثقل عليهم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾.

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ
إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ
﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا
بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ
شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ
بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

﴿شُرَكَآؤُنَا﴾ أي: آلهتنا التي دعوناها شركاء.

﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: قال الذين عبدوهم لهم بإنطاق الله إيّاهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في إنّا أمرناكم بعبادتنا أو في قولكم: إنّا آلهة.

﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ يعني: الذين أشركوا ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ أي: الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطل عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من أنّ لله شركاء وأنّهم يشفعون لهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ بكونهم مفسدين للناس بصدهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ يعني: نبيّهم الذي أرسل إليهم، أو الحجّة الذي هو إمام عصرهم.

﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أمّتك.

﴿تِبۡيَٰنًا﴾ أي: بياناً بليغاً ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أمور الدين، فما من شيء منها إلا وقد بيّن في القرآن: إما بالنص عليه، أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبيّ ﷺ، أو الحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة، فيكون على هذا حكم جميعها مستفاداً من القرآن.

﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالواجب من الإنصاف بين الخلق وغير ذلك.

﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ وهو التفضل والندب، ولفظ الإحسان جامع لكل خير.

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وإعطاء الأقارب جميعاً حقهم وصلتهم، وقيل: هم قرابة النبيّ ﷺ(١).

﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي: الفاحشة وهي ما جاوز حدود الله ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ ما تنكره العقول ﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ طلب التطاول بالظلم.

وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ
تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ
مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ

---

(١) عن الباقر عليه السلام. تفسير العياشي ج٢: ٢٦٧.

﴿قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ
أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ
عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ
فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

عهد الله: هو البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام والإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾[1].

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ البيعة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد توثيقها باسم الله، وأكّد ووكّد لغتان، والأصل: الواو والهمزة بدل منه.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ رقيباً وشاهداً، لأنّ الكفيل يراقب حال المكفول به ويراعيه.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ في نقض الأيمان كالمرأة ﴿ٱلَّتِى﴾ غزلت ثمّ ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ بعد إبرامه وإحكامه فجعلته ﴿أَنكَٰثًا﴾ جمع نكث، وهو ما ينكث فتله، وهي ريطة بنت سعد بن تيم بن مرة من قريش، كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثمّ تأمرهنّ فينقضن ما غزلن.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ بسبب أن تكون أمة، يعني: جماعة قريش ﴿هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: أزيد عدداً وأوفر مالاً من أمّة من جماعة المؤمنين.

---

(١) الفتح: ١٠.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ الضمير لقوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ لأنّه في معنى المصدر، أي: إنّما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتوفون بعهد الله وبيعة رسول الله ﷺ أم تغترّون بكثرة قريش وقوّتهم وثروتهم وقلة غيرهم من المؤمنين وضعفهم وفقرهم.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وعيد وتحذير من مخالفة الرسول ﷺ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مسلمة مؤمنة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ وهو أن يخذل من علم أنّه يختار الضلال والكفر، ويلطف بمن علم أنّه يختار الإيمان، يعني: إنّه بنى الأمر على الاختيار لا على الإجبار، وحقّق ذلك بقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثمّ كرر النهي عن اتخاذ الأيمان ﴿دَخَلًا﴾ بينهم، تأكيداً عليهم، والدخل: أن يكون الباطن خلاف الظاهر، فيكون داخل القلب على الكفر والظاهر على الوفاء.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ أي: فتزل أقدامكم عن محجّة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها، وإنّما وحّدت القدم ونكّرت لاستعظام أن تزلّ قدم واحدة عن طريق الحقّ بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة.

﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ في الدنيا بصدودكم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أو بصدّكم غيركم عنها، لأنّهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدّوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. الصادق عليه السلام: ((نزلت هذه الآية في ولاية عليّ عليه السلام والبيعة له حين قال النبيّ ﷺ: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين))[1].

---

(١) تفسير العياشي ج٢: ٢٦٨.

وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ
بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿وَلَا﴾ تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وبيعة رسول الله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب على الوفاء بالعهود ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأشرف ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الفرق بين الخير والشرّ.

﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من متاع الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ أي: يفنى. وقرئ: لنجزين بالياء والنون.

﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا، وهو الظاهر لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾، وعده الله ثواب الدنيا والآخرة، وعن ابن عباس: (الحياة الطيبة: الرزق الحلال)[1]، وعن الحسن: (القناعة)[2]، وقيل: يعني في الجنّة[3]، ولا يطيب لمؤمن حياة إلا في الجنّة.

ولما ذكر العمل الصالح وثوابه وصل به قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ

(١) تفسير الطبري ج١٤: ١١٤.

(٢) تفسير الطبري ج١٤: ١١٥.

(٣) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ١١٥.

﴿بِٱللَّهِ﴾ ليعلم أنّ الاستعاذة من جملة العمل الصالح، يعني: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[1] وكما تقول: إذا أكلت فسمّ الله، وإنّما عبّر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل، لأنّ الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل.

﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: تسلط على أولياء الله، يعني: أنّهم لا يقبلون منه ما يريده منهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى﴾ من يتولاه ويطيعه.

﴿بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾، ويجوز أن يرجع إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: بسببه مشركون.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ
ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا
لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا
يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

تبديل الآية ﴿مَّكَانَ﴾ الآية هو النسخ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فينزل في كل وقت ما توجبه المصلحة، وما كان مصلحة أمس جاز أن يصير مفسدة اليوم وخلافه مصلحة، وهو سبحانه عالم بالمصالح كلها.

---

(١) المائدة: ٦.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ أي: كاذب تأمر أمس بأمر واليوم بخلافه.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ جواز النسخ، وأنّه من عند الله لجهلهم.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ يعني: جبرئيل، أضيف إلى ﴿ٱلۡقُدُسِ﴾ وهو الطهر كقولهم: حاتم الجود، وزيد الخير، والمراد: الروح المقدس، وحاتم الجواد، وزيد الخير. والمقدس: المطهر من المآثم. وفي ﴿يُنَزِّلَ﴾ و﴿نَزَّلَهُۥ﴾ من المعنى أنّه نزّله شيئاً بعد شيء على حسب المصالح، وفيه إشارة إلى أنّ التبديل أيضاً من باب المصالح.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ في موضع الحال من الهاء في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ أي: ملتبساً بالحكمة، يعني: أنّ النسخ من جملة الحقّ.

﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما فيه من الحجج والبيّنات فيزدادوا تصديقاً ويقولوا: هو الحقّ من ربّنا.

﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ معطوفان على محلّ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ والتقدير: تثبيتاً لهم وهداية وتبشيراً.

﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ قالوا: يعلّمه غلام رومي كان لحويطب بن عبد العزّى اسمه: عايش أو يعيش، أسلم وحسن إسلامه وكان صاحب كتاب، وقيل: هو سلمان الفارسي[١] قالوا: إنّه يتعلم القصص منه.

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ أي: لغة الذي يضيفون إليه التعليم ويميلون إليه القول أعجمية، من ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود: إذا أمال حفره عن الاستقامة، ثمّ استعير ذلك لكل إمالة عن استقامة، فقالوا: ألحد

---

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج١٤: ١٢٠.

فلان في قوله، وألحد في دينه.

﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ذو بيان وفصاحة.

وقرئ: يلحدون بفتح الياء والحاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يعلم الله منهم أنّهم لا يؤمنون ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لا يلطف بهم ويخذلهم.

﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾ رد لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾، أي: إنّما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن بالله، لأنّ الإيمان يمنع من الكذب.

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

﴿مَن كَفَرَ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: إنّما يفتري الكذب ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ واستثنى منهم المكره. ويجوز أن ينتصب على الذم، أو يكون شرطاً مبتدأ محذوف الجواب، لأنّ جواب ﴿مَّن شَرَحَ﴾ يدلّ عليه، كأنّه قيل: من كفر بالله فعليهم غضب من الله، إلا من أكره. وروي: أنّ أناساً من أهل مكة ارتدّوا عن الإسلام، وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة

الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمار وأبواه ياسر وسمية، وصهيب وبلال وخباب، وقتل أبو عمار وأمه فأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا، فقال قوم من المسلمين: كفر عمار، فقال رسول الله ﷺ: ((كلا، إنّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال له: ما وراءك؟ قال: شرّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: مالك، إن عادوا لك فعد لهم بما قلت))[1].

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد بسبب استحبابهم ﴿ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ الكاملون في الغفلة فلا أحد أغفل منهم، إذ غفلوا عن تدبر عاقبة حالهم في الآخرة وذلك غاية الغفلة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه، ومعنى إنّ ربّك لهم: إنّه لهم لا عليهم، بمعنى: إنّه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم. وقيل: إنّ خبر ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وهذا من باب ما جاء في القرآن تكرير ﴿إِنَّ﴾، وكذلك الآية التي فيما بعد: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ...﴾.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ أي: عذّبوا في الله وأكرهوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرّهم.

---

(١) أسباب النزول: ١٩٨.

يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ
مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ
كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ
فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ
إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ
ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾

انتصب ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾ بـ﴿رَحِيمٞ﴾ أو بـ(اذكر)، والمعنى: يوم يأتي ﴿كُلُّ﴾ إنسان يجادل ﴿عَن﴾ ذاته لا يهمّه غيرها، كلٌ يقول: نفسي نفسي. ومعنى المجادلة: الاحتجاج عنها والاعتذار لها، كقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾[1] ونحو ذلك.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ﴾ أي: جعل القرية التي هذه صفتها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فبطروا وكفروا النعمة وتولوا، فأنزل الله بهم العذاب والنقمة.

﴿مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ أي: قارة ساكنة لا يزعجها خوف أو ضيق.

﴿رَغَدٗا﴾ أي: واسعاً، وسمّي أثر ﴿ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ لباساً لأنّ أثرهما يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس، وقيل: لأنّه شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس البدن، فكأنّه قال: فأذاقهم ما غشيهم وشملهم من الجوع والخوف[2]،

(١) الأعراف: ٣٨.

(٢) الكشاف ج٢: ٦٣٩.

وقيل: هذه القرية هي مكة[١] عذّبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القد والعلهز ـ وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ويؤكل ـ وكانوا مع ذلك خائفين من النبيّ ﷺ وأصحابه يغيرون على قوافلهم، وذلك حين دعا عليهم [فقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم][٢] سنين كسني يوسف))[٣].

﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ في موضع الحال.

ثمّ خاطب المؤمنين بقوله: ﴿فَكُلُوا﴾ أي: كلوا ﴿مِمَّا﴾ أعطاكم ﴿اللَّهُ﴾ من الغنائم وأحلّها لكم، وما بعده مفسّر في سورة البقرة[٤].

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

يجوز أن تكون (ما) موصولة، وينتصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ﴿لَا تَقُولُوا﴾، والمعنى: ولا تقولوا الكذب ﴿لِمَا﴾ تصفه ﴿أَلْسِنَتُكُمُ﴾ من البهائم بالحلّ والحرمة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٤: ١٢٥.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) صحيح البخاري ج١: ١٤٥، قرب الاسناد: ١٨٤.

(٤) الآية ١٧٢، ١٧٣.

أَزْوَاجِنَا﴾(١). واللام مثلها في قولك: ولا تقولوا لما أحلّ الله: هو حرام، وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بدل من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾. ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، وينتصب ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بـ﴿تَصِفُ﴾، والمعنى: ولا تقولوا: هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم [الكذب، أي: لا تحرّموا ولا تحلّلوا لأجل قول كذب نطقت به ألسنتكم](٢) لا لأجل حجّة، ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في إضافة التحريم والتحليل إليه، واللام في ﴿لِّتَفْتَرُواْ﴾ من التعليل الذي لا يتضمّن معنى الغرض.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم.

﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني في سورة الأنعام(٣).

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال، أي: ﴿عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ جاهلين غير متدبرين للعاقبة.

﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: من بعد التوبة أو الجهالة.

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ
فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا
جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

---

(١) الأنعام: ١٣٩.

(٢) ساقطة من أ.

(٣) الآية: ١٤٦.

﴿كَانَ أُمَّةً﴾ أي: كان وحده أمّة من الأمم لكماله في صفات الخير، وعن مجاهد: (كان مؤمناً وحده منفرداً في دهره بالتوحيد والناس كفار)[(١)]، وعن قتادة: (كان إمام هدى وقدوة يؤتم به)[(٢)].

﴿قَانِتًا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ﴾ دائماً على عبادته ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً في الطاعة، مائلاً إلى الإسلام غير زائل عنه.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تكذيب لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ يعني: لأنعم الله تعالى معترفاً بها. روي: أنّه كان لا يتغدى إلا مع ضيف[(٣)].

[﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختصه واصطفاه للنبوّة ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى ملة الإسلام][(٤)].

﴿حَسَنَةً﴾ عن قتادة: (هي تنويه الله باسمه وذكره حتى أنّه ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه)[(٥)]، وقيل: هي النبوّة[(٦)]، وقيل: هي قول المصلي منا: كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم[(٧)].

---

(١) الدر المنثور ج٤: ١٣٤.

(٢) الدر المنثور ج٤: ١٣٤.

(٣) العرائس: ٦١.

(٤) ساقطة من أ، ب، ج.

(٥) تفسير الطبري ج١٤: ١٣٠.

(٦) الكشف والبيان ج٦: ٥٠.

(٧) عن مقاتل بن حيان. معالم التنزيل ج٢: ٢١٦.

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنّة، وناهيك بهذا ترغيباً في الصلاح.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وفي ﴿ثُمَّ﴾ هذه تعظيم لمنزلة رسول الله ﷺ، وإعلام بأنّ أفضل ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع نبيّنا عليه السلام ملته من قبل أنّها دلّت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها.

[﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ﴾][1] المعنى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ﴾ وبال ﴿ٱلسَّبۡتُ﴾ وهو المسخ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ فأحلّوا الصيد فيه تارة وحرّموا أخرى، وكان الواجب عليهم أن يحرّموه على كلمة واحدة ويتفقوا فيه.

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ﴾ دين ﴿رَبِّكَ﴾ الذي هو [طريق إلى مرضاته ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي][2] الدليل الموضح للحقّ، وقيل: بالقرآن[3].

﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا تخفى عليهم أنّك تناصحهم بها وتنفعهم فيها.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ساقطة من أ.

(٣) تفسير الطبري ج١٤: ١٣١.

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة وعنف ليكونوا أقرب إلى الإجابة.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ وإن أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة فعاقبوه بقدر ﴿مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ ولا تزيدوا عليه، وسمّى الفعل الأوّل باسم الثاني للمزاوجة. وكان المشركون قد مثّلوا بقتلى أُحد وبحمزة بن عبد المطلب، أخذت هند كبده فجعلت تلوكه، وجدعوا أنفه وأذنه، فقال المسلمون: لئن أمكننا الله منهم لنمثّلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت[1].

﴿لَهُوَ خَيْرٌ﴾ الضمير يرجع إلى الصبر وهو مصدر ﴿صَبَرْتُمْ﴾، ويراد بـ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ المخاطبون، والمعنى: ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنّهم صابرون، ويجوز أن يراد جنس الصابرين، أي: الصبر خير للصابرين.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ أنت يا محمّد فيما تلقاه من الأذى ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا﴾ بتوفيق الله وتثبيته.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المشركين في إعراضهم عنك، أو على قتلى أُحد فإنّ الله تعالى نقلهم إلى كرامته.

وقرئ: في ضيق بفتح الضاد وكسرها، أي: لا يضيقن صدرك من مكرهم.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: هو ولي الذين اتقوا الشرك والكبائر وولي ﴿ٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ في أعمالهم.

---

(١) أسباب النزول: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

سورة الإسراء

مكية، وهي مائة وإحدى عشرة آية كوفي، عشر في غيرهم، عدّ الكوفي ﴿لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدًا﴾.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة بني إسرائيل) فرقّ قلبه عند ذكر الوالدين أُعطي في الجنّة قنطارين من الأجر))[1]، الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم، ويكون من أصحابه))[2].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾

﴿سُبۡحَٰنَ﴾ علم للتسبيح [كعثمان للرجل][3]، وانتصابه بفعل مضمر ترك

(١) الكشف والبيان ج٦: ٥٤.

(٢) تفسير العياشي ج٢: ٢٧٦.

(٣) ساقطة من أ، ط.

إظهاره، والتقدير: أسبّح الله سبحاناً، ثمّ نزل ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ منزلة الفعل فسدّ مسدّه، ودلّ على التنزيه البليغ من جميع القبائح.

و﴿أَسۡرَىٰ﴾ وسرى بمعنى، ونكّر قوله: ﴿لَيۡلٗا﴾ لتقليل مدة الإسراء، وأنّه أسري به [بعض][1] ليلة من جملة الليالي من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وقد عرج به إلى السماء من بيت المقدس في تلك الليلة، وبلغ البيت المعمور وبلغ سدرة المنتهى، وقيل: إنّه كان قبل الهجرة بسنة[2].

و﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ بيت المقدس، لأنّه لم يكن حينئذ وراءه مسجد.

﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ يريد بركات الدين والدنيا، لأنّه متعبد الأنبياء ومهبط الوحي، وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ العجيبة التي منها إسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك، والعروج به إلى السماء، ورؤية الأنبياء، والبلوغ إلى البيت المعمور وسدرة المنتهى. وروي: أنّه لما رجع وحدّث بذلك قريشاً كذّبوه، وفيهم من سافر إلى بيت المقدس فاستنعتوه مسجد بيت المقدس، فجلي له فطفق ينظر إليه وينعته لهم حتى وصف جملته، ثمّ قالوا له: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحمالها، وقال: يقدمها جمل أورق[3]، ويطلع عليكم عند طلوع الشمس، فخرجوا يشتدون نحو الثنية فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد طلعت، وقال آخر: هذه والله الإبل قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمّد، ثمّ لم يؤمنوا وقالوا: هذا سحر[4].

---

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) طبقات ابن سعد ج١ ق١: ١٤٣.

(٣) الأورق من الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد. (الصحاح: مادة ورق).

(٤) الكشف والبيان ج٦: ٦٨.

وقرئ: ألا يتخذوا ـ بالياء ـ على: لئلا يتخذوا، وبالتاء على: أن لا تتخذوا، كقولك: كتبت إليه أن افعل كذا.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: معتمداً تكلون إليه أموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نصب على الاختصاص، وقيل: على النداء في قراءة من قرأ: لا تتخذوا ـ بالتاء ـ على النهي، والمعنى: قلنا لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا مع نوح، أو لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً، فيكون ﴿وَكِيلًا﴾ موحّد اللفظ مجموع المعنى، كرفيق في قوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[١]، أي: لا تجعلوهم أرباباً.

ومن ذرية من حمل مع نوح عزير وعيسى، ذكّرهم سبحانه نعمته في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم في السفينة.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: إنّ نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر. روي عن الباقر والصادق عليهما السلام: ((أنّه كان إذا أصبح وأمسى قال: اللهم إنّي أُشهدك أنّ ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتى ترضى وبعد الرضا، فهذا كان شكره))[٢].

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا
مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) علل الشرائع ج١: ٢٩.

لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

أي: أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وحياً مقضياً مقطوعاً بأنّهم يفسدون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا محالة، ويعلون أي: يتعظمون ويبغون، والمراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة.

وقوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواب قسم محذوف، أو يكون القضاء المقطوع به جارياً مجرى القسم فيكون ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواباً له، فكأنّه قال: أقسمنا لتفسدن ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أولاهما: قتل زكريا وحبس إرميا حين أنذرهم سخط الله، والأخرى: قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى.

﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ وعن عليّ عليه السلام: عبيداً لنا، وهم سنحاريب وجنوده، وقيل: بختنصر(١)، فقتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وقتلوا سبعين ألفاً منهم وسبوا سبعين ألفاً.

ومعنى قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾: خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم، فهو كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢)، وأسند الجوس إليهم وهو التردد ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ بالفساد، وتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس.

وقوله: ﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ معناه: وعد عقاب أولاهما ﴿وَكَانَ﴾ وعد العقاب

---

(١) عن ابن اسحاق. معالم التنزيل ج٢: ٢٢٥.

(٢) الأنعام: ١٢٩.

﴿وَعۡدٗا﴾ لابد أن يفعل.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، وأظهرناكم عليهم وأكثرنا أموالكم وأولادكم.

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر عدداً من أعدائكم، وهو جمع نفر كالمعيز والعبيد، وقيل: النفير: من ينفر مع الرجل من قومه.

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ﴾ فالإحسان مختص بـ﴿أَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ﴾ فالإساءة مختصة بها، لا يتعدّى النفع والضرر إلى غيركم. وعن عليّ عليه السلام: ((ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلا هذه الآية))[(١)].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾ المرة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ حذف لدلالة ذكره أوّلاً عليه، والمعنى: ليجعلوا وجوهكم تبدو آثار المساءة والكآبة فيها. وقرئ: لِيَسُوءَ، والضمير لله أو للوعد أو للبعث، ولنسوء ـ بالنون ـ.

وقوله: ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ محلّه نصب بأنّه مفعول ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، ويجوز أن يكون بمعنى: مدة علوهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ مرة أخرى ثالثة ﴿عُدۡنَا﴾ إلى عقوبتكم، وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة عليهم، وقيل: ببعث محمّد صلى الله عليه وآله، فالمؤمنون يأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة[(٢)].

والحصير: السجن.

---

(١) تنبيه الغافلين: ١٣٦.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٥: ٣٥.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ
بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً
لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ
وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

﴿يَهْدِى﴾ للملة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ الملل، أو للطريقة أو للحالة التي هي أشدّ استقامة.

وعطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ على معنى: أنّه ﴿يُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ببشارتين: بثوابهم وبعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ربّه عند غضبه ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يتسرّع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنّى فيه.

﴿ءَايَتَيْنِ﴾ أي: دلالتين تدلان على وحدانية خالقهما، لما في كل واحد منهما من الفوائد، فكل واحد من ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ آية في نفسه، وعلى هذا فيكون إضافة ﴿ءَايَةَ﴾ إلى ﴿ٱلَّيْلِ﴾ و﴿ٱلنَّهَارِ﴾ للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود، أي: ﴿فَمَحَوْنَآ﴾ الآية التي هي الليل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ الآية التي هي النهار ﴿مُبْصِرَةً﴾. وقيل: إنّ المراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، يعني: الشمس والقمر فمحونا آية الليل، أي: فجعلنا الليل ممحو الضوء مظلماً، وجعلنا النهار مبصراً يبصر فيه الأشياء، أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعاً كشعاع الشمس، وجعلنا الشمس

ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء.

﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرّف في معايشكم وطلب أرزاقكم.

﴿وَلِتَعۡلَمُواْ﴾ باختلاف الليل والنهار ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ والشهور وجنس ﴿ٱلۡحِسَابَۚ﴾ وآجال الديون وغير ذلك، ولولاهما لم يعلم شيء من ذلك، ولتعطلت الأمور.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ بيّناه بياناً غير ملتبس، وميّزناه تمييزاً بيّناً غير خاف.

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾

﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله، وقيل: هو من قولك: طار له سهم: إذا خرج، يعني: ألزمناه ما طار من عمله، يريد: أنّ عمله له لازم لزوم القلادة أو الغل العنق لا ينفك عنه، كما قيل في المثل: (تقلدها طوق الحمامة)[1]. وقرئ: ونخرج له ـ بالنون ـ، ويخرج له ـ بالياء ـ والضمير لله عزّوجل، ويخرج على البناء للمفعول، ويخرج من خرج، والضمير للطائر أي: يخرج الطائر ﴿كِتَٰبٗا﴾.

وانتصب ﴿كِتَٰبٗا﴾ على الحال.

---

(١) مجمع الأمثال ج١: ٢٥٦.

وقرئ: يُلَقَّاهُ ـ بالتشديد ـ على البناء للمفعول. و﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لكتاب، أو ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ صفة، و﴿مَنشُورًا﴾ حال من ﴿يَلْقَىٰهُ﴾.

﴿ٱقْرَأْ﴾ على إرادة القول، وعن قتادة: (يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً)[1].

و﴿بِنَفْسِكَ﴾ في محلّ الرفع فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، و﴿حَسِيبًا﴾ تمييز، وهو بمعنى حاسب، كضريب القداح بمعنى ضاربها.

و﴿عَلَيْكَ﴾ يتعلّق به من قولهم: حسب عليه كذا، ويجوز أن يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدّي بـ(على)، لأنّ الشاهد يكفي المدعي ما أهمّه، وذكّر ﴿حَسِيبًا﴾ لأنّه بمنزلة الشهيد والقاضي، والأغلب أنّ ذلك يتولاه الرجال، فكأنّه قال: كفى بنفسك رجلاً حسيباً، أو تأوّل النفس بالشخص، كما يقال: ثلاثة أنفس.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: كل نفس حاملة وزرها ولا تحمل وزر نفس أخرى.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ وما صحّ منا في الحكمة أن نعذّب قوماً إلا بعد أن ﴿نَبْعَثَ﴾ إليهم ﴿رَسُولًا﴾ فنلزمهم الحجّة.

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ

---

(١) تفسير الطبري ج١٥: ٤١.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم
مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا
كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍۚ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ
مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

المعنى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ﴾ أهل ﴿قَرْيَةً﴾ بعد قيام الحجّة عليهم وإرسال الرسل إليهم ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المتنعّمين فيها بالإيمان والطاعة توكيداً للحجّة عليهم ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ بالمعاصي.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي: فوجب حينئذ على أهلها الوعيد فأهلكناها إهلاكاً، وإنّما خصّ المترفين ـ وهم الرؤساء ـ بالذكر لأنّ غيرهم تبع لهم، وقيل: معناه: كثّرنا مترفيها[1]، فيكون من باب أمّرته فأمر، أي: كثّرته فكثر، مثل: بشّرته فبشر. وفي الحديث: ((خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة))[2] أي: كثيرة النتاج. وقرئ: آمرنا، أي: أفعلنا، من أمر وآمره غيره، وأمرنا بمعناه، أو من أمر إمارة وأمّره الله، أي: جعلناهم أمراء وسلطناهم.

و﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ تبيين لـ﴿كَمْ﴾ وتمييز له، يعني: عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً.

﴿مَّن﴾ كانت ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ وهي النعم الدنيوية همته ولم يرد غيرها تفضّلنا عليه بـ﴿مَا نَشَآءُ﴾ منها ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ فقيّد الأمر بقيدين: أحدهما: تقييد المعجل

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ٤٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧٨، معجم الطبراني الكبير ج٧: ٩١.

بالمشيئة، والثاني: تقييد المعجل له بإرادته. وقوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من ﴿لَهُۥ﴾ بدل البعض من الكل، لأنّ الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يرجع إلى ﴿مَّن﴾ وهو للكثرة، وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمرائي والمنافق.

﴿مَّدۡحُورٗا﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى.

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ أي: حقّها من السعي، اشترط ثلاث شرائط في كون السعي ﴿مَّشۡكُورٗا﴾: إرادة الآخرة، والسعي فيما كلّف من الفعل والترك، والإيمان الصحيح؛ وشكر الله سعيه هو ثوابه على الطاعة.

﴿كُلّٗا﴾ أي: كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض من المضاف إليه.

نمدّهم: نزيدهم من عطائنا، ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ وفضله ممنوعاً لا يمنع من عاص لعصيانه.

﴿ٱنظُرۡ﴾ بعين الاعتبار ﴿كَيۡفَ﴾ جعلناهم متفاوتين في التفضل، ودرجات الآخرة ومراتبها ﴿أَكۡبَرُ﴾ والتفاوت فيها أكثر.

﴿فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا﴾ يعني: أنّك إذا فعلت ذلك بقيت ما عشت مذموماً على ألسنة العقلاء ﴿مَّخۡذُولٗا﴾ لا ناصر لك، وقيل: معنى القعود: الذل والخزي والعجز لا الجلوس، كما يقال: قعد به الضعف.

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ
عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا
تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا
جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾

معناه: أمر ﴿رَبُّكَ﴾ أمراً مقطوعاً به.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾: (أن) بمعنى أي، و﴿لَا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ نهي، أو يريد: بأن لا تعبدوا.

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ أي: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحۡسَٰنًا﴾، أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً.

﴿إِمَّا﴾ هي (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) توكيداً، ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل، و﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿يَبۡلُغَنَّ﴾. وقرئ: يَبْلُغَانِ، وعلى هذا فيكون ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدلاً من ألف الضمير، و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطف على ﴿أَحَدُهُمَآ﴾.

﴿أُفّٖ﴾ صوت يدلّ على تضجر. وقرئ: أف، ـ بالتنوين والكسر ـ، وأف ـ بالفتح ـ وكذلك في الأنبياء(١) والأحقاف(٢)، وقرأ أبو السمال(٣): أف ـ بالضم ـ. فأما الكسر فعلى أصل البناء، وأما الفتح فتخفيف للضمة والتشديد كـ(ثم)، وأما الضم فللإتباع كـ(منذ).

ومعنى قوله: ﴿يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾: أن يكبرا ويكونا كَلًّا على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه، وربّما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال صغره، فأمر بأن يستعمل معهما

(١) الآية: ٦٧.

(٢) الآية: ١٧.

(٣) أبو السمال قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج٢: ٢٧.

لين الجانب وخفض الجناح والاحتمال حتى لا يقول لهما ـ عند الضجر بما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤونتهما ـ: أف، فضلاً عما يزيد عليه.

ولقد بالغ عزّ وعلا في التوصية بهما حيث شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ثمّ ضيّق الأمر في البر بهما حتى لم يرخّص في أدنى كلمة تدلّ على التضجر مع موجبات الضجر. وعن الصادق عليه السلام: ((أدنى العقوق: أف، ولو علم الله شيئاً أهون من أف لنهى عنه))[1].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تزجرهما عما يفعلانه، ولا تمتنع من شيء أراداه منك.

﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً كما يقتضيه حسن الأدب، وقيل: هو أن يقول: يا أبتاه ويا أماه كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه مع كفره: ﴿يَا أَبَتِ﴾[2]، ولا تدعوهما بأسمائهما فإنّه من الجفاء وسوء الأدب[3].

وفي ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون كإضافة حاتم إلى الجود إذا قلت: حاتم الجود، أي: فاخفض لهما جناحك الذليل. والآخر: أن تجعل لذلّه جناحاً منخفضاً، كما جعل لبيد للشمال يداً وللقرّة زماماً في قوله:

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَرَّةٍ   قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُهَا[4]

أراد المبالغة في التواضع والتذلل لهما.

﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من فرط رحمتك لهما لكبرهما، ولا تكتف برحمتك عليهما

(١) الكافي ج٢: ٣٤٨.

(٢) مريم: ٤٢.

(٣) عن الحسن الدر المنثور ج٤: ١٧١.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٦، وفيه: قد وزعت... إذ....

التي لا بقاء لها، بل ادع الله سبحانه بأن يرحمها رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتها عليك في حال صغرك وتربيتها لك. وفي الصحيح: أنّ النبيّ ﷺ قال: ((رغم أنفه ـ ثلاث مرات ـ قالوا: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنّة))[١]. وعن حذيفة: أنّه استأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه وهو في صف المشركين، فقال له رسول الله ﷺ: ((دعه يليه غيرك))[٢].

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما في ضمائركم من البر والعقوق.

﴿إِن تَكُونُوا﴾ قاصدين إلى الصلاح والبر ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ أي: التوابين الراجعين إلى الله فيما يتوبهم ﴿غَفُورًا﴾.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا
﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ
كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ
قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

وصى سبحانه بغير الوالدين من القرابات، وبأن يؤتى حقهم بعد أن وصى بهما، وقيل: إنّ المراد بذي القربى: قرابة النبيّ[٣]. وعن أبي سعيد الخدري[٤]: (أنّه لما

---

(١) صحيح مسلم ج٨: ٥.

(٢) الكشاف ج٢: ٦٦٠.

(٣) عن الأئمّة عليهم السلام. تفسير الطبري ج١٥: ٥٣، تفسير العياشي ج٢: ٢٨٧.

(٤) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الخزرجي، الصحابي المشهور، أول مشاهده الخندق توفي سنة ٧٤ هـ. ينظر: الاستيعاب ج٢: ٤٧، معجم رجال الحديث ج٨: ٤٨.

نزلت أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً)[1].

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ أي: وآت المسكين ﴿حَقَّهُۥ﴾ الذي جعله الله له من الزكاة، وآت ﴿ٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ حقّه وهو المنقطع به من المجتازين.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ والتبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وعن مجاهد: (لو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً، ولو أنفق جميع ماله في الحقّ لم يكن مبذّراً)[2]. ومرّ رسول الله ﷺ بسعد[3] وهو يتوضأ فقال: ((ما هذا السرف يا سعد؟! قال: أوَ في الوضوء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار))[4].

﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أمثالهم السالكون طريقتهم، وهذا غاية الذم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ فلا ينبغي أن يطاع فإنّه لا يدعو إلا إلى مثل فعله من الشرّ.

وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم حياء من الرد، لتبتغي الفضل ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ والسعة التي يمكنك معها البذل ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي: عدهم عدة جميلة، فوضع الابتغاء موضع فقد الرزق، لأنّ فاقد الرزق مبتغ له. ويجوز أن يتعلّق ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ بجواب الشرط مقدّماً عليه، أي: فقل لهم قولاً سهلاً تطييباً لقلوبهم ابتغاء رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم. ويجوز أن يكون الإعراض عنهم كناية عن عدم الاستطاعة، أي: وإن لم تنفعهم.

ثمّ أمر سبحانه بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير، وهو تمثيل لمنع

---

(١) شواهد التنزيل ج١: ٣٣٩.

(٢) تفسير الطبري ج١٥: ٥٤.

(٣) سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، شهد بدراً وسائر المشاهد، أحد الستة الذين جعل فيهم الشورى، توفي في زمن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج٢: ١٨، معجم رجال الحديث ج٨: ٥٤.

(٤) سنن ابن ماجة ج١: ١٤٧ ح٤٢٥.

الشحيح وإعطاء المسرف.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ أي: فتصير ملوماً عند الله، لأنّ المسرف غير مرضي عنده وعند الناس ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك، وقيل: محسوراً: عرياناً[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يوسع ﴿الرِّزْقَ﴾ ويضيقه بحسب المصلحة مع سعة خزائنه.

وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ
كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ
وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا
﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

كانوا يئدون بناتهم ﴿خَشْيَةَ﴾ الفقر وهو الإملاق، فذلك قتلهم أولادهم، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك وضمن لهم أرزاقهم. وقرئ: خَطْأً، يقال: خَطَأَ خطْأً، أي: أثم إثماً، والخَطأ والخِطأ كالحذر والحذر، وقرئ: خِطاء ـ بالكسر والمد ـ.

﴿فَٰحِشَةً﴾ قبيحة زائدة على حد القبح.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً طريقه وهو أن يغصب على الغير امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب، والسبب ممكن وهو النكاح المشروع.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أن يكفر بعد إيمان، أو يزني بعد إحصان، أو يقتل مؤمناً

---

(١) عن الصادق عليه السلام. تفسير القمي ج١: ٣٨١.

عمداً.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير راكب واحدة من هذه الثلاث ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي: تسلّطاً على القاتل في الاقتصاص منه.

وقرئ: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالياء والتاء، فالياء على أنّ الضمير للولي، أي: فلا يقتل الولي غير القاتل، ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية، أو لا يمثل بالقاتل، وقيل: إنّ الضمير للقاتل الأوّل، والتاء على أنّ الخطاب للولي أو قاتل المظلوم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ والضمير: إما للولي أي: نصره الله بأن أوجب له القصاص، وإما للمظلوم، لأنّ الله ناصره بأن أوجب القصاص بقتله ويثيبه في الآخرة.

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهي حفظه عليه.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي: مطلوباً يطلب من المعاهد أن يفي به، ويجوز أن يكون تخييلاً، كأنّه يقال للعهد: لم نكثت؟ توبيخاً للناكث كما تسأل الموؤودة ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[1].

وقرئ: ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ بضم القاف وكسرها، وهو الميزان صغيراً كان أو كبيراً.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وأحسن عاقبة، وهو تفعيل من آل: إذا رجع، وهو ما يؤول إليه.

---

(١) التكوير: ٩.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ
لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ
ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا
﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ
لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

يقال: قفا أثره وقافه واقتفاه واقتافه بمعنى: اتبعه، ومنه القافة. أي: لا تكن في اتباعك ﴿مَا﴾ لا علم ﴿لَكَ بِهِۦ﴾ من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يعلم أنّه يوصله إلى مقصده، والمراد: النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم أو يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن اتباع الظن وعن التقليد، وعن الحسن: (لا تقف أخاك المسلم إذا مرّ بك فتقول: هذا يفعل كذا، ورأيته يفعل كذا ولم تر، وسمعته ولم تسمع)[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾.

و﴿عَنْهُ﴾ في موضع الفاعل، أي: ﴿كُلُّ﴾ واحد منها كان ﴿مَسْـُٔولًا﴾ عنه، فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور، يقال للإنسان: لم سمعت ما لا يحلّ لك سماعه؟ ولم نظرت إلى ما لا يحلّ لك النظر إليه؟ ولم عزمت على ما لا يحلّ لك العزم عليه؟.

﴿مَرَحًا﴾ حال، أي: ذا مرح.

﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بشدّة وطئك لها ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ

(١) الكشف والبيان ج٦: ٩٨.

﴿طُولًا﴾ بتطاولك، وهذا تهكّم بالمختال.

قرئ: سيئة و﴿سَيِّئُهُۥ﴾ على إضافة سيء إلى ضمير ﴿كُلُّ﴾، والسيئة في حكم الأسماء بمنزلة الإثم والذنب، فلذلك قال: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ مع قوله: ﴿مَكْرُوهًا﴾ إذ لا اعتبار بتأنيثه، أي: كل ما نهى عنه من هذه الخصال المعدودة كان إثماً مكروهاً.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى هذه الغاية، وسمّاه حكمة، لأنّه كلام محكم لا مجال فيه للفساد بوجه. وعن ابن عباس: (إنّ هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى أوّلها: (لا تجعل مع الله إلهاً آخر)، جعل الله سبحانه فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك)[1]، لأنّ التوحيد رأس كل حكمة.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أي: أفخصّكم ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ وهم أفضل الأولاد لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه واتخذ الأدون وهي البنات وهذا خلاف الحكمة. وهو خطاب للذين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافتكم إليه الأولاد ثمّ بتفضيلكم أنفسكم عليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل
لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

---

(١) الكشاف ج٢: ٦٦٨.

﴿صَرَّفْنَا﴾ أي: كررنا الدلائل وفصّلنا العبر فيه، أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ ليتعظوا ويعتبروا. وقرئ: ليذكروا.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحقّ، وعن سفيان: (زادني خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً)(١).

﴿إِذًا﴾ يدلّ على أنّ قوله: ﴿لَّابْتَغَوْاْ﴾ جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ﴿لَّوْ﴾، والمعنى: لطلبوا ﴿إِلَىٰ﴾ من له الملك والإلهية ﴿سَبِيلًا﴾ بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم ببعض. وفيه إشارة إلى دليل التمانع كما في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢).

﴿عُلُوًّا﴾ في معنى: تعالياً، والمراد: البراءة من ذلك والنزاهة، ووصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة عما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ بلسان الحال، حيث تدلّ على صانعها وعلى صفاته العلى، فكأنّها تنطق بذلك، وكأنها تنزّه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء، وليس شيء من الموجودات ﴿إِلَّا﴾ و﴿يُسَبِّحُ﴾ بحمد الله على هذا الوجه، إذ كلها حادث مصنوع [يحتاج إلى صانع غير مصنوع](٣)، فهو يدلّ على إثبات قديم غنيّ عن كل شيء سواه، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء، إذ لم تنظروا فيها فتعلموا دلالتها على التوحيد.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لا يعاجلكم بالعقاب على سوء نظركم وشرككم.

---

(١) الكشاف ج٢: ٦٦٩.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) ساقطة من أ.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ أي: ذا ستر كقولك: سيل مفعم أي: ذو إفعام، وقيل: حجاباً مستوراً عن العيون من قدرة الله تعالى لا يبصر. حجبه الله سبحانه عن أبصار أعدائه من المشركين فكانوا يمرّون به ولا يرونه.

﴿وَحْدَهُۥ﴾ من نوع قولهم: رجع عوده على بدئه، في أنّه مصدر يسدّ مسدّ الحال، يقال: وحد يحد وحداً وحدة، والأصل يحد وحده. والنفور: مصدر بمعنى التولية، أو جمع نافر كشهود جمع شاهد، أي: أحبّوا أن تذكر معه آلهتهم لأنّهم مشركون، فإذا لم تذكرهم نفروا.

﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ من اللغو والاستهزاء بالقرآن، و﴿بِهِۦٓ﴾ في موضع الحال، أي: يستمعون هازئين.

و﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ نصب بـ﴿أَعْلَمُ﴾ أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعوا.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى، أي: متناجون.

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿إِذْ هُمْ﴾ أي: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا﴾ قد سحر فجنّ

واختلط عليه عقله، وإنّما قالوا ذلك لينفّروا عنه.

﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ مثّلوك بالساحر والمجنون ﴿فَضَلُّوا۟﴾ في ذلك ضلال المتحيّر في أمره لا يدري كيف يتوجه.

﴿وَرُفَٰتًا﴾ أي: تراباً وغباراً وانتثر لحومنا، أنبعث بعد ذلك ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ
فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ
رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ
يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾
وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ
يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

ردّ قوله: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً﴾ على قولهم: ﴿كُنَّا عِظَٰمًا﴾، فكأنّه قال: كونوا حجارة ﴿أَوْ حَدِيدًا﴾ ولا تكونوا عظاماً فإنّه يقدر على إعادتكم أحياء، وردّكم إلى رطوبة الحي وغضاضته.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ عن قبول الحياة، ويعظم عندكم أن يحييه الله.

﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ أي: خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر، وإنّما قال ذلك لكونهم مقرّين بالنشأة الأولى ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ أي: فسيحرّكون نحوك ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً واستهزاءً.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ أي: يبعثكم فتنبعثون منقادين غير ممتنعين، والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز هنا.

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ حال منهم أي: حامدين لله، موحّدين، وعن سعيد بن جبير: (يخرجون من قبورهم قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك)[1].

﴿وَتَظُنُّونَ﴾ أنّكم ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة، أو لعلمكم بطول اللبث في الآخرة. ونزل النفي منزلة الاستفهام في التعليق.

﴿ وَقُل ﴾ للمؤمنين: ﴿يَقُولُوا۟﴾ للمشركين الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وفسّر ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ ولا تقولوا لهم ما يغيظهم ويغضبهم، وقيل: معناه: مرهم يقولوا الكلمة الحسنى وهي كلمة الشهادتين والأقوال المندوب إليها.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يفسد بينهم ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم العداوة والبغضاء.

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ بأحوالكم وتدبير أموركم ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بفضله وإن ﴿يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله.

﴿وَكِيلًا ﴾ أي: ربّاً موكولاً إليك أمرهم تجبرهم على الإسلام، وإنّما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم واحتمل منهم.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ ردّ على كفار قريش في إنكارهم نبوّة نبيّنا محمّدﷺ، أي: ربّك أعلم بأحوال ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومقاديرهم، فلا يختار من يختاره

---

(١) الدر المنثور ج٤: ١٨٨.

من الملائكة والأنبياء لميله إليهم، وإنّما يختارهم لعلمه ببواطنهم وبما يستأهل كل واحد منهم.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا﴾ إشارة إلى تفضيل رسول الله ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ دلالة على تفضيله ـ أيضاً ـ فإنّه خاتم الأنبياء، ومكتوب في زبور داود: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] وهم محمّد وأهل بيته عليهم السلام.

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ هم الملائكة، وقيل: عيسى وعزير[2]، وقيل: نفر من الجن عبدهم قوم من العرب ثمّ أسلم الجن[3]. والمعنى: ادعوهم فإنّهم لا يقدرون على أن يكشفوا ﴿عَنكُمۡ﴾ الضرّ ﴿وَلَا﴾ أن يحوّلوه عنكم إلى غيركم.

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٥: ٧٣.

(٣) عن ابن مسعود. تفسير الطبري ج١٥: ٧٢.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ يعني: إنّ آلهتهم يبتغون ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ وهي القربة ﴿إِلَىٰ ﴾ الله عزّ وجل، و﴿أَيُّهُمۡ ﴾ بدل من واو ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾، و(أي) اسم موصول، أي: يبتغي من هو ﴿أَقۡرَبُ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف غير الأقرب!، أو ضمّن ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ معنى يحرصون، [أي: يحرصون][1] أيّهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بأن يزيدوا في الطاعة والخير ﴿وَيَرۡجُونَ﴾ ويخافون كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة!.

﴿إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا ﴾ بالموت ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا﴾ بالقتل وأنواع العذاب، وقيل: الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة[2]، والكتاب: اللوح المحفوظ.

استعار سبحانه المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة. و﴿أَن ﴾ الأولى منصوبة الموضع والثانية مرفوعته. والمعنى: ولم يمنعنا إرسال ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ ﴾ تكذيب الأوّلين، يريد الآيات التي اقترحوها من إحياء الموتى، وأن يحوّل الصفا ذهباً وغير ذلك. وقد حكم الله تعالى في الأمم أنّ من كذّب بالآية المقترحة عوجل بعذاب الاستئصال، وقد علم سبحانه أنّه لو أرسل هذه الآيات لكذّبوا بها واستوجبوا العذاب العاجل المستأصل، ومن حكمه سبحانه في هذه الأمة أن لا يعذّبهم بعذاب الاستئصال تشريفاً لنبيّه ﷺ، وأن يؤخر أمرهم إلى يوم القيامة.

ثمّ ذكر سبحانه من الآيات التي ﴿كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ فأُهلكوا: ناقة صالح، لأنّ آثارهم في بلاد العرب قريبة منهم.

﴿مُبۡصِرَةٗ ﴾ بيّنة ﴿فَظَلَمُواْ ﴾ أي: فكفروا ﴿بِهَا وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ التي نظهرها على الأنبياء ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ وإنذاراً بعذاب الآخرة.

---

(١) ساقطة من أ.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٢٦٢.

واذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي: أوحينا إليك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ بقريش، يعني: بشّرناك بوقعة بدر ونصرتك عليهم وهو قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[١]، ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾[٢]، فجعله سبحانه كأن قد كان، فقال: أحاط بالناس، على عادته سبحانه في إخباره، وقيل: معناه: أحاط علماً بأحوال الناس وأفعالهم، وما يستحقّونه عليها من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم، عالم بما يصلحهم[٣]، وهذا وعد له بالعصمة من أذى قومه.

واختلف في ﴿ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ﴾ أريها النبيّ ﷺ، فقيل: هي رؤية العين المذكورة في أوّل السورة من الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج[٤]، وأراد بالفتنة: الامتحان وشدّة التكليف ليعرض المصدّق بذلك لجزيل الثواب والمكذّب لأليم العقاب، وقيل: هي الرؤيا التي في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[٥] رأى أنّه سيدخل مكة وهو بالمدينة فصدّه المشركون عن دخولها يوم الحديبية، وإنّما كانت فتنة لما دخل على بعض المسلمين من الشبهة والشك فقال: أليس قد أخبرتنا بأن ندخل المسجد الحرام آمنين؟ فقال عليه السلام: ((لم أقل: إنّكم تدخلونها العام، لتدخلنها إن شاء الله))، ورجع ثمّ دخلها في العام القابل[٦]. وقيل: هي رؤيا رآها في منامه أنّ قروداً تصعد منبره وتنزل[٧]، وقيل ـ على هذا التأويل ـ: إنّ ﴿ٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى

(١) القمر: ٤٥.

(٢) آل عمران: ١٢.

(٣) التبيان ج٦: ٤٩٤.

(٤) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ٧٦.

(٥) الفتح: ٢٧.

(٦) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٥: ٧٧، وينظر: القصة في مغازي الواقدي ج٢: ٦٠٩.

(٧) الكشف والبيان ج٦: ١١١.

﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ هي بنو أمية، أخبره الله سبحانه بتغلّبهم على مقامه وقتلهم ذريته[١]، وقيل: إنّ الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم لعنت في القرآن[٢] حيث لعن طاعموها من الكفار، فوصفت بلعن أصحابها على المجاز.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ أي: عتواً في الكفر لا يرجعون عنه.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ
ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ
عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً
مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم
بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا
يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

﴿طِينًا﴾ حال من الموصول الذي هو ﴿مَنْ خَلَقْتَ﴾ على معنى: ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ له وهو طين أي: أصله طين، أو من الضمير المحذوف من الصلة على معنى: ﴿لِمَنْ﴾ كان في وقت خلقه طيناً.

والكاف في ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ للخطاب، و﴿هَٰذَا﴾ مفعول به، والمعنى: أخبرني

---

(١) الدر المنثور ج٤: ١٩١، التبيان ج٦: ٤٩٤.

(٢) الصافات: ٦٢، الدخان: ٤٣،الواقعة: ٥٢، والقول عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ٧٨.

عن ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ كرّمته ﴿عَلَىَّ﴾ أي: فضّلته عليّ [لِمَ اخترته عليّ][(١)] وأنا خير منه؟ فحذف للاختصار.

ثمّ ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ واللام لتوطئة القسم ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ لأستأصلنّهم بالإغواء ولأستولينّ عليهم، من احتنك الجراد الأرض: إذا أكل ما عليها، وأصله من الحنك. وإنّما طمع الملعون في ذلك لأنّه سبحانه أخبر الملائكة أنّه سيجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء.

﴿ٱذْهَبْ﴾ معناه: امض لشأنك الذي اخترته، وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء، ثمّ قال: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كما قال موسى للسامري: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾[(٢)]. والتقدير: فإنّ جهنم جزاؤهم وجزاؤك، فغلّب المخاطب على الغائب فقال: ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾.

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ مصدر على إضمار (تجازون)، أو لأنّ ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ بمعنى: تجازون، والموفور: الموفر الكامل.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ واستخفّ ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ واستزلهم بوسوستك، والفز: الخفيف.

و﴿وَأَجْلِبْ﴾ من الجلبة وهي الصياح، أي: صحّ ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ واحشرهم عليهم، والرَجْل: اسم جمع للراجل، ونظيره الركب والصحب، وقرئ: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ على أنّ فَعِلاً بمعنى فاعل [وبضم جيمها فيكون مثل ندس وندس وحدث وحدث][(٣)]، يقال: رَجِل ورَجُل، أي: راجل، ومعناه: وجمعك الرجل.

---

(١) ساقطة من أ.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) ساقطة من أ، ط.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ يريد كل معصية تحملهم عليها: في باب الأموال كالربا والإنفاق في الفسق ومنع الزكاة، وفي باب الأولاد بالزنا ودعوى الولد بغير سبب.

﴿وَعِدْهُمْ﴾ بالمواعيد الكاذبة من: شفاعة الآلهة وتمني البقاء وطول الأمل.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الصالحين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: لا تقدر أن تغويهم لأنّهم لا يغترون بك ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم، يتوكلون عليه في الاستعاذة منك فيحفظهم من شرّك.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

﴿يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي: يسيّر ويجري لكم السفن ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ أي: خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ أي: ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وحده، فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده، ولا يخطر ببالكم أنّ غيره يقدر على إنقاذكم.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من البحر ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ فأمنتم حملكم ذلك على الإعراض.

و﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ منصوب بـ﴿يَخْسِفَ﴾ مفعول به، كالأرض في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا

﴿بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾[١]، و﴿بِكُمْ﴾ حال، والمعنى: أن يقلب جانب البر وأنتم عليه.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء. والمعنى: وإن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ حافظاً يصرف عنكم ذلك.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن﴾ يقوي دواعيكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجّاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن ﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ وهي ﴿الرِّيحِ﴾ التي لها قصيف، أي: صوت شديد، كأنّها تتقصف أي: تتكسّر، وقيل: هي التي لا تمر بشيء إلا قصفته[٢].

﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقرئ بالتاء يعني: الريح، وبالنون، وكذلك ﴿يَخْسِفَ﴾ و﴿يُرْسِلَ﴾، و﴿يُعِيدَكُمْ﴾ قرئ بالياء والنون.

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بكفرانكم النعمة في الإنجاء.

والتبيع: المطالب من قوله: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣] أي: مطالبة، قال الشماخ:

كَـمَا لَاذَ الغَرِيـمُ مِـنَ التَّبِيـعِ[٤]

والمعنى: إنّا نفعل ما نفعل بهم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ﴾ أحداً يطالبنا بما فعلنا، انتصاراً منا.

---

(١) القصص: ٨١.

(٢) مجاز القرآن ج١: ٣٨٥.

(٣) البقرة: ١٧٨.

(٤) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: ٢٢٧، وصدره: تلوذ ثعالب الشرفين منها.

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

يعني: كرّمناهم بالنطق والعقل والتمييز والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وبتسليطهم على ما في الأرض، وتسخير سائر الحيوانات لهم ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب وفي ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ هو ما سوى الملائكة، لأنّ الفضل عام في جنس الملائكة وخاص في بني آدم.

﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ بمن ائتموا به من نبيّ أو إمام أو كتاب. الصادقعليه السلام: ((ألا تحمدون الله؟! إذا كان يوم القيامة فدعي كل قوم إلى من يتولّونه، وفزعنا إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله وفزعتم إلينا، فإلى أين ترون يذهب بكم؟! إلى الجنّة وربّ الكعبة ـ قالها ثلاثاً ـ))[1].

﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ من هؤلاء ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿مَنْ﴾ لأنّه في معنى الجمع ﴿يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ لا يجتنبون عن قراءته لما يرون فيه من مواجب السرور ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو المفتول الذي في شق النواة، أي: لا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء.

﴿وَمَن كَانَ فِي﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ لا يهتدي إلى طريق النجاة ﴿فَهُوَ فِي

---

(١) بشارة المصطفى: ١٤٤ باختلاف يسير.

﴿ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ لا يهتدي إلى طريق الجنّة، ويجوز أن يكون الثاني بمعنى التفضيل، ولذلك قرأ أبو عمرو الأوّل ممالاً والثاني بالتفخيم، لأنّ أفعل التفضيل تمامه بـ(من) فكانت ألفه كأنّها في وسط الكلمة، كقولك: أعمالكم.

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا
غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ
وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ
لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ
خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ
وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

﴿إِن﴾ هذه مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، ومعناه: إنّ الحديث أو الأمر قاربوا أن يصرفوك ﴿عَنِ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: عن حكمه، لتضيف إلينا ما لم ننزله عليك.

﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: ولو اتبعت مرادهم لأظهروا خلتك. روي: أنّ قريشاً قالوا للنبيّ ﷺ: لا ندعك تستلم الحجر الأسود حتى تلمّ بآلهتنا، فقال في نفسه: ما عليّ في أن ألمّ بها والله يعلم أنّي لها كاره ويدعوني أستلم الحجر، فأنزلت[١]. وروي غير ذلك وهو مذكور في موضعه[٢].

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ أي: لولا تثبيتنا لك بالعصمة والألطاف ﴿لَقَدْ﴾ قاربت أن تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أدنى ميل فتعطيهم بعض ما سألوك.

---

(١) لباب النقول: ١٧٧.

(٢) ينظر: الدر المنثور ج٤: ١٩٤.

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ﴾ عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ ﴾ يعني: عذاب الدنيا والآخرة مضاعفين، أي: لضاعفنا لك العذاب المعجّل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخّره لما بعد الموت، وفي هذا دليل على أنّ القبيح يكون عظم قبحه على مقدار عظم شأن فاعله. وعن ابن عباس: (إنّ رسول الله ﷺ معصوم، وإنّما هو تخويف لئلا يركن مؤمن إلى مشرك في شيء من أحكام الله تعالى)[1].

﴿وَإِن كَادُواْ ﴾ يعني: قريشاً ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ ليزعجونك ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مكة بالإخراج.

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ ﴾ أي: لا يبقون بعد إخراجك ﴿إِلَّا ﴾ زماناً ﴿قَلِيلًا ﴾ فأنّ الله يهلكهم، وقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل، أو إلا ناساً قليلاً منهم يريد من انفلت منهم يوم بدر ومن آمن، وقيل: من أرض المدينة، لأنّ اليهود قالوا له: إنّ الأنبياء بعثوا بالشام وهي مهاجر إبراهيم، فلو خرجت إلى الشام لآمنّا بك، فهمّ بالخروج إلى الشام فنزلت[2].

وقرئ: خلفك وخلافك ومعناهما واحد، قال:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا   بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا[3]

أي: بعدهم.

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ يعني: إنّ كل قوم أخرجوا رسولهم من بينهم فسنّة أن يهلكهم. وانتصابه بأنّه مصدر مؤكد، أي: سنّ الله ذلك سنة.

---

(١) مجمع البيان ج٥-٦: ٤٣٢.

(٢) أسباب النزول: ٢٠٤.

(٣) شعر الحارث بن خالد المخزومي: ٦٣، وفيه: عقب الرذاذ خلافهم...

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ
قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ
لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي
مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا
نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا
٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾

الدلوك: الزوال، وقيل: هو الغروب[1]، والأوّل أصحّ، لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، فصلاتا دلوك الشمس: الظهر والعصر، وصلاتا ﴿غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: المغرب والعشاء الآخرة، والمراد بـ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾: صلاة الفجر.

و﴿غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: أوّل بدو الليل وظلمته، ﴿مَشۡهُودٗا﴾ يشهده ملائكة الليل والنهار، يصعد هؤلاء وينزل هؤلاء، فهو في آخر ديوان الليل وأوّل ديوان النهار. ويجوز أن يكون ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ حثاً على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مشهودة بالجماعة الكثيرة ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وعليك بعض الليل ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ والتهجّد: ترك الهجود للصلاة، ونحوه: التأثّم والتحرّج، ويقال للنوم: التهجّد أيضاً.

﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ أي: عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع ﴿نَافِلَةٗ﴾ موضع تهجّداً، لأنّ التهجّد عبادة زائدة فجمعهما معنى واحد، فالمعنى: إنّ التهجّد زيد لك على الصلوات المكتوبة فريضة عليك خاصة وتطوعاً لغيرك، وقيل: معناه:

---

(١) عن ابن مسعود. تاريخ الطبري ج١٥: ٩١.

نافلة لك ولغيرك[١]. وخصّ بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير إلى الاستنان بسنّته.

﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ نصب على الظرف، أي: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ فيقيمك مقاماً محموداً، أو ضمّن ﴿يَبْعَثَكَ﴾ معنى: يقيمك، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: ذا مقام محمود، ومعنى المقام المحمود: المقام الذي يحمده فيه الأوّلون والآخرون، وهو مقام الشفاعة، يسأل فيه فيعطى، ويشفع فيه فيشفع، ويشرف فيه على جميع الخلائق فيوضع في كفه لواء الحمد يجتمع تحته الأنبياء والملائكة.

و﴿مُدْخَلَ﴾ و﴿مُخْرَجَ﴾ بمعنى المصدر، أي: ﴿أَدْخِلْنِى﴾ في جميع ما أرسلتني به إدخالاً مرضياً ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ منه إخراجاً مرضياً يحمد عاقبته، وقيل: يريد إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجه منها سالماً[٢]، وقيل: هو عام.

﴿سُلْطَـٰنًا﴾ حجّة تنصرني على من خالفني، أو ملكاً وعزّاً ناصراً للإسلام على الكفر، فأجيبت دعوته صلوات الله عليه وآله بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٣]، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٤].

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً لقبائل العرب يحجّون إليها، فلما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبرئيل لرسول الله ﷺ: (خذ مخصرتك ثمّ ألقها)، فجعل يأتي صنماً صنماً وينكت بالمخصرة في عينه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾، فينكب الصنم لوجهه، فألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر، فقال: ((يا عليّ ارم به))، فحمله رسول الله ﷺ حتى صعد فرمى به فكسره،

---

(١) عن مجاهد وغيره. معالم التنزيل ج٢: ٢٤١.

(٢) عن الضحاك. معالم التنزيل ج٢: ٢٤٣.

(٣) الفتح: ٢٨.

(٤) المائدة: ٥٦.

فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمّد[١].

﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ هلك وذهب، من قولهم: زهقت نفسه: إذا خرجت. و﴿ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام، و﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ الشرك ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ أي: مضمحلاً غير ثابت.

﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾: (من) للتبيين أو للتبعيض، أي: كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيماناً، فيقع منهم موقع الشفاء من المرضى. وعن النبيّ ﷺ: ((من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله))[٢].

ولا يزداد به الكافرون ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: نقصاناً، لتكذيبهم به وكفرهم.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالصحّة والغناء ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله تعالى كأنّه مستغن عنه ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تأكيد للإعراض، لأنّ معنى الإعراض عن الشيء: أن يوليه عرض وجهه، ومعنى النأي بالجانب: أن يوليه ظهره، أو يريد التجبر والاستكبار، لأنّ ذلك من عادة المتكبر المعجب بنفسه.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: المحنة والشدّة، أو الفقر ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ شديد القنوط واليأس من رجاء الفرج. وقرئ: وناء بجانبه، قدّم اللام على العين كما قالوا: راء

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ١٢٨ باختصار.

(٢) الكشف والبيان ج٦: ١٢٩.

في رأى، أو يكون من ناء: إذا نهض.

﴿قُلْ﴾ كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال، بدلالة قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: أسدّ طريقة وأصوب مذهباً.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾ المسؤول عنه هو الروح الذي في الحيوان، سئلﷺ عن حقيقته فأخبر أنّه ﴿مِنْ أَمْرِ﴾ الله، أي: مما استأثر الله به، وقيل: إنّ اليهود قالت: إن أجاب محمّد عن الروح فليس بنبيّ، وإن لم يجب فهو نبيّ فإنّا نجد في كتبنا ذلك[1]، وقيل: هو جبرئيل عليه السلام[2]، أو ملك من الملائكة يقوم صفاً والملائكة صفاً[3]، وقيل: هو القرآن[4].

و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من وحيه وكلامه، ليس من كلام البشر.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ الخطاب عام ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: شيئاً يسيراً، لأنّ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها.

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب قسم محذوف وسدّ مسدّ جواب الشرط، والمعنى: إن ﴿شِئْنَا﴾ ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور فلم نترك له أثراً ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾ بعد الذهاب ﴿بِهِۦ﴾ من يتوكل ﴿عَلَيْنَا﴾ باسترداده وإعادته محفوظاً مسطوراً.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ إلا أن يرحمك ربّك فيردّه عليك، كأنّ رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون استثناء منقطعاً بمعنى: ولكن رحمة من ربّك تركته

---

(١) أسباب النزول: ٢٠٥.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٥: ١٠٥.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ١٠٥.

(٤) عن الحسن. تفسير الماوردي ج٣: ٢٦٩.

غير مذهوب به. وهذا امتنان منه سبحانه ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة في تنزيله وتحفيظه.

قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ
لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا
لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا
﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾
أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا
تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ
بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ
سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾

أي: لو تظاهر الثقلان ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ في فصاحته وبلاغته وحسن تأليفه ونظمه لعجزوا عن الإتيان ﴿بِمِثۡلِهِۦ﴾.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ﴾ أي: بيّنا لهم وكررنا ﴿مِن كُلِّ﴾ معنى هو كالمثل في حسنه وغرابته، وقد احتاجوا إليه في دينهم ودنياهم فلم يرضوا.

﴿إِلَّا كُفُورٗا﴾ أي: جحوداً.

ولما تبيّن إعجاز القرآن، وانضاف إليه غيره من المعجزات ولزمتهم الحجّة ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾ أي: تفتح ﴿لَنَا مِنَ﴾ أرض مكة ﴿يَنۢبُوعًا﴾ أي: عيناً ينبع منه الماء لا ينقطع، وهو يفعول كيعبوب من عبّ. وقرئ: تفجر ـ بالتخفيف ـ.

وقولهم: ﴿كَمَا زَعَمۡتَ﴾ عنوا به قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ

﴿أَوۡ نُسۡقِطُ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[١]. وقرئ: كسفاً ـ بفتح السين وسكونه ـ جمع كسفة.

﴿قَبِيلًا﴾ أي: كفيلاً بما تقول، شاهداً بصحّته، والمعنى: أو تأتي بالله قبيلاً وبالملائكة قبيلاً، كقوله:

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي ... بَرِيّاً وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي[٢]

أو يريد: مقابلاً لنا حتى نشاهده ونعاينه، أو جمع قبيلة أي: جماعة، حالاً من ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

والزخرف: الذهب.

﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي﴾ معارج ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ فحذف المضاف ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ﴾ لأجل رقيك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا﴾ من السماء ﴿كِتَٰبٗا﴾ فيه تصديقك، وإنّما قصدوا بهذه الاقتراحات اللجاج والعناد.

﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ [وقرئ: قال سبحان ربّي][٣]، تعجّب من اقتراحاتهم عليه ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا﴾ مثل سائر الرسل، وقد كانوا لا يأتون أممهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، وليس أمر الآيات إليّ، إنّما هو إلى الله وهو العالم بالمصالح، فلا وجه لطلبكم إيّاها مني.

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ

---

(١) سبأ: ٩.

(٢) شعر عمرو بن احمر الباهلي: ١٨٧، وفيه: ومن أجل....

(٣) ساقطة من ب، ج.

مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ
كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا
بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ
جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ
رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

أي: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ الإيمان بالقرآن وبنبوّة محمّد ﷺ ﴿إِلَّآ﴾ إنكارهم أن يرسل الله البشر، فـ﴿أَن﴾ الأولى مفعول ثان لـ﴿مَنَعَ﴾، و﴿أَن﴾ الثانية فاعل، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ للإنكار، فبيّن سبحانه أنّ ما أنكروه غير منكر، وإنّما المنكر خلافه عند الله، لأنّ حكمته البالغة تقتضي أن لا يرسل الملك بالوحي إلا إلى الأنبياء أو إلى أمثاله من الملائكة.

ثمّ قرر سبحانه بأنّه ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ على أرجلهم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين في الأرض لنزّل الله ﴿عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ يهديهم إلى الرشد ويعلّمهم الدين، فأما الإنس فإنّما يرسل الملك إلى من يختاره منهم للنبوّة فيقوم بدعوتهم وإرشادهم.

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنّي قضيت ما عليّ من التبليغ وأنّكم كذّبتم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ عالماً بأحوالهم، وهذا وعيد للكفار وتسلية للنبيّ ﷺ.

و﴿شَهِيدًا﴾ تمييز أو حال.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ أي: يوفّقه ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾ ومن يخذل ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أنصاراً.

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يسحبون عليها إلى النار كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه.

﴿عُمْيًا﴾ عما يسرّهم ﴿وَبُكْمًا﴾ عن التكلّم بما ينفعهم ﴿وَصُمًّا﴾ عما يمتعهم، كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحقّ ويتصامون عن استماعه، ويجوز أن يحشروا وقد إيفت[1] حواسهم من الموقف إلى النار بعد الحساب، فقد أخبر عنهم بأنّهم يتكلّمون.

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ أي: كلما احترقت جلودهم ولحومهم فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ وهو تسليط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثمّ إعادتها، ليزيد بذلك تحسّرهم على التكذيب بالبعث.

﴿أَوَلَمْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ﴾ من قدر على خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فهو ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ﴾ خلق أمثالهم من الإنس، لأنّهم ليسوا بأشدّ خلقاً منهن كما قال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[2].

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت أو القيامة، فأبوا مع وضوح الدليل ﴿إِلَّا﴾ الجحود.

---

(١) إيفت حواسهم: أصابتها آفة. (الصحاح: مادة اوف).

(٢) النازعات: ٢٧.

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾ تقديره: لو تملكون أنتم تملكون، لأنّ ﴿لَوۡ﴾ لا تدخل إلا على الفعل، فأضمر تملكون على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو ﴿أَنتُمۡ﴾، فـ﴿أَنتُمۡ﴾ فاعل الفعل المضمر و ﴿تَمۡلِكُونَ﴾ تفسيره، أي: لو ملكتم ﴿خَزَآئِنَ﴾ أرزاق الله ونعمه على خلقه ﴿لَّأَمۡسَكۡتُمۡ﴾ شحاً وبخلاً. والقتور: البخيل، وقيل: هو جواب قولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا﴾ وما اقترحوه من الزخرف وغيره، ويريد: أنّهم لو ملكوا خزائن الله لبخلوا بها.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾

الآيات التسع: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي رفع فوق بني إسرائيل، هذا قول ابن عباس[1]، وقد ذكر أيضاً: الطوفان، والسنون، ونقص من الثمرات، مكان الحجر، والبحر، والطور[2]، وقيل: إنها تسع آيات في الأحكام، فروي: أنّ بعض اليهود سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: ((أوحى الله إلى موسى أن: قل لبني إسرائيل: لا تشركوا

---

(١) تفسير الماوردي ج٣: ٢٧٧ باختلاف.

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ١١٥.

بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفرّوا من الزحف، وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت))، فقبل اليهودي يده وقال: أشهد أنّك نبيّ[1].

﴿فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: سلهم من فرعون وقل له: أرسل معي بني إسرائيل، أو سلهم عن حال دينهم، أو سلهم أن يعاضدوك، وقيل: معناه: فاسأل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه لتزداد يقيناً وطمأنينة قلب. وعلى القول الأوّل تعلّق ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ بالقول المحذوف، أي فقلنا له: سلهم، وأما على القول الثاني فتعلّق بـ﴿ءَاتَيْنَا﴾ أو بإضمار (اذكر)، والمعنى: إذ جاء آباءهم ﴿مَسْحُورًا﴾ سحرت فخولط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ حججاً وبيّنات مكشوفات ولكنك معاند، وقرئ: علمتُ، بمعنى: لست بمسحور بل أنا عالم بصحّة الأمر، ثمّ قابل ظنه بظنه، فكأنّه قال: إن ظننتني مسحوراً فإنّي أظنك ﴿مَثْبُورًا﴾ هالكاً، وظني أصحّ من ظنك، فإنّ له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما تعرف صحّته وعنادك.

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن﴾ يستخف موسى وقومه ﴿مِّنَ﴾ أرض مصر ويخرجهم منها، أو ينفيهم عن ظهر ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل، فاستفززناه بأن أغرقناه وقومه بأجمعهم.

﴿وَقُلْنَا﴾ لبني إسرائيل ﴿ٱسْكُنُواْ﴾ أرض مصر ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهو قيام الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعاً مختلطين ثمّ يحكم بينكم، واللفيف:

---

(١) معجم الطبراني الكبير ج٨: ٧٠.

الجماعات من قبائل شتى.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: ما أنزلنا القرآن إلا بالحقّ والحكمة وما ﴿نَزَلَ﴾ إلا بالحكمة، لاشتماله على الهداية إلى الخيرات ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا﴾ لتبشرهم وتنذرهم.

وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

﴿وَقُرۡءَانٗا﴾ منصوب بفعل مضمر يفسّره: ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾، وقرئ بالتخفيف، وروي عن عليّ عليه السلام بالتشديد وعن ابن عباس وأُبيّ وغيرهم، ومعنى المشدد: وجعلناه مفرّقاً منجّماً في النزول.

﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ أي: على تثبّت وتؤدة وترتيل ليكون أمكن في قلوبهم ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ﴾ على حسب الحاجة والحوادث. وعن ابن عباس: (لأن أقرأ سورة البقرة وأرتّلها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن هذّاً)[1].

﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ أمر بالإعراض عنهم وقلة الاكتراث بهم وبإيمانهم، وأنّهم إن لم يدخلوا في الإيمان، فإنّ من هم أفضل منهم من الذين قرأوا الكتب وعلموا الشرائع قد آمنوا به، وصحّ عندهم أنّه النبيّ الموعود في كتبهم،

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ٢: ٣٩٦ بالمعنى.

فإذا تلي ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ خروا ﴿سُجَّدٗا﴾ تعظيماً لأمر الله، ولإنجازه ما وعده في الكتب المنزلة من بعثة محمّدﷺ وإنزال القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ أي: إنّه كان وعد الله حقّاً كائناً.

وإنّما ذكر الذقن لأنّ الساجد أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه، ومعنى اللام: الاختصاص، لأنّهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسجود والخرور.

وكرر قوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ﴾ لاختلاف الحالين، وهما: خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمۡ﴾ القرآن ﴿خُشُوعٗا﴾ أي: لين قلب وتواضعاً لله.

والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وهو يتعدّى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيداً، ثمّ تترك أحد المفعولين استغناء عنه فتقول: دعوت زيداً.

و﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ يريد بهما الاسم لا المسمّى، و﴿أَوِ﴾ للتخيير، أي: سمّوا الله بهذا الاسم أو بهذا. والتنوين في ﴿أَيّٗا﴾ عوض من المضاف إليه، و﴿مَّا﴾ مزيدة مؤكدة للشرط، و﴿تَدۡعُواْ﴾ مجزوم بالشرط الذي يتضمّنه ﴿أَيّٗا﴾ والمعنى: أيّ هذين الاسمين سمّيتم أو ذكرتم ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، والضمير في ﴿لَهُ﴾ لا يرجع إلى أحد الاسمين لكن إلى مسمّاهما وهو ذاته عزّ اسمه، لأنّ التسمية للذات لا للاسم، والمراد: ﴿أَيّٗا﴾ ما تدعوه فهو حسن، فوضع موضعه ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لأنّه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنّهما منها، والمعنى في كون أسمائه أحسن الأسماء: أنّها تستقل بمعاني التمجيد والتعظيم والتقديس.

﴿وَلَا تَجۡهَرۡ﴾ بقراءة صلاتك حذف المضاف لفقد الالتباس، لأنّ الجهر والمخافتة معلوم أنّهما صفتان للصوت لا غير، والصلاة عبارة عن أفعال مخصوصة

وأذكار.

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ وسطاً، وقيل: بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار[١]، وقيل: بصلاتك: بدعائك[٢].

﴿وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ناصر من الذل ومانع له منه يتعزّز به، أو لا يوالي أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١: ٢٠٢.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ١٢٢.

سورة الكهف

مكية، مائة وإحدى عشرة آية بصري، عشر كوفي، عدّ البصري ﴿عِنْدَهَا قَوْمًا﴾.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها فهو معصوم ثمانية أيّام من كل فتنة، ومن قرأ الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له في مضجعه نوراً يتلألأ إلى الكعبة، حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يقوم))[1]، الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً، وبعثه الله مع الشهداء))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا
لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾
وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

(١) تفسير السمرقندي ج٢: ٣٦٦.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٧.

علّم سبحانه عباده كيف يحمدونه على أجلّ نعمه عليهم، وهي ما أنزله ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ محمّد ﷺ من القرآن الذي هو سبب نجاتهم.

﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ أي: شيئاً من العوج، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، والمراد به: نفي التناقض عن معانيه.

وانتصب ﴿قَيِّمٗا﴾ بمضمر وليس بحال من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، لأنّ قوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ معطوف على ﴿أَنزَلَ﴾ فهو داخل في حيّز الصلة، فمن جعله حالاً من (الكتاب) يكون فاصلاً بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وذلك غير جائز، والتقدير: ولم يجعل له عوجاً بل جعله ﴿قَيِّمٗا﴾ لأنّه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وجمع بينهما للتأكيد، وقيل: معناه: قيماً بمصالح العباد، أو قيماً على سائر الكتب شاهداً بصحّتها[١].

﴿لِّيُنذِرَ﴾ الذين كفروا ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ فاقتصر على أحد المفعولين.

﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ أي: صادراً من عنده. والأجر الحسن: الجنّة.

﴿مَّٰكِثِينَ﴾ أي: لابثين ﴿فِيهِ﴾ مؤبدين.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ﴾ لأنّه ليس مما يعلم لاستحالته.

﴿كَلِمَةٗ﴾ نصب على التمييز، وفيه معنى التعجب، كأنّه قال: ما أكبرها كلمة، وقيل: ﴿كَبُرَتۡ﴾ مثل نعمت، و﴿كَلِمَةٗ﴾ تفسير لفاعل ﴿كَبُرَتۡ﴾، و﴿تَخۡرُجُ﴾ صفة لموصوف محذوف، والتقدير: كبرت الكلمة كلمة خارجة ﴿إِن يَقُولُونَ﴾. والكلمة هي قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ سمّيت كلمة كما سمّوا القصيدة كلمة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ج٢: ١٣٣.

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

﴿بَٰخِعٌ﴾ أي: قاتل ﴿نَّفۡسَكَ﴾ وجداً وأسفاً ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ بالقرآن، شبّهه برجل فارقه أعزّته فهو يتحسّر ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ ويبخع نفسه تلهّفاً على فراقهم.

و﴿أَسَفًا﴾ حال أو مفعول له، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب، ورجل أسف وأسيف.

﴿مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون ﴿زِينَةً﴾ وحلية للأرض ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها.

﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾ أي: لنختبرهم ﴿أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ وهو من كان أزهد فيها.

ثمّ زهد سبحانه فيها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أي: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء مؤنقة في زوال بهجته وذهاب رونقه وحسنه.

أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾

﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾ الغار الواسع في الجبل، واختلف في ﴿الرَّقِيم﴾ فقيل: هو

لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف[١]، وقيل: هو اسم الوادي الذي كان فيها الكهف[٢]، وقيل: هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسدّ عليهم، فدعا كل واحد منهم بما عمله لله خالصاً ففرّج عنهم[٣].

﴿كَانُوا۟﴾ آية عجباً ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ وصفاً بالمصدر، أو ذات عجب.

﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك، وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نحن فيه ﴿رَشَدًا﴾ حتى نكون بسببه راشدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك: رأيت منك رشداً.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ حجاباً من أن تسمع، يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم منها الأصوات، فحذف المفعول الذي هو الحجاب، كما قالوا: بنى على امرأته، يعنون: بنى عليها القبة.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: ذوات عدد أي: سنين كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم.

﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ فيه معنى الاستفهام، ولذلك علّق عنه ﴿لِنَعْلَمَ﴾ فلم يعمل فيه، و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماض، ومعناه: أي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف ضبط أمداً لأوقات لبثهم، ولا يكون ﴿أَحْصَىٰ﴾ من أفعل التفضيل في شيء، لأنّه لا يبنى من غير الثلاثي المجرد.

ولم يزل سبحانه عالماً بذلك، وإنّما أراد ما تعلّق به العلم من ظهور الأمر لهم

(١) الكشف والبيان ج٦: ١٤٧.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ١٣١.

(٣) مسند أحمد ج٤: ٢٧٤.

ليزدادوا إيماناً، وقيل: يعني بالحزبين: أصحاب الكهف وأنّهم لما استيقظوا اختلفوا في مقدار لبثهم.

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾

﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ بالتوفيق والألطاف المقوية لدواعيهم.

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: قوّيناها وشددنا عليها حتى صبروا على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس من غير مبالاة به ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا﴾ الذي نعبده ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

﴿شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم، من شطّ: إذا بعد.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ و﴿قَوۡمُنَا﴾ عطف بيان، وخبره ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ وهو إخبار في معنى الإنكار.

﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾ أي: هلا يأتون على عبادتهم ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ بحجّة ظاهرة، وهو تبكيت لأنّ الإتيان بالحجّة على ذلك محال، وفيه دلالة على فساد التقليد.

﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطاب من تمليخا ـ وهو رئيس أصحاب الكهف ـ لأصحابه ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ في محلّ النصب للعطف على الضمير، يعني: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً على أنّهم كانوا يعترفون بالله ويشركون معه، وأن يكون منقطعاً. وقيل: هو اعتراض ومعناه: الإخبار من الله تعالى أنّهم لم يعبدوا غير الله.

﴿مِّرۡفَقٗا﴾ قرئ بفتح الميم وكسرها، وهو ما يرتفق به أي: ينتفع.

وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

قرئ: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ بالتخفيف والتشديد، فالتخفيف لحذف التاء، والتشديد للإدغام، وقرئ: تزورّ، على وزن تحمرّ وكلها من الزور وهو الميل.

و﴿ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ جهة اليمين، وحقيقتها الجهة المسماة باليمين ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ تقطعهم لاتقربهم، من معنى القطيعة والصرم ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُ﴾ أي: في متسع من الكهف. ومعناه: إنهم لا تصيبهم الشمس في طلوع نهارهم ولا في غروبها مع أنّهم في مكان واسع منفتح من غارهم، ينالهم فيه برد النسيم وروح الهواء.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهو ما صنعه بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة، وقوله: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ ثناء عليهم بأنّهم جاهدوا في الله فلطف بهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة.

﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ﴾ خطاب لكل أحد، والأيقاظ جمع يقظ، أي: ﴿وَهُمۡ﴾ نيام وعيونهم مفتحة، فيحسبهم من ينظر إليهم ﴿أَيۡقَاظٗا﴾ وقيل: لكثرة تقلبهم[1].

وقرأ الصادقعليه السلام: وكالبهم أي: صاحب كلبهم.

﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ حكاية حال ماضية، لأنّ اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان بمعنى المضارع، ولا يعمل إذا كان في معنى الماضي. والوصيد: الفناء، وقيل: العتبة[2]. والرعب: الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم[3]، وقيل: لوحشة مكانهم[4].

وكما أنمناهم تلك النومة ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ منها ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: ليسأل بعضهم بعضاً، ويتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على معرفة صانعهم، ويزدادوا يقيناً إلى يقينهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٢٧٤.

(٢) عن عطاء. معالم التنزيل ج٢: ٢٥٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٢٧٥.

(٤) الكشف والبيان ج٦: ١٦١.

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ لأنّهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا بعد الزوال فظنوا أنّهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وشعورهم ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ أي: ربّكم أعلم بذلك، لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر مما يهمكم.

وقرئ: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ بكسر الراء وسكونها وهو الفضة.

﴿أَيُّهَآ﴾ أي: أي أهلها، فحذف، مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1].

﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ أي: أطيب وأحلّ وأكثر وأرخص.

﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ أي: وليتكلف اللطف في أمر البيع أو في أمر التخفي حتى لا يعرف.

﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ أي: لا يخبرن بمكانكم أحداً من أهل المدينة.

﴿إِنَّهُمۡ إِن﴾ يعلموا بمكانكم ويطّلعوا ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ يقتلوكم بالرجم وهي أخبث القتلة ﴿أَوۡ﴾ يدخلوكم ﴿فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ بالعنف ويصيروكم إليها ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ﴾ إن دخلتم في دينهم ﴿أَبَدٗا﴾.

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم
بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ
عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ
خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ
كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ

---

(١) يوسف: ٨٢.

﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ الذي هو البعث ﴿حَقٌّ﴾ لأنّ حالهم في نومهم وانتباههم كحال من يموت ثمّ يبعث.

و﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعلّق بـ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أي: أعثرناهم عليهم حين ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أمر دينهم، ويختلفون في البعث، فكان يقول بعضهم: يبعث الأرواح دون الأجساد، ويقول بعضهم: يبعث الأجساد مع الأرواح؛ حتى يرتفع الخلاف ويتبين أنّ الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت.

﴿فَقَالُواْ﴾ حين توفى الله أصحاب الكهف: ﴿ٱبْنُواْ﴾ على باب كهفهم ﴿بُنْيَٰنًا﴾ كما تبنى المقابر.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ على باب الكهف ﴿مَّسْجِدًا﴾ يصلّي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أأحياء نيام هم أم أموات؟ فقد قيل: إنّهم ماتوا، وقيل: إنّهم لا يموتون إلى يوم القيامة.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن خاض في قصّتهم في زمان رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين.

و﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلاثة، وكذلك ﴿خَمْسَةٌ﴾ و﴿سَبْعَةٌ﴾.
و﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت صفة لـ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾، وكذلك

﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ و﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وأما الواو الداخلة على الجملة الثالثة فإنّها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة، تقول: جاءني رجل ومعه آخر، وجاءني زيد ومعه غلامه، وفائدة الواو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أنّ اتصافه بها أمر ثابت مستقر، فهذه الواو تؤذن بأنّ قول الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قول صادر عن علم لا عن رجم ظن كقول غيرهم.

ومعنى قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به، نحو قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1] أي: يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن كأنّه قال: ظناً بالغيب، قال زهير:

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ[2]

أي: المظنون.

وعن ابن عباس: (حين وقعت الواو انقطعت العدّة)[3]، يعني: لم يبق بعدها عدّة عادّ يلتفت إليها، وثبت أنّهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع، ويدلّ عليه أنّه سبحانه أتبع القولين قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ وأتبع القول الثالث قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وقال ابن عباس: (أنا من أولئك القليل)[4].

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي: فلا تجادل أهل الكتاب في أمر أصحاب الكهف

(١) سبأ: ٥٣.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٨، وصدره: وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم.

(٣) تفسير الماوردي ج٣: ٢٩٧.

(٤) تفسير الطبري ج١٥: ١٥٠.

﴿إِلَّا﴾ جدالاً ﴿ظَٰهِرًا﴾ بحجّة ودلالة، تقصّ عليهم ما أوحى الله إليك، وهو كقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ ولا تسأل ﴿أَحَدًا﴾ منهم عن قصّتهم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ لأجل ﴿شَاْيْءٍ﴾ تعزم عليه: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ الشيء ﴿غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الأوقات.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ متعلّق بالنهي لا بقوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ﴾ لأنّه لو قال: إنّي فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله، وذلك ما لا مدخل فيه للنهي. وتعلّقه بالنهي على وجهين:

أحدهما: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه.

والثاني: لا تقولن ذلك إلا بأن يشاء الله أي: بمشيئة الله، وهو في موضع الحال يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله، قائلاً: إن شاء الله.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ [أي: مشيئة ربّك][2] وقل: إن شاء الله ﴿إِذَا﴾ اعتراك نسيان لذلك، يعني: ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ كلمة الاستثناء ثمّ ذكرت فتداركها، وعن ابن عباس: (ولو بعد سنة)[3]، وعن الصادقعليه السلام: ((ما لم ينقطع الكلام))[4]، وقيل: معناه: واذكر ربّك إذا اعتراك النسيان ليذكّرك المنسي.

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ بشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه ﴿رَشَدًا﴾ وأدنى خيراً ومنفعة. وقيل: معناه: لعل ربّي يؤتيني من البيّنات على أنّي نبيّ ما هو

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) تفسير الطبري ج١٥: ١٥١.

(٤) لم أعثر عليه في المصادر المتوفرة.

أعظم في الدلالة من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل سبحانه ذلك حيث قصّ عليه أخبار الأنبياء وأنبأه من الغيوب بما هو أعظم من ذلك.

وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ... الآية﴾ بيان لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ... الآية﴾[1].

و﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لـ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، وقرئ: ثلاثمائة سنين مضافاً، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز، كما قال سبحانه: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[2].

﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ أي: تسع سنين، لأنّ ما قبله دلّ عليه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ يريد أنّه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم،

---

(١) الآية: ١١.

(٢) الكهف: ١٠٣.

والحقّ ما أخبرك به. وروي: أنّ يهودياً سأل عليّاًعليه السلام عن مدة لبثهم، فأخبر بما في القرآن، فقال: إنّا نجد في كتابنا ثلاثمائة، فقالعليه السلام: ((ذاك بسنيّ الشمس وهذا بسنيّ القمر))[١].

ثمّ ذكر اختصاصه بما غاب في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وأنّه العالم بذلك، ثمّ جاء بما دلّ على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات، للدلالة على أنّ أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك كل سامع ومبصر، لأنّه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها.

﴿مَا لَهُم﴾ الضمير لأهل السماوات والأرض ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ أي: متول لأمورهم، وليس ﴿يُشْرِكُ فِي﴾ قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم. وقرئ: ولا تشرك ـ بالتاء والجزم على النهي ـ.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا يقدر أحد على تبديل أحكام كلماته وتغييرها ولا ﴿تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ وموئلاً، يقال: التحد إلى كذا: إذا مال إليه.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسها ﴿مَعَ﴾ المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يداومون على الدعاء عند الصباح والمساء، وقيل: المراد بـ﴿الْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: صلاة الفجر والعصر[٢] وقرئ: بالغدوة.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في مجالسة أهل الغنى، وهي جملة في موضع الحال. وكان النبيّصلى الله عليه وآله حريصاً على إيمان عظماء المشركين طمعاً في إيمان أتباعهم، فأمر بالإقبال على فقراء المؤمنين كخباب وعمار وأبي ذر وغيرهم، وأن لا يرفع

---

(١) معالم التنزيل ج٢: ٢٦٠.

(٢) عن قتادة. الكشف والبيان ج٦: ١٦٦.

بصره عنهم.

﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً بالخذلان، أو وجدناه غافلاً ﴿عَن ذِكۡرِنَا﴾، أولم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، من أغفل إبله: إذا تركها بغير وسم. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في أفعاله ومشتهياته.

﴿فُرُطٗا﴾ أي: إفراطاً وتجاوزاً للحد، ونبذاً للحقّ وراء ظهره، من قولهم: فرس فرط أي: متقدّم للخيل.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحقّ وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لنفوسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك.

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ أي: أعددنا وهيّأنا للذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله، وشبّه سبحانه ما يحيط ﴿بِهِمۡ﴾ من النار من جوانبهم بالسرادق.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وهو كل شيء أذيب كالنحاس والصفر، وقيل: هو دردي الزيت[1]، وروي: أنّه كعكر الزيت[2] فإذا قرب إليه سقطت فروة رأسه.

﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ إذا قدّم ليشرب انشوى الوجه من حرارته ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ذلك ﴿وَسَآءَتۡ﴾ النار ﴿مُرۡتَفَقًا﴾ متكأ، من المرفق، وهو يشاكل قوله: ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ

---

(١) عن ابن مسعود وغيره. الدر المنثور ج٤: ٢٢١.

(٢) عن ابن عباس وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

وقع قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ موقع الضمير العائد إلى اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ استئناف كلام، ويجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضاً.

و﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ لابتداء الغاية، وفي ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ للتبيين، والسندس: ما رقّ من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال، لأنّ الاتكاء هيئة أهل التنعم من الملوك وغيرهم.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

مثّل سبحانه حال المؤمنين والكافرين بحال ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ متجاورين كان ﴿لِأَحَدِهِمَا﴾ بستانان أجنهما الأشجار ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ وهما محفوفتان ﴿بِنَخْلٍ﴾ يطيف النخل بهما، وبين البستانين مزرعة، وعن ابن عباس: (كانا ابني ملك في بني إسرائيل ورثا مالاً جزيلاً، فأخذ المؤمن منهما حقّه وتقرّب به إلى الله، وأخذ الآخر

حقّه فتملك به الجنّتين والضياع والأموال)[١].

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أي: كل واحدة من البستانين أعطت غلتها، و﴿ءَاتَتْ﴾ محمولة على اللفظ، لأنّ لفظ ﴿كِلْتَا﴾ مفرد.

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: لم تنقص ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ أي: وشققنا وسط الجنّتين ماء جارياً.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ أي: أنواع من المال، من ثمر ماله: إذا كثر. وقرئ: ثُمُر وثُمْر بضمتين وبسكون الميم أيضاً في الموضعين، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة أو جمع ثمار ثمّ يخفف ويقال: ثمر مثل كتب، وقرئ: بفتح الثاء والميم وهو جمع ثمرة: ما يجتنى من ذي الثمرة.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: أنصاراً وحشماً، وقيل: أولاداً ذكوراً[٢] لأنّهم ينفرون معه.

و﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه الكلام، من حار يحور: إذا رجع.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ آخذاً بيد صاحبه المسلم يطوف به ويريه أملاكه ويفاخره بأمواله ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: معجب بما أوتي، مفتخر به، كافر لنعمة ربّه.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أقسم على أنّه إن ردّ إلى ربّه على سبيل التقدير كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة ﴿خَيْرًا﴾ من جنّته في الدنيا، وقرئ: خيراً منهما بعود الضمير إلى ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾.

﴿مُنقَلَبًا﴾ مرجعاً وعاقبة، وانتصابه على التمييز.

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ١٦٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٢٨٩.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ
ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ
إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن
يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ
طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ
خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن
لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿خَلَقَكَ﴾ أي: خلق أصلك ﴿مِن تُرَابٍ﴾ لأنّ خلق أصله سبب في خلقه، فكأنّ خلقه خلق له.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾ أي: عدّلك وأكملك إنساناً معتدل الخلق بالغاً مبلغ الرجال.

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله: (لكن أنا) فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون (لكن) فالتقت النونان فأدغم، و﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، أي: الشأن ﴿ٱللَّهُ رَبِّى﴾، والجملة خبر ﴿أَنَا۠﴾ والراجع منها إليه ياء الضمير. وقرئ بحذف ألف ﴿أَنَا۠﴾ في الوصل، وقرئ أيضاً بإثباتها في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة، يقول لصاحبه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد.

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة مرفوعة المحل على خبر الابتداء، والتقدير: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة المحل والجزاء محذوف، والتقدير: أي شيء شاء الله كان. والمعنى هلا ﴿قُلْتَ﴾ عند دخول ﴿جَنَّتَكَ﴾: الأمر ما شاء الله،

اعترافاً بأنّها حصلت لك بمشيئة الله وفضله، وأنّ أمرها بيده إن شاء حال بينك وبينها ونزع بركتها عنك.

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ إقراراً بأنّ قوته على عمارتها بمعونته، إذ لا يقوى أحد في بدنه وما يملكه إلا بالله.

و﴿أَنَا۠﴾ فصل، و﴿أَقَلَّ﴾ مفعول ثان لـ﴿تَـرَنِ﴾، وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ دلالة على أنّ النفر في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ المراد به الأولاد. والمعنى: ﴿إِن﴾ ترني أفقر ﴿مِنكَ﴾ فأنا أتوقع من صنع الله ﴿أَن﴾ يرزقني ﴿خَـيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ ويسلبك نعمه، ويخرب جنّتك لإيماني وكفرانك.

والحسبان: مصدر بمعنى الحساب، أي: مقداراً قدّره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها، وقيل: ﴿حُسْبَانًا﴾: مرامي من عذابه: حجارة أو صاعقة[1].

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً مستوية لا نبات عليها، يزلق عنها القدم لملاستها، و﴿زَلَقًا﴾ و﴿غَوْرًا﴾ كلاهما وصف بالمصدر.

﴿وَأُحِيطَ﴾ به عبارة عن الهلاك، وأصل الإحاطة: إدارة الحائط على الشيء، وتقليب الكفين عبارة عن الندم والتحسّر، لأنّ النادم يفعل ذلك، فكأنّه قال: فأصبح يندم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في عمارتها.

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني: سقطت عروش كرومها على الأرض وسقطت فوقها الكروم، قالوا: أرسل الله عليها ناراً فأهلكها وغار ماؤها[2]. ثمّ تمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبة من الشرك ودخولاً في الإيمان.

---

(١) مجاز القرآن ج١: ٤٠٣.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ١٦٥.

وقرئ: ﴿لَمۡ تَكُن﴾ بالتاء والياء، و﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ [محمول على المعنى دون اللفظ، والمعنى: ﴿لَمۡ تَكُن لَّهُۥ﴾ جماعة تقدر على نصرته][1] [﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾][2] أي: هو سبحانه وحده القادر على نصرته، لا يقدر أحد غيره أن ينصره، إلا أنّه لم ينصره لأنّه استوجب الخذلان.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ أي: ممتنعاً بقوته عن انتقام الله.

قرئ: ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو وكسرها، والفتح بمعنى النصرة، والكسر بمعنى السلطان والملك.

و﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك المقام وتلك الحال النصرة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يستطيعها أحد سواه، أو السلطان لله لا يمتنع منه، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر، يعني: إنّ قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ﴾ كلمة ألجأته الضرورة إليها.

و﴿ٱلۡحَقِّ﴾ قرئ بالرفع صفة لـ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾، وبالجر صفة لله.

﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ لأوليائه و﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ أي: عاقبة، يعني: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، وقرئ بضم القاف وسكونها.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ
بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ
بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من أ.

لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا
﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ
وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكاثف بسببه حتى خالط بعضه بعضاً ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ متهشّماً متحطّماً ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتنقله من موضع إلى موضع، وقرئ: تذروه الريح. شبّه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك بحال النبات يكون أخضر ثمّ يهيج فتطيره الرياح.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطاعات والحسنات يبقى ثوابها أبداً، وقيل: هي الصلوات الخمس[1].

خيرٌ ﴿ثَوَابًا﴾ يعني: ما يتعلّق بها من الثواب، وما يتعلّق بها من الأمل، لأنّ صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة.

وقرئ: تسير، من سيّرت، و﴿نُسَيِّرُ﴾ من سيّرنا. وتسييرها: قلعها من أماكنها وجعلها هباءً منثوراً، أو تسييرها في الجو.

﴿بَارِزَةً﴾ ليس عليها ما يسترها مما كان عليها.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ جمعناهم إلى الموقف، ويقال: غادره وأغدره أي: تركه، ومنه الغدير: ما غادره السيل.

وشبّهت حالهم بحال الجنود يعرضون على الملك ﴿صَفًّا﴾ مصطفّين ظاهرين، ترى جماعتهم كما يرى كل واحد منهم.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٥: ١٦٥.

﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ على إرادة القول، والمعنى: قلنا لهم: لقد بعثناكم ﴿كَمَا﴾ أنشأناكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾، وقيل: جئتمونا عراة لا شيء معكم.

﴿مَّوۡعِدٗا﴾ أي: وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الرسل من البعث.

و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ للجنس، يعني: صحائف الأعمال.

﴿يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ ينادون هلكتهم الخاصة من بين الهلكات.

﴿صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً﴾ عبارة عن الإحاطة بالجميع ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ أي: عدّها وضبطها ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا﴾ في الصحف، أو وجدوا جزاء ما عملوا.

﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ أي: لا ينقص ثواب محسن، ولا يزيد في عقاب مسيء.

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ
فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ
لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾
وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم
مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا
﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾

﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ كلام مستأنف، والفاء للتسبيب، جعل كونه من الجن سبباً

في فسقه، ومعنى فسق: خرج عما أمره به ربّه من السجود، أو صار فاسقاً كافراً بسبب ﴿أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الذي هو قوله: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الهمزة للإنكار والتعجب، أي: أبعد ما وجد منه تتخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ وتستبدلونهم بي؟! ﴿بِئۡسَ﴾ البدل من الله إبليس لمن استبدله.

وقرئ: ما أشهدناهم، أي: ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: اعتضاداً بهم ﴿وَلَا﴾ أشهدت بعضهم ﴿خَلۡقَ﴾ بعض، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1].

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ وضع ﴿ٱلۡمُضِلِّينَ﴾ موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال، أي: فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة.

وقرئ: ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون، وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم يريد الجن.

والموبق: المهلك، من وبق يبق: إذا هلك. ويجوز أن يكون مصدراً أي: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم﴾ وادياً من أودية جهنم، هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، وعن الفراء: (البين: الوصل، أي: جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة)[2]. ويجوز أن يريد بالشركاء: الملائكة وعزيراً وعيسى، وبالموبق: البرزخ البعيد، أي: جعلنا بينهم أمداً بعيداً.

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ أي: فأيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون في عذابها.

﴿مَصۡرِفٗا﴾ أي: معدلاً.

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ١٤٧.

﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها، جدلاً: خصومة ومماراة في الباطل، وانتصابه على التمييز.

﴿أَن﴾ الأولى نصب، والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف، والتقدير: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الإيمان والاستغفار ﴿إِلَّآ﴾ انتظار ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهي الإهلاك ﴿أَوْ﴾ انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ عذاب الآخرة ﴿قُبُلًا﴾ عياناً. وقرئ: قبلاً أنواعاً.

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

جدالهم: قولهم للأنبياء: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[1]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾[2] ونحو ذلك.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: ليزيلوا ويبطلوا، من إدحاض القدم وهو إزلاقها.

﴿وَمَآ أُنذِرُوا﴾: (ما) موصولة والعائد إليها من الصلة محذوف، أي: وما أنذروا من البعث والجزاء، أو مصدرية بمعنى: وإنذارهم ﴿هُزُوًا﴾ أي: موضع

---

(١) يس: ١٥.

(٢) المؤمنون: ٢٤.

استهزاء.

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بالقرآن، ولذلك عاد الضمير إليه مذكّراً في قوله: ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن ذكّر بالقرآن فلم يتذكر حين ذكّر، وأعرض عنه جانباً ﴿وَنَسِيَ﴾ عاقبة ﴿مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها.

ثمّ علل إعراضهم ونسيانهم بأنّهم مطبوع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، وجمع بعد الإفراد للحمل على لفظ (مَن) ومعناه.

﴿فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ﴾ أي: فلا يكون منهم اهتداء البتة، و﴿إِذًا﴾ جواب وجزاء يعني: أنّهم جعلوا ما كان يجب أن يكون سبب الاهتداء سبباً في انتفائه.

و﴿ٱلۡغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة فلا ﴿يُؤَاخِذُهُم﴾ عاجلاً مع استحقاقهم العذاب.

﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ يعني: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر[1].

﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ ملجأ ومنجا، يقال: وأل إليه: إذا لجأ إليه، ووأل: إذا نجى.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ إشارة إلى قرى عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، و﴿ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ صفة لـ﴿تِلۡكَ﴾ و﴿تِلۡكَ﴾ مبتدأ، و﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ خبره. ويجوز أن يكون ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ نصباً بفعل مضمر يفسّره أهلكنا، والمعنى: وتلك أصحاب القرى ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ مثل ظلم قريش.

﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم﴾ أي: لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم، وقرئ: لمهلكهم، ومعناه: لهلاكهم، أو لوقت هلاكهم ﴿مَّوۡعِدٗا﴾ معلوماً، والموعد: وقت أو

---

(١) تفسير الطبري ج١٥: ١٧٤.

مصدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

فتاه: يوشع بن نون، وسمّاه فتاه لأنّه كان يخدمه ويتبعه ليأخذ منه العلم. وفي الحديث: ((ليقل أحدكم: فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي))[1].

و﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ بمعنى: لا أزال، وخبره محذوف لدلالة الحال عليه، لأنّها كانت حال سفر، فلو كان بمعنى: لا أزول لدلّ على الإقامة، فلابد أن يكون المعنى: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ أسير ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام، وهو ملتقى بحري فارس والروم، فبحر الروم مما يلي المغرب وبحر فارس مما يلي المشرق.

﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ أو أسير زماناً طويلاً، والحقب: ثمانون سنة، أو سبعون.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي: نسيا تفقّد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على وجدان البغية، وقيل: نسي يوشع أن يقدّمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، وكان سمكة مملوحة. وقيل: إنّ يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمّى عين الحياة ونام موسى، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت

(١) مسند أحمد ج٢: ٥٠٨.

ووقعت في الماء، وقيل: توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووثب في الماء[١].

﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ أي: طريقه ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾ أي: مسلكاً يذهب فيه، صار الماء عليه مثل الطاق وحصل من الماء في مثل السرب.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقّد أمر الحوت، ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رآه من حوته ووقوعه في الماء، ألقي على موسى النصب والجوع ولم يجع ولم يتعب قبل ذلك، فتذكر موسى الحوت وطلبه.

وقوله: ﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾ إشارة إلى مسيرهما حين جاوزا الصخرة وسارا تلك الليلة والغد إلى الظهر.

ولما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنّه ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ﴾ ما دهاني ﴿إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ ونسيت حديثه، وقيل: معناه: تركت الحوت وفقدته.

و﴿أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ بدل من الهاء في ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ أي: وما أنساني ذكره ﴿إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ وقرأ حمزة: (وما أنسانيهُ) وفي الفتح ﴿عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾[٢] بضم الهاء.

و﴿عَجَبٗا﴾ مفعول ثان لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾ مثل ﴿سَرَبٗا﴾، أي: واتخذ سبيله سبيلاً عجباً وهو كونه مثل السرب، وقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى اتخاذه سبيلاً، أي: ذلك الذي ﴿كُنَّا﴾ نطلب من العلامة.

---

(١) ينظر: الأقوال والقصة الدر المنثور ج٤: ٢٢٩ وما بعدها.

(٢) الآية: ١٠.

﴿فَٱرۡتَدَّا﴾ أي: رجعا في الطريق الذي جاءا منه يقصّان آثارهما ﴿قَصَصٗا﴾، وقرئ: ﴿نَبۡغِ﴾ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن.

فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن
لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ
رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ
أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ
أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ
قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ
إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ
أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمۡ
أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾

﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ هي الوحي والنبوّة ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب.

وقرئ: رَشَداً ومعناه: علماً ذا رشد أرشد به في ديني.

﴿لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ﴾ نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنّها مما لا يصحّ ثبوته، وعلل ذلك بأنّه يأتي بها لا يعرف هو باطنه ولا يعلم حقيقته فظاهره عنده منكر. والخبر: العلم، و﴿خُبۡرٗا﴾ تمييز، أي: ﴿لَمۡ﴾ يحط ﴿بِهِۦ﴾ خبرك.

﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾ في محلّ نصب عطف على ﴿صَابِرٗا﴾ أي: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ صابراً وغير عاص، وعلّق صبره بمشيئة الله علماً منه بشدّة الأمر.

وقرئ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلَنِّي﴾ بالنون الثقيلة، والمعنى: إنّ من شرط اتباعك لي أن لا تسألني ﴿عَن شَيْءٍ﴾ أفعله مما تنكره عليّ إذ يخفى عليك وجه حسنه ﴿حَتَّىٰٓ﴾ أكون أنا مفسّره ﴿لَكَ﴾. وهذا من أدب المتعلم على العالم والمتبوع على التابع.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ على ساحل البحر يطلبان السفينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين مما يلي الماء منها، فحشاها موسى بثوبه وجعل يقول: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، وقرئ: ليغرق أهلها.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً، من قولهم: أَمِرَ الأمر: إذا عظم.

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: بشيء نسيته، أو بالذي نسيته، أو بنسياني، [أراد: أنّه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، وعن أُبيّ: (إنّه لم ينس ولكنّه من معاريض الكلام)[١]][٢]، أراد: إنّه أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنّه قد نسي، ويجوز أن يريد بالنسيان: الترك، أي: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا﴾ تركت من وصيتك أوّل مرة.

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ أي: لا تكلّفني ﴿مِنْ أَمْرِي﴾ مشقة، وعاملني باليسر، ورهقه: غشيه، وأرهقه إيّاه، فكأنّه قال: ولا تغشني ﴿عُسْرًا﴾ من أمري وهو اتباعه إيّاه، وقرئ: عُسُراً بضمتين.

فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان، فلقيا ﴿غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر.

﴿زَكِيَّةً﴾ أي: طاهرة من الذنوب، وقرئ: زاكية.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم يقتل نفساً فيقتص منها.

---

(١) تفسير الطبري ج١٥: ١٨٤.

(٢) ساقطة من أ.

﴿نُّكۡرٗا﴾ أي: فظيعاً منكراً. وقرئ بضمتين.

[﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ﴾][1] وفي زيادة ﴿لَكَ﴾ هنا زيادة العتاب على ترك الوصية.

قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۢ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾

﴿بَعۡدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة، أو بعد المسألة ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِي﴾ أي: فلا تتابعني على صحبتك وإن طلبتها، وقرئ: فلا تَصْحَبْنِي، أي: فلا تكن صاحبي.

﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك إذ أخبرتني أن لا أستطيع معك صبراً. وعن النبيّ ﷺ: ((استحيا نبيّ الله موسى، فلو صبر لرأى ألفاً من العجائب))[2]. وقرئ: من لدني بتخفيف النون.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) تفسير الطبري ج١٥: ١٨٦ بالمعنى.

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية، وقيل: أيلة(١)، وقيل: قرية على ساحل البحر تسمّى ناصرة(٢).

﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ أي: لم يضفهما أحد من أهلها، [والتضييف والإضافة](٣) بمعنى، وعن النبيّ ﷺ: ((كانوا أهل قرية لئاماً))(٤)، وقيل: شرّ القرى التي لا يضاف الضيف فيها، ولا يعرف لابن السبيل حقّه(٥).

﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: أشرف على أن ينهدم، استعيرت الإرادة للمشارفة والقرب كما استعير الهمّ والعزم لذلك، قال:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ(٦)

وقال حسان:

إِنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسَانِ(٧)

وانقض: أسرع سقوطه، وهو انفعل مطاوع قضضته، وقيل: هو افعلّ من النقض كأحمرّ من الحمرة.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ بيده، وقيل: مسحه بيده فقام واستوى(٨). ولما أقام الجدار

---

(١) عن ابن سيرين. تفسير الطبري ج١٥: ١٨٦.

(٢) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج٢: ٣٣٣.

(٣) في ب: التضيّف والضيافة.

(٤) صحيح مسلم ج٧: ١٠٦.

(٥) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٥: ١٨٦.

(٦) البيت للحارثي. مجاز القرآن ج١: ٤١٠، وفيه: صدر بني براء....

(٧) ديوان حسان بن ثابت ج١: ٥١٧، والبيت ساقط في ج.

(٨) عن سعيد بن جبير. معالم التنزيل ج٢: ٢٧٠.

وكانت الحال حال افتقار إلى المطعم ولم يجدا مواسياً، لم يملك موسى عليه السلام نفسه أن ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾ اتخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ حتى نسدّ به جوعتنا. وقرئ: لتخذت، والتاء من تخذت أصل، اتخذ افتعل منه كاتبع من تبع، وليس من الأخذ في شيء.

﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل: هذا فراق بيني وبينك، فأضاف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ لفقراء ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بها ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ويتعيشون بها.

﴿وَرَآءَهُم﴾ أمامهم كقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾[1]، وقيل: خلفهم[2]، وكان طريقهم في رجوعهم عليه، وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي، وقرأ أُبيّ وعبد الله: كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً.

وقرأ أُبيّ وابن عباس: وأما الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين. وكلاهما قراءة أهل البيت عليهم السلام.

﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: فخفنا ﴿أَن﴾ يغشى الوالدين المؤمنين ﴿طُغْيَٰنًا﴾ عليهما ﴿وَكُفْرًا﴾ لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما بلاءً، أو يعذّبهما برأيه فيحملهما على الطغيان والكفران.

وقرئ: ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف. والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، والرحم: الرحمة والعطف. الصادق عليه السلام: ((إنّهما أبدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبيّاً))[3].

---

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٣٠٥.

(٣) تفسير العياشي ج٢: ٣٣٦.

واختلف في الكنز، فقيل: مال مدفون من الذهب والفضة[١]، وقيل: كتب علم مدفونة[٢]، وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمّد رسول الله[٣]. الصادق عليه السلام: ((إنّه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء))[٤].

﴿رَحۡمَةً﴾ مفعول له، أو مصدر منصوب بـ﴿أَرَادَ رَبُّكَ﴾ لأنّه في معنى رحمهما، وما فعلت ما رأيت ﴿عَنۡ أَمۡرِي﴾ أي: عن اجتهادي ورأيي، وإنّما فعلته بأمر الله، وفي قراءة عليّ عليه السلام: وَمَا فَعَلْتُهُ يَا مُوسَى عَنْ أَمْرِي.

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا
مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا
ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا
سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

---

(١) عن عكرمة. تفسير الطبري ج١٦: ٦.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ٥.

(٣) عن الصادق عليه السلام. الكشف والبيان ج٦: ١٨٨.

(٤) تفسير الطبري ج١٦: ٥.

ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، وقيل: ملك الدنيا مؤمنان: ذو القرنين وسليمان، وكافران: نمرود وبخت نصر[١]. واختلف فيه فقيل: كان عبداً صالحاً أعطاه الله العلم والحكمة وملكه الأرض، وقيل: كان نبيّاً فتح الله على يديه الأرض[٢]. وعن عليّ عليه السلام: ((كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثمّ بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله، فسمّي ذا القرنين، وفيكم مثله))[٣]. وقيل: سمّي ذا القرنين لأنّه قد بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب[٤]، وقيل: كان لتاجه قرنان.

والسائلون: هم اليهود، سألوه على وجه الامتحان، وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه[٥].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن﴾ أسباب ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سَبَبًا﴾ طريقاً موصلاً إليه، فأراد بلوغ المغرب فاتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فاتبع سبباً وأراد بلوغ السدّين فاتبع سبباً، وقرئ: ﴿فَأَتْبَعَ﴾ بقطع الهمزة، أي: فأتبع أمره سبباً، أو أتبع ما هو عليه سبباً.

وقرئ: ﴿حَمِئَةٍ﴾ من حمئت البئر: إذا صارت فيها الحمأة، وحامية، أي: حارة.

﴿وَوَجَدَ﴾ عند العين ناساً كانوا كفرة، فخيّره الله بين أن يعذّبهم بالقتل وأن

---

(١) الخصال: ٢٣٢.

(٢) عن عكرمة. تفسير السمرقندي ج٢: ٣٥٩.

(٣) تفسير الطبري ج١٦: ٨، تفسير العياشي ج٢: ٣٣٩.

(٤) عن الزهري. الدر المنثور ج٤: ٢٤٢.

(٥) تفسير الطبري ج١٥: ١٢٧.

يدعوهم إلى الإسلام، فاختار دعوتهم واستمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على أعظم الظلم وهو الكفر فذاك هو المعذّب في الدارين.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وأصلح فله جزاء الحسنى، أي: جزاء الفعلة الحسنى. وقرئ: ﴿جَزَآءً﴾ بالنصب والتنوين، ومعناه: فله المثوبة الحسنى جزاء أي: مجزية، فهو مصدر وضع موضع الحال.

﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسّر من الخراج وغير ذلك، وتقديره: ذا يسر.

وقرئ: ﴿مَطْلِعَ﴾ بفتح اللام وكسرها وهو مصدر، والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس.

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء، وعن كعب: (كان أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا غربت تصرّفوا في أمورهم ومعايشهم)[1]، وقيل: الستر: اللباس[2]، وعن مجاهد: (من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض)[3].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره.

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك.

﴿خُبْرًا﴾ أي: علماً تكثيراً لذلك. وقيل: يريد ﴿بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ مثل ذلك أي: كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم،

---

(١) عن قتادة. الكشف والبيان ج٦: ١٩٢.

(٢) تفسير ابن عباس ج٣: ١٩٢.

(٣) الكشاف ج٢: ٧٤٥.

ومعناه: أنّهم كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾

السدّان: جبلان سدّ ذو القرنين ما بينهما، وقرئ: بالضم والفتح، وقيل: ما كان من عمل العباد فهو مفتوح، وما كان من خلق الله فهو مضموم، لأنّه فعل بمعنى مفعول فعله الله وخلقه، والمفتوح مصدر فهو حدث يحدثه الناس.

و﴿بَيۡنَ﴾ انتصب على أنّه مفعول به، كما انجر بالإضافة في قوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾[1]. وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق.

﴿مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا﴾ قيل: هم الترك[2].

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ أي: لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها، وقرئ: يُفْقِهُون، أي: لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبيّنونه، لأنّ لغتهم غريبة مجهولة.

---

(١) الكهف: ٧٨.

(٢) عن ابن جريج. الدر المنثور ج٤: ٢٤٩.

﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ اسمان أعجميان، وقرئا: بالهمزة.

﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس(١). وقيل: كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه(٢). وعن النبيّ ﷺ في صفتهم: ((أنّه لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح))(٣). وقيل: إنّهم صنفان: طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر(٤).

وقرئ: ﴿خَرۡجًا﴾ وخراجاً، أي: جعلاً نخرجه من أموالنا، ونظيرهما النول والنوال.

﴿مَا مَكَّنِّي﴾ أي: ما جعلني ربّي فيه مكيناً من كثرة المال واليسار ﴿خَيۡرٌ﴾ مما تبذلونه لي من الخراج فلا حاجة بي إليه، وقرئ: بالإدغام وفكه.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: برجال وصناع يحسنون البناء وبالآلات.

﴿رَدۡمًا﴾ أي: حاجزاً حصيناً، والردم: أكبر من السد، قيل: حفر للأساس حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثمّ وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً(٥).

---

(١) عن سعيد بن عبد العزيز. تفسير الطبري ج١٦: ١٤.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٢: ٢٧٣.

(٣) تفسير الطبري ج١٦: ١٩.

(٤) عن عليّ عليه السلام. الكشف والبيان ج٦: ١٩٦.

(٥) الكشف والبيان ج٦: ١٩٦.

والصدفان بفتحتين: جانبا الجبلين، لأنّهما يتصادفان أي: يتقابلان، وقرئ: الصدفين بضمتين وبضمة وسكون.

والقطر: النحاس المذاب، و﴿قِطْرًا﴾ منصوب بـ﴿أُفْرِغْ﴾ وتقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه. وقرئ: قال ائتوني، أي: جيئوني.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف التاء للخفة، وقرئ: فما اصطاعوا بقلب السين صاداً ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يعلوه، أي: لا حيلة لهم في صعوده لارتفاعه وملاسته، ولا في نقبه لصلابته وثخانته.

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى السد، أي: هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: دنا مجيء يوم القيامة جعل السد دكاً، أي: مدكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك. وقرئ: ﴿دَكَّاءَ﴾ بالمد، أي: أرضاً مستوية.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ هذا آخر حكاية قول ذي القرنين.

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ
عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن
يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ أي: وجعلنا بعض الخلق يوم خروج يأجوج ومأجوج ﴿يَمُوجُ فِي بَعۡضٍ﴾ أي: يضطربون ويختلطون إنسهم وجنّهم حيارى، أو يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنّهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد. وقد روي: أنّهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثمّ يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس، ثمّ يبعث الله نغفاً[١] في أقفائهم فتدخل آذانهم فيهلكون بها.

﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾ وأبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها.

﴿عَن ذِكۡرِي﴾ عن آياتي والتفكر فيها، ونحوه: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾[٢].

﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ أي: وكانوا صماً عنه.

وقراءة أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: أفحسب الذين كفروا، أي: أفكافيهم ومحسبهم ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ وهم الملائكة، فهو مبتدأ وخبر، وبمنزلة الفعل والفاعل، لأنّ اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل، كقولك: أقائم الزيدان، والمعنى: إنّ ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا. وأما القراءة المشهورة فمعناها: أفحسبوا أن يتخذوهم من دوني أرباباً ينصرونهم، أي: لا يكونون لهم أولياء ناصرين، والنزل: ما يقام للنزيل وهو الضيف، ونحوه: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ﴾ أي: ضاع وبطل عملهم، وهم الرهبان ﴿وَهُمۡ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمۡ﴾ محسنون، وأنّ أفعالهم طاعة وقربة. وعن علي‌عليه‌السلام: هو كقوله: ﴿عَامِلَةٌ

---

(١) النغف ـ محرّكة ـ: الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم. (الصحاح: مادة نغف)

(٢) البقرة: ١٧١.

(٣) آل عمران: ٢١.

﴿نَاصِبَةٌ﴾[1] وقال: ((منهم أهل حروراء))[2].

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، ونزدري بهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ
رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ
رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

الحِوَل: التحول، يقال: حال عن مكانه حولاً، كما قالوا: عادني حبّها عوداً، أي: لا يطلبون تحولاً ﴿عَنْهَا﴾ إلى موضع آخر لكمال طيبها.

المداد: اسم ما تمدّ به الدواة، والمعنى: ﴿لَوْ﴾ كتبت كلمات علم الله وحكمته و﴿كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ لها، والمراد بالبحر: الجنس ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ الكلمات ﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾ بمثل البحر مداداً لنفد أيضاً والكلمات لا تنفد. و﴿مَدَدًا﴾ تمييز، كقولك: لي مثله رجلاً، والمدد مثل المداد: وهو ما يمد به، وقرئ: ينفد بالياء.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾ أي: يأمل حسن ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، أو فمن كان يخاف سوء لقائه. والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يرائي بعمله، وأن لا يبتغي به إلا وجه ربّه خالصاً لا يريد به غيره. وعن النبيّ ﷺ قال: ((قال الله عزّوجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه

---

(١) الغاشية: ٣.

(٢) تفسير الطبري ج١٦: ٢٧، تفسير العياشي ج٢: ٣٥٢.

بريء، فهو للذي أشرك))[1]. وعن الصادق عليه السلام: ((ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا تيقظ في الساعة التي يريدها))[2].

---

(١) سنن ابن ماجة ج٢: ١٤٠٥، ح٤٢٠٢، وينظر: الكافي ج٢: ٢٩٥.

(٢) الكافي ج٢: ٥٤٠.

سورة مريم

مكية، ثمان وتسعون آية، عدّ الكوفي ﴿كهيعص﴾ آية ولم يعدّها غيرهم، ولم يعدّوا ﴿الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ وعدّها غيرهم.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأها أُعطي من الأجر بعدد كل من صدّق بزكريا ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات... الخبر بتمامه))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من أدمن قراءة (سورة مريم عليها السلام) لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده، وأُعطي في الآخرة مثل ملك سليمان بن داود في الدنيا))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ
شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ
مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾
يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ٢٠٥، وتمامه: وبعدد من دعا لله ولداً، وبعدد من لم يدع له ولداً.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩﴾

قرأ أبو عمرو بإمالة (هاء) وتفخيم (ياء)، وقرئ على عكسه، وقرئ بإمالتهما.

أي: هذا ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ زكريا ﴿عَبۡدَهُۥ﴾، فـ﴿ذِكۡرُ﴾ مضاف إلى المفعول، و﴿رَحۡمَتِ﴾ مضاف إلى الفاعل، وانتصب ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ لأنّه مفعول ﴿رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾، والرحمة: إجابته إيّاه حين دعاه وسأله الولد.

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ أي: دعا ربّه دعاء ﴿خَفِيّٗا﴾ يخفيه في نفسه. وفي الحديث: ((خير الدعاء الخفي))[(١)]. وعن الحسن: (دعاء لا رياء فيه)[(٢)]. أو أخفاه لئلا يلام في طلب الولد وقت الشيخوخة.

وأضاف الوهن إلى (العظم) لأنّ به قوام البدن، فإذا وهن تساقطت قوته، واللام للجنس، يعني: إنّ هذا الجنس الذي هو العمود والقوام قد أصابه الوهن، وشبّه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره في شعره باشتعال النار، وأسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وجعل الشيب مميزاً، ولم يقل: رأسي اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأسه، ثمّ توسل إليه سبحانه بما سلف له معه من الاستجابة.

و﴿ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾: هم العمومة وبنو العم ﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي: من بعد موتي.

---

(١) إرشاد القلوب ج٢: ١٥٤، مسند أحمد ج١: ١٧٢، وفيه: خير الذكر الخفي.

(٢) الكشاف ج٣: ٣.

وقرأ عليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ عليهما السلام: خفّت الموالي من ورائي، ومعناه: قل بنو عمي وأهلي ومن أخلفه من بعدي.

﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي﴾ عقيماً لا تلد ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ أي: ولداً يليني ويكون أولى بميراثي. وقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تأكيد لكونه ﴿وَلِيّٗا﴾ مرضياً بكونه مضافاً إلى الله وصادراً من عنده.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ بالجزم على الجواب للدعاء، وبالرفع على الصفة، كقوله: ﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[1]. وقرأ عليّ عليه السلام وابن عباس وجعفر بن محمّد عليه السلام والحسن وجماعة: يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوب. ويسمّى التجريد في علم البيان، وتقديره: فهب لي ولياً يرثني به وارث من آل يعقوب وهو نفسه الوارث، وهذا ضرب غريب كأنّه جرد منه وارثاً، ومثله قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾[2] وهي نفسها دار الخلد.

﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ أي: واجعل يا ربّ هذا الولي مرضياً عندك ممتثلاً لأمرك.

﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ لم يسمّ أحد بـ﴿يَحۡيَىٰ﴾ قبله. وعن الصادق عليه السلام: ((وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سميّ، ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً، قيل له: وما كان بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء، وكان قاتل يحيى ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا))[3]. وعن مجاهد: (﴿سَمِيّٗا﴾ أي:

---

(١) القصص: ٣٤.

(٢) فصلت: ٢٨.

(٣) كامل الزيارات: ٧٧ باختصار.

مثلاً وشبيهاً)[١]، كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٢]، وإنّما قيل للمثل: سميّ، لأنّ كل متشابهين يسمّى كل واحد منهما باسم شبيهه، فكل واحد منهما سميّ لصاحبه.

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ أي: كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين، أفحين اختل السببان جميعاً أرزقه؟!.

والعتي: اليبس والجساوة في العظام والمفاصل من أجل الكبر. وقرئ: ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين، وكذلك ﴿صِلِيًّا﴾[٣]، و﴿جِثِيًّا﴾[٤]، و﴿بُكِيًّا﴾[٥].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف رفع، أي: الأمر كذلك تصديق له، ثمّ ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، أو هو نصب بـ﴿قَالَ﴾، و(ذلك) إشارة إلى مبهم يفسّره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[٦].

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ يعتدّ به. وقرئ: وقد خلقناك.

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا

---

(١) تفسير الطبري ج١٦: ٣٨.

(٢) مريم: ٦٥.

(٣) الآية: ٧٠.

(٤) الآية: ٦٨.

(٥) الآية: ٥٨.

(٦) الحجر: ٦٦.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ١٥﴾ ١٣

يعني: ﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ﴾ علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به ﴿قَالَ﴾: علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سوي الخلق ما بك خرس. ودلّ ذكر الليالي هنا والأيّام في آل عمران[1] على أنّ ذلك كان ثلاثة أيّام بلياليها.

﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ أي: أشار إليهم بيده، وقيل: كتب لهم على الأرض[2].

﴿سَبِّحُواْ﴾ أي: صلّوا، أو هو على الظاهر و﴿أَن﴾ هي المفسّرة.

﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجدّ وصحّة عزيمة على القيام به.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ أي: الحكمة والنبوّة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين.

﴿وَحَنَانٗا﴾ وآتيناه رحمة ﴿مِّن﴾ عندنا وتعطفاً وتحنناً على العباد، وقيل لله عزّ اسمه: حنّان، كما قيل: رحيم على سبيل الاستعارة.

﴿وَزَكَوٰةٗ﴾ لمن قبل دينه فيكون زكياً طاهراً، وباراً.

﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ محسناً إليهما، مطيعاً لهما، طالباً رضاهما ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾ متكبراً متطاولاً على الناس.

﴿عَصِيّٗا﴾ عاصياً لربّه.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ منا في هذه الأحوال. وخصّه سبحانه بالكرامة والسلامة في هذه المواطن الثلاثة التي هي أوحش المواطن: ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾ فيرى أشياء ليس له بها عهد ﴿وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ﴾ فيرى نفسه

---

(١) الآية: ٤١.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٦: ٤٢.

في المحشر العظيم.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾
فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا
بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾
قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ
كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا
قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ
قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي
قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾

﴿إِذِ﴾ بدل من ﴿مَرۡيَمَ﴾ وهو بدل الاشتمال، وفيه دلالة على أنّ المقصود بذكر مريم ذكر هذا الوقت لوقوع قصّتها العجيبة فيه، و﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾ أي: اعتزلت في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس قد تخلّت للعبادة فيه، وإنّما اتخذت النصارى الشرق قبلة لأنّ مريم انتبذت ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن﴾ دون أهلها ﴿حِجَابٗا﴾ أي: ستراً وحاجزاً بينها وبينهم.

﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبرئيل عليه السلام، أضافه إلى نفسه تشريفاً له، فأتاها فانتصب بين يديها في صورة آدمي شاب سوي الخلق، لم ينتقص من صورة الآدمي شيئاً.

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ أرادت: إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه فإنّي عائذة به منك.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ﴾ من استعذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ لأكون سبباً في هبة ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ طاهراً من الأدناس، أو تام في أفعال الخير، أو هو حكاية لقول الله عزّ وجل. وقرئ: ليهب، والضمير للربّ وهو الواهب.

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ جعل المس عبارة عن النكاح الحلال، كقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[١]، ويقال في الزنا: فجر بها وما أشبه ذلك.

والبغيّ: الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرّد ـ بَغُوي ـ فأدغمت الواو في الياء[٢]، وقيل: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لكان يقال: بغو كما قيل: فلان نهو عن المنكر.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك فحذف، أو هو معطوف على تعليل مضمر، أي: لنبيّن به قدرتنا ولنجعله آية.

﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقدّراً، مسطوراً في اللوح لابد من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقاً بأن يقضى لكونه آية ورحمة، والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى، وبالرحمة: الشرائع والألطاف، وما كان كذلك فهو جدير بالتكوين.

[﴿فَحَمَلَتْهُ﴾][٣] وعن ابن عباس: (فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فحملت من ساعتها)[٤]. وعن الباقر عليه السلام: ((فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النساء بتسعة أشهر))[٥]. وقيل: حملته وهي

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) ينظر الكامل في اللغة والأدب ج٢: ١٨٩.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) الدر المنثور ج٤: ٢٦٥.

(٥) الكافي ج٨: ٣٣٢ عن الصادق عليه السلام.

بنت ثلاث عشرة سنة[١]، وقيل: بنت عشر[٢].

﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها، كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[٣] أي: تنبت ودهنها فيها. والجار والمجرور في موضع الحال.

﴿قَصِيّٗا﴾ بعيداً من أهلها.

و(أجاء) منقول من (جاء)، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ونظيره: آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء.

و﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾: تمخّض الولد في بطنها، أي: ألجأها وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ﴾ نخلة في الصحراء يابسة، ليس لها ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف للعهد، أي: ﴿ٱلنَّخۡلَةِ﴾ المعروفة في تلك الصحراء.

وقرئ: ﴿مِتُّ﴾ بالضم والكسر، يقال: مات يموت، ومات يمات.

﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ أي: شيئاً حقيراً متروكاً، وهو ما من حقّه أن يطرح وينسى كخرقة الحائض، كما أنّ الذبيح اسم ما من شأنه أن يذبح. وقرئ: ﴿نَسۡيٗا﴾ بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ عيسى أو جبرئيل، والضمير في ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ لـ﴿ٱلنَّخۡلَةِ﴾. وقرئ: مَن تحتها. وقيل: كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾. وسئل النبيّ ﷺ عن السريّ، فقال: ((هو الجدول))[٤]، قال لبيد:

---

(١) تاريخ الطبري ج٢: ١٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٣١٠.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ج٢: ٣٧٣.

فتوسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا   مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلّامُها[(١)]

أي: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ﴾ تحت قدميك نهراً تشربين منه وتتطهرين، وقيل: السريّ: الشريف الرفيع، من السرو يعني: عيسى عليه السلام، وعن الحسن: (كان والله عبداً سريّاً)[(٢)].

وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي
وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ
لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا
تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ
مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ
قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ
ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ
وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ
يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾

أي: واجذبي ﴿إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾. وقرئ: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بالتاء والياء والتشديد، والأصل: تتساقط ويتساقط فأدغم، وتساقط ـ بطرح التاء الثانية ـ وتساقط ـ بضم التاء وكسر القاف ـ والتاء لـ﴿ٱلنَّخۡلَةِ﴾ والياء للجذع. و﴿رُطَبٗا﴾ تمييز أو مفعول على حسب القراءة، والباء في ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ مزيدة للتأكيد كما في

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٠.

(٢) الدر المنثور ج٤: ٢٦٩.

قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾[(١)]، أو على معنى: افعلي الهزّ به. والجني: المجني، من جنيت الثمرة.

﴿فَكُلِى﴾ يا مريم من هذا الرطب ﴿وَٱشْرَبِى﴾ من ماء السريّ، وقد جعلنا لك في السريّ والرطب فائدتين: إحداهما: الأكل والشرب، والأخرى: قرة العين وسلوة الصدر لكونهما معجزتين. وعن الباقر عليه السلام: ((لم تستشف النفساء بمثل الرطب، لأنّ الله أطعمه مريم في نفاسها))[(٢)].

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ أصله: ترأين إلا أنّ الاستعمال بغير همز، والياء فيه ضمير المخاطب المؤنث، أي: إن تري ﴿أَحَدًا﴾ من البشر يسألك عن ولدك ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى﴾ أوجبت على نفسي صوماً أي: صمتاً، يريد إمساكاً عن الكلام، لأنّهم كانوا لا يتكلّمون في صيامهم، وقد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم الصمت لأنّه نسخ في شريعته[(٣)].

﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ حال من الضمير المرفوع في ﴿فَأَتَتْ﴾ أو من الهاء المجرور في ﴿بِهِۦ﴾ أو منهما جميعاً.

﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: عظيماً بديعاً أو أمراً قبيحاً.

و﴿هَٰرُونَ﴾ كان أخاها من أبيها، وكان معروفاً بحسن الطريقة، وقيل: هو أخو موسى عليه السلام، وكانت من ولده[(٤)] كما يقال: يا أخا تميم أي: يا واحداً منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها شبّهوها به[(٥)]، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) المحاسن ج٢: ٥٣٥ عن الصادق عليه السلام.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج٤: ٢٦٦، الاستذكار ج٦: ١٩٠.

(٤) عن السدي. تفسير الطبري ج١٦: ٥٩.

(٥) ينظر: الدر المنثور ج٤: ٢٧٠.

شبّهوها به في الفساد.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فأومأت إلى عيسى بأن كلّموه.

﴿مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من وجد صبياً في المهد.

أنطقه الله أوّلاً بأنّه ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ رداً لقول النصارى ﴿ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ يعني: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ أي: نفاعاً، معلماً للخير حيث ﴿مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ كلفنيهما ﴿مَا﴾ بقيت ﴿حَيًّا﴾ مكلفاً.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أي: باراً بوالدتي مؤدياً شكرها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي﴾ من الجبابرة الأشقياء.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله، كقولك: جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجّه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجّه إليّ.

ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ
لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

أي: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قال: إنّي عبد الله ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، لا ما يقوله

النصارى من: أنّه ابن الله، وأنّه إله.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قرئ بالنصب والرفع، فالرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أو على أنّه خبر بعد خبر، أو بدل؛ والنصب على المدح إن فسّر بـ(كلمة الله)، وعلى أنّه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الصدق كقولك: هو عبد الله الحقّ لا الباطل، وإنّما قيل لعيسى عليه السلام: (كلمة الله) و﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، لأنّه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: ﴿كُن﴾ من غير واسطة أب، تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمّي الغيث بالسماء. أي: أمره حقّ يقين وهم ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكّون، أو يتمارون يتلاحون. قالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ تكذيب للنصارى وتبكيت لهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه، وأنّه مما لا يتصور في العقول، وأنّ من المحال أن يكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد.

ثمّ بيّن ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ إحالته بأنّ من أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بـ﴿كُن﴾ فهو منزّه من شبه الحيوان الوالد.

وقرئ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها، فالفتح على معنى: ولأنّه ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾، أو بأنّه أي: بسبب ذلك فاعبدوه، والكسر على استئناف الكلام.

و﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾: اليهود والنصارى، وقيل: النصارى، لأنّهم تفرّقوا ثلاث فرق: نسطورية، ويعقوبية، وملكائية[1].

وقال: ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ لأنّ منهم من ثبت على الحقّ.

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٦: ٦٥.

﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بسوء أعمالهم، أو من مكان الشهادة أو وقتها.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم، ولا يوصف الله بالتعجب، والمراد: إنّ إسماعهم وإبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً عمياً في الدنيا.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وقع الظاهر موقع المضمر إيذاناً بأن لا ظلم أعظم من ظلمهم حيث أغفلوا النظر والاستماع.

﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب، وحكم بين الخلائق بالعدل، وتصادر الفريقان إلى الجنّة والنار. و﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ أو منصوب بـ﴿ٱلْحَسْرَةِ﴾، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، و﴿أَنْذِرْهُمْ﴾ اعتراض، أو يتعلّق بـ﴿أَنْذِرْهُمْ﴾ والمعنى: وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نميت سكانها، فلا يبقى فيها مالك ولا متصرّف.

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي
قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾
يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾
يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ

وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ
لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ
رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ
صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في القرآن، والصدّيق: من أبنية المبالغة، أي: المبالغ في الصدق وكثير التصديق لكتب الله وأنبيائه، وكان ﴿نَّبِيًّا﴾ في نفسه.

و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وما بينهما اعتراض، أو يتعلّق بـ﴿كَانَ﴾ أي: كان جامعاً لخصائص الصدّيقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات في أحسن ترتيب، فطلب منه العلة أوّلاً في عبادته ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ مع أن العبادة لا يستحقّها إلا المنعم الذي له غاية الإنعام، وهو الله الخالق الرازق الذي منه أصول النعم.

ثمّ دعاه إلى اتباعه بأن قال: ﴿قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالله والمعرفة به ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، ثمّ نهاه عن عبادة ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ وطاعته فيما يدعوه إليه، وذكر عصيان الشيطان للرحمن واستكباره، ثمّ خوّفه سوء العاقبة لما هو فيه.

وصدّر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ استعطافاً له، والتاء في ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ عوض من ياء الإضافة، فلا يقال: يا أبتي. وقرئ: يا أبت ـ بفتح التاء ـ.

و﴿مَا﴾ في ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾ و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يجوز أن تكون موصولة وموصوفة، والمفعول في ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ و﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ غير منوي، والمراد: ما ليس به استماع ولا إبصار، و﴿شَيْئًا﴾ في موضع المصدر، أي: شيئاً من الغناء، أو مفعول به من قولهم: أغن عني وجهك، أي: أبعد عني.

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ أي: أمعرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام، وزاهد فيها؟ ﴿لَئِن لَّمْ﴾ تمتنع عن هذا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأرمينّك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه الرجيم: المرمي باللعن؛ أو لأقتلنّك من رجم الزاني؛ أو لأطردنّك رمياً بالحجارة. وأصل الرجم: الرمي بالرجام.

﴿مَلِيًّا﴾ أي: زماناً طويلاً، من الملاوة. وعطف ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ على محذوف، أي: لأرجمنّك فاحذرني واهجرني.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع ومتاركة ومباعدة منه، كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[(١)]. ويجوز أن يكون دعاء له بالسلامة استمالة، ويدلّ عليه أنّه وعده الاستغفار. والحفيّ: البليغ في البر والألطاف، يقال: حفي به وتحفي به.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أي: وأتنحى منكم جانباً، أراد مهاجرته إلى الشام.

﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: أعبده، ومنه قوله عليه السلام: ((الدعاء هو العبادة))[(٢)]، ويجوز أن يريد بالدعاء ما حكاه الله في سورة الشعراء[(٣)]، وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ فيه تعريض لشقاوتهم بدعاء آلهتهم مع التواضع لله عزّ اسمه في كلمة ﴿عَسَىٰٓ﴾.

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) الكافي ج٢: ٤٦٧، مسند أحمد ج٤: ٢٦٧.

(٣) الآيات ٨٣ ـ ٨٩.

ولما فارقهم وتركهم وهب الله سبحانه ﴿لَهُۥ﴾ أولاداً أنبياء، وأراد بالرحمة: النبوّة، وعن الحسن: (المال والبنون)[١]، وهي عامة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه، ولسان الصدق: الثناء الحسن، وعبّر باللسان عما يوجد باللسان، كما يعبّر باليد عما يطلق باليد وهي العطية، قال:

إنِّي أَتَتْنِـي لِسَـانٌ لا أُسَرُّ بِهَـا[٢]

أي: رسالة، ولسان العرب: لغتهم وكلامهم.

﴿عَلِيًّا﴾ أي: مرتفعاً، فكل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه وعلى ذريته، وقيل: معناه: أعلينا ذكرهم بأنّ محمّداً وأمته يذكرونهم بالجميل، ويصلّون عليهم إلى يوم القيامة.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾
وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ
أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ
وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ
رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن
ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ
هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾

قرئ: ﴿مُخۡلَصٗا﴾ بفتح اللام وكسرها، ومعناه بالكسر: إنّه أخلص العبادة

(١) الكشف والبيان ج٦: ٢١٨ عن الكلبي.

(٢) البيت لأعشى باهلة. ملحق ديوان الأعشى: ٢٦٦، وبقيته: من علو لا عجب منها ولا سخر.

عن الشرك والرياء، وأخلص نفسه وأسلم وجهه لله، وبالفتح: إنّه الذي أخلصه الله. والرسول: من الأنبياء الذي معه كتاب، والنبيّ: الذي ينبئ عن الله وإن لم يكن معه كتاب.

و﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ من اليمين، أي: من ناحية ﴿ٱلطُّورِ﴾ اليمنى، أو من اليُمن فيكون صفة لـ﴿ٱلطُّورِ﴾، ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ﴾ حيث كلّمناه بغير واسطة ملك ورفعنا منزلته.

﴿نَجِيّٗا﴾ أي: مناجياً كليماً.

﴿مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ أي: من أجل رحمتنا له ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥ﴾ هارون.

﴿صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ إذا وعد بشيء وفى به، وذكر بصدق الوعد وإن كان غيره من الأنبياء كذلك، تشريفاً له وإكراماً، أو لأنّه المشهور من خصاله، وناهيك أنّه وعد من نفسه الصبر على الذبح حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[١] فوفى، وعن ابن عباس: (إنّه واعد رجلاً أن ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة)[٢].

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ وقومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنّهم أولى بذلك من سائر الناس، وهو كقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٣]، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾[٤]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾[٥].

قيل: سمّي ﴿إِدۡرِيسَ﴾ لكثرة دراسته كتاب الله. وفيه نظر، لأنّ الاسم

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) تفسير الماوردي ج٣: ٣٧٦.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) طه: ١٣٢.

أعجمي، ولذلك امتنع من الصرف، ولو كان إفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية فكان يجب أن ينصرف.

والمكان العليّ: شرف النبوّة والقربة من الله، وقد أنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة، وهو أوّل من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود، وهو أوّل من خطّ بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وقيل: لأنّه رفع إلى السماء الرابعة[١] أو السادسة[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس عليهما السلام.

و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ للبيان، لأنّ جميع الأنبياء منعم عليهم، و﴿مِنَ﴾ الثانية للتبعيض. والبكي: جمع باك، كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ
يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ
رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن
كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا
وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾

يقال: خلفه: إذا عقبه، ثمّ يقال في عقب الخير: خلَف - بالفتح - وفي عقب السوء خلْف - بالسكون - كما قيل: وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشرّ، وعن

---

(١) عن أبي سعيد الخدري. تفسير الطبري ج١٦: ٧٣.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٦: ٧٢.

ابن عباس: (هم اليهود)[١]، وقيل: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتأخيرها عن أوقاتها[٢].

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ رووا عن عليّ عليه السلام: ((من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور))[٣]. وكل شرّ عند العرب غيّ، وكل خير رشاد، قال:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لائِمَا[٤]

وقيل: يريد جزاء غيّ[٥]، كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾[٦] أي: مجازاة أثام، أو ﴿غَيًّا﴾ عن طريق الجنّة، وقيل: غيّ: واد في جهنم[٧].

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقصون ﴿شَيْـًٔا﴾ من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، لأنّ ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ اشتملت عليها. قيل: إنّ المأتي مفعول بمعنى فاعل، والوجه: أنّ الوعد هو الجنّة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، فمعناه: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ مفعولاً منجزاً.

﴿لَغْوًا﴾ أي: فضول كلام لا طائل فيه، وهو تنبيه على وجوب تجنب اللغو حيث نزّه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها ﴿إِلَّا﴾ تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم، أي: فإن كان ذلك لغواً فـ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ إلا ذلك، فيكون من قبيل قول الشاعر:

---

(١) الكشاف ج٣: ٢٦.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ٧٤.

(٣) الكشف والبيان ج٦: ٢٢١.

(٤) البيت للمرقش الأصغر. الشعر والشعراء ج١: ٢١٥، وفيه: ومن يلق....

(٥) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٣٣٦.

(٦) الفرقان: ٦٨.

(٧) عن ابن عباس مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٢٧٨.

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[١]

كانت العرب تكره الوجبة، وهي الأكلة الواحدة في اليوم الواحد، فأخبر سبحانه أنّ ﴿لَهُمْ﴾ في الجنّة ﴿رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ وهي العادة المحمودة، ولا يكون ثمّ ليل ولا نهار ولكن على التقدير.

وقرئ: ﴿نُوَرِّثُ﴾ بالتشديد، والمعنى: يبقي عليه الجنّة كما يبقى على الوارث مال الموروث، وقيل: أورثوا من الجنّة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا[٢].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ حكاية قول جبرئيل عليه السلام حين استبطأه رسول الله، والتنزّل له معنيان: أحدهما: النزول على مهل، والآخر: النزول على الإطلاق. والمراد هنا: أنّ نزولنا وقتاً بعد وقت ليس ﴿إِلَّا بِأَمْرِ﴾ الله ﴿لَهُ مَا﴾ قدامنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الجهات والأماكن وما نحن فيها، فلا ننتقل من جهة إلى جهة إلا بأمره ومشيئته، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها، وقيل: ما مضى من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة[٣].

﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين النفختين وهو أربعون سنة. وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض[٤].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي: تاركاً لك يا محمّد، كقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٥]، وقيل: وما كان ربّك ناسياً لأعمال العاملين.

---

(١) ديوان النابغة الذبياني: ١١.

(٢) عن ابن شودب. الدر المنثور ج٤: ٢٧٨.

(٣) عن الربيع وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ٧٨.

(٤) الكشف والبيان ج٦: ٢٢٣.

(٥) الضحى: ٣.

وكيف يجوز النسيان والغفلة على من له ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ فحين عرفته بهذه الصفة ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ وحده ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ لمشاق ﴿عِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي: مثلاً وشبيهاً، أي: إذا صحّ أن لا معبود إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته. وعن ابن عباس: (لا يسمّى أحد الرحمن غيره)[1]، وقيل: لم يسمّ شيء بالله قط[2].

وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾

يجوز أن يكون المراد بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الجنس بأسره، لما كانت هذه المقالة موجودة في جنسهم أسندت إلى جميعهم، وأن يكون بعض الجنس وهم الكفرة. وانتصب ﴿إِذَا﴾ بفعل مضمر يدلّ عليه ﴿لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾، لأنّ ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله، ودخلت ﴿مَا﴾ للتوكيد، كأنّهم قالوا: أحقّاً أنّا سنخرج أحياء بعد الموت؟!. والواو عطفت ﴿لَا يَذۡكُرُ﴾ على ﴿يَقُولُ﴾، والمعنى: أيقول ذلك ولا

---

(١) الدر المنثور ج٤: ٢٧٩.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٣: ٩.

يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى، فإنّ تلك أعجب وأدلّ على قدرة الصانع، إذ أخرج الجواهر من العدم إلى الوجود على غير مثال سبق من غيره. وأما الثانية فقد تقدّمت نظيرتها وليس فيها إلا ردّها على ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ دليل على هذا المعنى. وقرئ: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ﴾ بالتخفيف.

﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه.

أقسم سبحانه باسمه مضافاً إلى رسول الله ﷺ، تفخيماً لشأنه ورفعاً لقدره، ويجوز أن تكون الواو في ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ للعطف، وأن تكون بمعنى مع، أي: يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أضلوهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثُمَّ﴾ يحضرون ﴿حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ متجاثين مستوفزين على الركب، متخاصمين يتبرأ بعضهم من بعض، ومثله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ﴾[(١)].

والشيعة هنا هي الطائفة التي شاعت، أي: تبعت غاوياً من الغواة، والمعنى: نستخرج ﴿مِن كُلِّ﴾ طائفة من طوائف الغي والضلال أعتاهم وأعصاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نقدّم أولاهم بالعذاب فأولاهم، ويجوز أن يريد بأشدّهم ﴿عِتِيّٗا﴾: رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم، فإنّهم ضلّال ومضلّون، كقوله: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ﴾[(٢)].

واختلف في إعراب ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ﴾ فقال الخليل[(٣)]: (إنّه مرفوع على الحكاية،

---

(١) الجاثية: ٢٨.

(٢) العنكبوت: ١٣.

(٣) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري، صاحب العربية والعروض، له كتاب العين المشهور، توفي سنة ١٧٥ هـ على قول. ينظر: بغية الوعاة ج١: ٥٥٧.

والتقدير: لننزعنّ الذين يقال فيهم أيّهم أشدّ)[١]، وقال سيبويه: (هو مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة ﴿أَيُّهُمْ﴾، وأصله: لننزعنّ من كل شيعة أيّهم هو أشدّ منصوباً)[٢].

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة ابن عباس: منهم. أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود: دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار النار بغيرهم، وعن ابن مسعود والحسن: (هو الجواز على الصراط، لأنّ الصراط ممدود عليها)[٣]، وعن ابن عباس: (قد يرد الشيء الشيء وإن لم يدخله، كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾[٤]، ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله)[٥]، وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا[٦]، لقوله ﷺ: ((الحمى من فيح جهنم))[٧]، و((الحمى حظ كل مؤمن من النار))[٨].

وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى ظاهر.

والحتم مصدر حتم الأمر: إذا أوجبه فسمّي به الموجب، أي: وكان ورودهم واجباً على الله، أوجبه على نفسه وقضى به.

---

(١) الكتاب ج٢: ٣٩٩.

(٢) الكتاب ج٢: ٣٩٩.

(٣) الدر المنثور ج٤: ٢٨١.

(٤) القصص: ٢٣.

(٥) الكشاف ج٣: ٣٤.

(٦) تفسير الطبري ج١٦: ٨٣.

(٧) صحيح البخاري ج٤: ١٤، المجازات النبوية: ٤٢٢ باختلاف.

(٨) مسند الشهاب ج١: ٧٢، الكافي ج٣: ١١٢.

وقرئ: ﴿نُنَجِّي﴾ وننجي ـ بالتشديد والتخفيف ـ. ﴿جِثِيًّا﴾ حال، وهو جمع جاث.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات الحجج، مبيّنات المقاصد، وهي حال مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[1].

وقرئ: مقاماً ـ بالضم ـ وهو موضع الإقامة، وقرئ بالفتح وهو موضع القيام.

والندي: المجلس وحيث ينتدي القوم، والمعنى: إنّهم إذا سمعوا الآيات قالوا: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ من المؤمنين بها والجاحدين لها أوفر حظاً من الدنيا.

و﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِن﴾ تبيين لإبهامها، أي: كثيراً من القرون أهلكنا، و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ في موضع نصب صفة لـ﴿كَمْ﴾.

والأثاث: متاع البيت. وقرئ: ﴿وَرِءْيًا﴾ بالهمزة وغير الهمزة وهو فعل بمعنى مفعول من رأيت، ومن لم يهمز قلب الهمزة ياء وأدغم، ويجوز أن يكون من الريّ الذي هو النعمة والترفه، من قولهم: ريّان من النعم.

قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي
كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ
ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ
مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

---

(١) البقرة: ٩١.

المعنى: مدّ ﴿لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أي: أمهله وأملى له في العمر، فأتى به على لفظ الأمر ليعلم بذلك أنّه حتم مفعول لا محالة كالمأمور به، ليقطع عذر الضال إذ عمّره ما يمكنه التذكر فيه، أو يكون في معنى الدعاء بأن يمهله الله، أو بمعنى: فليعش ما شاء فإنّه لا ينفعه طول عمره.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ﴾ الموعود رأي العين: ﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ في الدنيا وهو ظفر المسلمين بهم وتعذيبهم إيّاهم قتلاً وأسراً ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: يوم القيامة، وما ينالهم من النكال، فحينئذ يعلمون أنّ الأمر على عكس ما قدروه، وأنّهم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضۡعَفُ جُندًا﴾ لا ﴿خَيۡرٌ مَّقَامًا وَأَحۡسَنُ نَدِيًّا﴾ كما قالوه.

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي التي تحكى بعدها الجمل، والجملة هي قوله: ﴿إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ... فَسَيَعۡلَمُونَ﴾. والندي: المجلس الجامع لوجوه القوم.

﴿وَيَزِيدُ﴾ معطوف على موضع ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾، والمعنى: يزيد في ضلال الضلال بخذلانه، ويزيد في هداية المهتدين بتوفيقه.

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ وهي أعمال الآخرة كلها ﴿خَيۡرٌ﴾ ثواباً من مفاخرات الكفار ﴿وَخَيۡرٌ﴾ مرجعاً وعاقبة أو خير منفعة، من قولهم: ليس لهذا الأمر مرد وهو أرد عليك أي: أنفع، قال:

وَلَا يَــرُدُّ بُــكَايَ زَنْــدَا[1]

ولما كانت رؤية الشيء طريقاً إلى علمه وصحّة الخبر عنه، استعملوا أرأيت في معنى أخبر، والفاء جاءت للتعقيب، فكأنّه قال: أخبر أيضاً بقصّة هذا الكافر عقيب حديث أولئك وهو العاص بن وائل: كان لخباب بن الأرت عليه دين

(١) شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي: ٦٥ وصدره: ما إن جزعت ولا هلعت

فتقاضاه، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمّد، فقال: لا والله لا أكفر بمحمّد حياً ولا ميتاً، ولا حين تبعث. قال: فإنّي لمبعوث؟! فإذا بعثت سيكون لي مال وولد فأعطيك[١].

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ من قولهم: اطّلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه، والمعنى: أوَ قد بلغ من عظمة قدره أن ارتقى إلى علم الغيب حتى علم أنّا سنؤتيه مالاً وولداً ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾؟ فإنّ ما ادعاه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين. وقرئ: ولداً وهو جمع ولد.

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على الخطأ، أي: هو مخطئ فيما تصوره لنفسه وتمناه، فليرتدع عنه.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إيّاه.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ وحيداً بلا مال ولا ولد ولا عدّة ولا عدد.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ
سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا
ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾
وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا
مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾
لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾

أي: ليتعزّزوا بآلهتهم بأن يكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

---

(١) أسباب النزول: ٢١٢.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم وإنكار لتعزّزهم بهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ الضمير للآلهة أي: سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون: والله ما عبدتمونا، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1]، أو للمشركين، أي: ينكرون أن يكونوا عبدوها كما في قوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ هو في مقابلة ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾ والمراد: ضد العزّ وهو الذل والهوان، أي: يكونون عليهم ضداً لما قصدوه وذلاً لهم لا عزّاً، أو يكونون عليهم عوناً، والضد: العون، لأنّه يضاده بإعانته عليه، وإنّما وحّد لأنّهم كشيء واحد في تضامهم وتوافقهم، كقولهﷺ: ((وهم يد على من سواهم))[3].

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وتهيجهم وتغريهم لها بالوساوس، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح منهم، فليس بينك وبين هلاكهم إلا أيّاماً معدودة قليلة. وعن ابن عباس: أنّه كان إذا قرأها بكى وقال: (آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخول قبرك)[4]. وعن ابن السماك[5]: (إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما

---

(١) النحل: ٨٦.

(٢) الأنعام: ٢٣.

(٣) أمالي المفيد: ١٨٧، سنن النسائي ج٨: ١٩.

(٤) الكشاف ج٣: ٤٢.

(٥) أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق (ابن السماك) من أهل بغداد، كان مكثراً من الحديث ويقال له الباز الأشهب، مات في ربيع الآخر سنة ٣٤٤هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب الدير. ينظر: الأنساب ج٣: ٢٩٠.

أسرع ما تنفد)[١].

ذكر ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بلفظ التبجيل، وهو أنّهم يجمعون إلى ربّهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفاد على الملوك ينتظرون فضله وإكرامه، وذكر الكافرين بأنّهم يساقون إلى النار باستخفاف وإهانة كأنّهم إبل عطاش تساق إلى الماء.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ الواو ضمير العباد، ودلّ عليه ذكر ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

و﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ بدل، ويجوز أن تكون علامة الجمع على لغة من قال: أكلوني البراغيث، والفاعل ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ لأنّه في معنى الجمع، وإن نصبت ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ على تقدير حذف المضاف جاز، أي: ﴿إِلَّا﴾ شفاعة من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم، واتخاذ العهد هو الاستظهار بالإيمان والإقرار بوحدانية الله وتصديق أنبيائه وأوليائه. وقيل: إنّ المعنى: لا يشفع إلا من أطلق الرحمن له الشفاعة وأذن له فيه كالأنبياء والأئمّة وخيار المؤمنين. وعن ابن مسعود: إنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: ((أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يقول: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إنّي أعهد إليك بأنّي أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، وإنّك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشرّ وتباعدني من الخير، وإنّي لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة، إنّك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنّة))[٢].

والإد: العظيم المنكر، وقيل: العجب.

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ٢٣٠.

(٢) الكشف والبيان ج٦: ٢٣١.

وقرئ: ﴿تَكَادُ﴾ بالياء والتاء، وقرئ: ينفطرن من الانفطار، و﴿يَنفَطَّرْنَ﴾.

و﴿هَدًّا﴾ أي: مهدودة، أو تهدّ هدّاً، أو مفعول له أي: لأنّها تهدّ.

و﴿أَن دَعَوْا﴾ يجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في ﴿مِنْهُ﴾؛ ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل أي: لأن دعوا، فيكون قد علل الخرور بالهدّ، والهدّ بدعاء الولد للرحمن؛ ومرفوعاً بأنّه فاعل ﴿هَدًّا﴾ أي: ﴿تَخِرُّ﴾ لأنّ هدّها دعاء الولد للرحمن.

وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا
﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا
﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ
تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

انبغى مطاوع بغى: إذا طلب، أي: ﴿مَا﴾ يتأتى لله اتخاذ الولد، وما ينطلب له لو طلب مثلاً لأنّه مستحيل.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ أي: حصرهم بعلمه، والمعنى: ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناس ﴿إِلَّآ﴾ وهو يأتي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: يأوي إليه ﴿عَبْدًا﴾ منقاداً لا يدعي لنفسه ما يدعيه هؤلاء له.

﴿وَكُلُّهُمْ﴾ مقهورون، متقلبون في ملكوته، وهو محيط بهم وبجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ منفرداً، بريئاً من هؤلاء المشركين.

﴿وُدّٗا﴾ عن ابن عباس: (يعني يحبّهم الله ويحبّبهم إلى خلقه)[١]، وروي عن الباقر عليه السلام وجابر بن عبد الله: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: ((قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً، فقالها، فنزلت))[٢]. وعن قتادة: (ما أقبل العبد إلى الله تعالى إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه)[٣].

بلّغ هذا القرآن وبشّر به وأنذر ﴿فَإِنَّمَا﴾ أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي، و﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾ لك لتبشّر وتنذر. واللد: جمع الألد وهو الشديد الخصومة بالباطل، الآخذ في كل لديد أي: كل جانب من الجدال، يريد أهل مكة.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ تخويف لهم، و﴿تُحِسُّ﴾ من أحسّه: إذا شعر به، ومنه الحاسّة.

والركز: الصوت الخفي، أي: لا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت، وكانوا أكثر أموالاً وأكبر أجساماً وأشدّ خصاماً من هؤلاء، فحكم هؤلاء حكمهم.

---

(١) تفسير الطبري ج١٦: ١٠٠.

(٢) شواهد التنزيل ج١: ٣٥٩. الكشف والبيان ج٦: ٢٣٣.

(٣) تفسير الطبري ج١٦: ١٠٠.

سورة طه

مكية، وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي، اثنتان بصري، عدّ الكوفي: ﴿طه﴾، ﴿نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾، ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾، ﴿لِنَفْسِي﴾، ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾، ﴿رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾، وعدّ البصري: ﴿فُتُونًا﴾، ﴿مِنِّي هُدًى﴾، ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

في حديث أُبيّ: ((من قرأها أُعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار))(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((لا تدعوا قراءة (طه)، فإنّ الله يحبّها ويحبّ من يقرأها، ومن أدمن قراءتها أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأُعطي من الأجر حتى يرضى))(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى
ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى

(١) الكشاف ج٣: ١٠٠ مرسلاً.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ ﴿٧﴾

قرئ بتفخيم الطاء وإمالة الهاء، وقرئ بإمالتهما وتفخيمهما، وعن الحسن: (طِهْ، وفسّر بأنّه أمر بالوطء، وأنّ النبيّ ﷺ كان يقوم في تهجّده على إحدى رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً)، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام[1]، والأصل طأ، فقلبت همزته هاء، أو قلبت ألفاً في يطأ ثمّ بني عليه الأمر، والهاء للسكت.

﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾ إن جعلت ﴿طه﴾ اسماً للسورة احتمل أن يكون خبراً عنه وهو مبتدأ و﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أوقع موقع الضمير لأنّ السورة قرآن، واحتمل أن يكون جواباً له وهو قسم.

﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ أي: لتتعب هذا التعب، وكان عليه السلام يصلّي الليل كله ويعلّق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم، فأمره الله سبحانه أن يخففه على نفسه. والشقاء يجيء بمعنى التعب، ومنه المثل: (أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر)[2].

﴿تَذۡكِرَةً﴾ علة للفعل، و﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ كذلك، إلا أنّ هذا وجب مجيئه مع اللام لأنّه ليس بفاعل الفعل المعلل، والمعنى: لكن أنزلناه لتذكّر به من يخشى الله. والتذكرة بمعنى التذكير.

﴿تَنزِيلًا﴾ أي: ننزل تنزيلاً، ويجوز أن ينصب بـ﴿أَنزَلۡنَا﴾ لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، أو يكون بمعنى: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وما بعد ﴿تَنزِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تعظيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته.

---

(١) ينظر تفسير القمي ج٢: ٥٧.

(٢) مجمع الأمثال ج١: ٢٦٠.

و﴿ٱلۡعُلَى﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى، ووصف ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بذلك دلالة على عظم اقتدار من يخلق مثلها في علوها.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مرفوع على المدح على تقدير: هو الرحمن، والجملة التي هي ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ يجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف، وأن تكون مع ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبرين للمبتدأ.

ولما كان الاستواء ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ الذي هو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى على العرش بمعنى: ملك، ونحوه: قولهم: يد فلان مبسوطة أي: هو جواد، ويده مغلولة أي: هو بخيل، من غير تصور يد ولا غلّ ولا بسط.

﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ أي: ما في ضمن الأرض من الكنوز والأموات.

﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ وهو ما أسررته إلى غيرك ﴿وَأَخۡفَى﴾ من ذلك وهو ما أخطرته ببالك، أو ما أسررته في نفسك ﴿وَأَخۡفَى﴾ منه وهو ما ستسرّه فيها، والمعنى: وإن تجهر بذكر الله وغيره فاعلم أنّه غني عن جهرك لأنّه يعلم السرّ وأخفى منه.

و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تأنيث الأحسن.

وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ
إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى
﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ
إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ
﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ
﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ
﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾

ثمّ قفّاه بقصّة موسى عليه السلام ليقتدي به في الصبر على تكاليف الرسالة ومقاساة الشدائد.

و﴿إِذْ﴾ ظرف لـ﴿حَدِيثُ﴾ أو مفعول لـ(اذكر). استأذن موسى عليه السلام شعيباً في الخروج إلى أمه، وخرج بأهله، فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة، وقد ضل الطريق وتفرّقت ماشيته ولم ينقدح زناده، فـ﴿رَءَا نَارًا﴾ من بعيد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ في مكانكم.

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ أي: أبصرت، والإيناس: الإبصار البيّن الذي لا شبهة فيه، وقيل: هو إبصار ما يؤنس به[1]، ولما كان الإيناس متيقناً حقّقه بلفظة (إنّ)، ولما كان الإتيان بالقبس - وهو النار المقتبسة - ووجود الهدى متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ لئلا يعد ما ليس الوفاء به مستيقناً.

وأراد بـ﴿هُدًى﴾ قوماً يهدونه إلى الطريق، أو ينفعونه بهداهم في أبواب الدين، لأنّ أفكار الأبرار مغمورة بالهمم الدينية في جميع أحوالهم، والمعنى: ذوي هدى، أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى.

وقرئ: أنّي - بالفتح - أي: ﴿نُودِيَ﴾ بأنّي ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾. ومن كسر فالمعنى: نودي فقيل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، أو لأنّ النداء ضرب من القول، والمعنى في تكرير الضمير: توكيد الدلالة وتحقيق المعرفة. وروي: إنّه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها تتوقد فيها نار بيضاء، وسمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً لم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة، فعلم أنّه لأمر عظيم، فبهت فألقيت عليه السكينة[2].

---

(١) التبيان ج٧: ١٦٢.

(٢) الكشف والبيان ج٦: ٢٣٩.

ثمّ نودي: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أمر بخلع النعلين لأنّهما كانتا من جلد حمار ميت، وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبركاً به واحتراماً له[١].

﴿طُوٗى﴾ قرئ بالتنوين وغير التنوين بتأويل المكان والبقعة، وقيل: سمّي به لأنّه قدّس مرتين فكأنّه طوي بالبركة كرتين[٢].

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي: اصطفيتك للرسالة، وقرئ: وإنّا اخترناك.

﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ تعلّق اللام بـ﴿ٱسۡتَمِعۡ﴾ أو بـ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾، و(ما) موصولة أو مصدرية.

﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ أي: لتذكرني فإنّ ذكري أن أُعبد ويصلى لي، أو لتذكرني فيها لأنّ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تشتمل على الأذكار، وعن مجاهد: (لأنّي ذكرتها في الكتب وأمرت بها)[٣]، وقيل: لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة. واللام مثلها في قولك: جئتك لوقت كذا ولست مضين، ومثله قوله: ﴿قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾[٤]، وقيل: إنّه ذكر الصلاة بعد نسيانها[٥] أي: أقمها متى ذكرت كنت في وقتها أو لم تكن، وروي ذلك عن الباقر عليه السلام[٦]، وكان ينبغي أن يقال: لذكرها، ولكنّه على حذف المضاف أي: لذكر صلاتي، أو لأنّه إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله.

---

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج١٦: ١٠٩-١١٠.

(٢) عن الحسن. تفسير الطبري ج١٦: ١٠٩-١١٠.

(٣) الكشاف ج٣: ٥٥ دون نسبة الى مجاهد.

(٤) الفجر: ٢٤.

(٥) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٤: ٢٩٤.

(٦) الكافي ج٣: ٢٩٣ بالمعنى.

﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أي: فلا أقول: هي ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به. وفي مصحف أُبيّ: أكاد أخفيها من نفسي، وروي ذلك عن الصادقعليه السلام.

﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ يتعلّق بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، ﴿بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ أي: بسعيها.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ عن تصديقها، والضمير للقيامة أو عن الصلاة.

﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ بالقيامة، ولا يهولنّك كثرة عددهم ووفور سوادهم فإنّ بناء أمرهم على اتباع الهوى.

﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي: فتهلك.

وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ
عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ
أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا
ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي
صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ
قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ
أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا
﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

﴿بِيَمِينِكَ﴾ في موضع الحال، والعامل فيه معنى الإشارة، وإنّما سأله ليريه عظم ما يفعله بها، وينبّهه على باهر قدرته.

﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها إذا مشيت أو وقفت على رأس القطيع.

﴿وَأَهُشُّ﴾ أي: أخبط الورق ﴿بِهَا عَلَىٰ﴾ رؤوس ﴿غَنَمِى﴾ تأكله.

﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ أي: حاجات أخر، قالوا: انقطع لسانه من الهيبة فأجمل.

﴿تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي بسرعة وخفة حركة، وعن ابن عباس: (انقلب ثعباناً ذكراً يبتلع الصخر والشجر، فلما رآه موسى خاف)[١].

ولما ﴿قَالَ﴾ سبحانه: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيها.

والسيرة: من السير كالركبة من الركوب ثمّ نقلت إلى معنى الطريقة فقيل: سير الأوّلين، فيجوز أن ينتصب على الظرف أي: ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ في طريقتها ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: في حال ما كانت عصا، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لـ(أعاد)، أو ينتصب بفعل مضمر والمعنى: سنعيدها سائرة ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ حيث كنت تتوكأ عليها ولك ﴿فِيهَا﴾ المآرب التي عرفتها.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العضد مستعار من جناح الطائر.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ كناية عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة[٢]. روي: أنّه عليه السلام كان آدم[٣]، فأخرج يده من مدرعته ﴿بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس

---

(١) الدر المنثور ج٤: ٢٩٥.

(٢) كما قال عزّوجل: ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾. الأعراف: ٢٠ .

(٣) آدم: أسمر. (الصحاح: مادة أدم)

يغشي البصر[١].

وقوله: ﴿بَيۡضَآءَ﴾ و﴿ءَايَةً﴾ حالان، و﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ حال من معنى ﴿بَيۡضَآءَ﴾ أي: ابيضت من غير سوء، ويجوز أن ينتصب ﴿ءَايَةً﴾ بإضمار خذ ونحوه، وتعلّق به ﴿لِنُرِيَكَ﴾ أي: خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، ويجوز أن يكون التقدير: لنريك من آياتنا فعلنا ذلك.

ولما أمره سبحانه بالذهاب ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ عرف أنّه كلّف أمراً عظيماً، فسأل ربّه أن يشرح صدره حتى لا يضجر ولا يغتم، ويستقبل الشدائد بجميل الصبر، وأن يسهّل عليه أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مقاساة الخطوب الجليلة، وعن ابن عباس: (كان في لسانه رتة[٢] لما روي من حديث الجمرة)[٣].

واختلف في زوال العقدة: فقيل: انحلّت عن لسانه وزالت، وهو الصحيح لقوله: ﴿أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، وقيل: بقي بعضها[٤] لقوله: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[٥].

والوزير من الوزر، لأنّه يتحمل عن الملك أوزاره، أو من الوزر، لأنّ الملك يعتصم برأيه، أو من المؤازرة وهي المعاونة. ﴿وَزِيرًا﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾ مفعولان لـ﴿ٱجۡعَل﴾ أي: اجعل هارون وزيراً ﴿لِّي﴾ فقدّم عناية بأمر الوزارة، وقيل:

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ٢٤٢.

(٢) الرتة: العجمة في الكلام. (الصحاح: مادة رتت).

(٣) تاريخ الطبري ج١: ٢٠١.

(٤) عن الجبائي. التبيان ج٧: ١٧٠.

(٥) القصص: ٣٤.

إنّ المفعولين ﴿لِّي وَزِيرٗا﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان. وقرأ ابن عامر: اشدد، وأشركه ـ على الجواب ـ.

والأزر: القوة، وأزره: قوّاه، أي: اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك ونتزايد الخير.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ أي: عالماً بأحوالنا، وأنّ هارون نعم المعين لي والشاد لعضدي.

والسؤل: الطلبة، فعل في معنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول.

وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾
أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ
عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾
إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ
إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ
وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ
﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن
يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ
جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ
أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أي: ألهمناها ﴿مَا﴾ يلهم، وهو ما كان سبب نجاتك من القتل، أو بعثنا إليها ملكاً كما بعثنا إلى مريم.

﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾ في اليم أي: ضعيه وألقيه، وهي ﴿أَنِ﴾ المفسّرة، لأنّ الوحي بمعنى القول، والضمائر كلها ترجع إلى موسى.

﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ وهو شط البحر، كأنّه أمر البحر كما أمر أم موسى، وهذا على طريق المجاز جعله كذي تمييز، أمر بذلك ليطيع، لما كانت مشيئته عزّ اسمه إلقاءه إلى الساحل ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ وهو فرعون، لأنّه تصوّر أنّ ملكه ينقرض على يده.

﴿مِّنِّي﴾ إن تعلّق بـ﴿أَلۡقَيۡتُ﴾ فالمعنى: إنّي أحببتك ومن أحبّه الله أحبّته القلوب، وإن تعلّق بمحذوف هو صفة لـ﴿مَحَبَّةٗ﴾، فالمعنى: ﴿أَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ﴾ واقعة ﴿مِّنِّي﴾ قد ركزته أنا في القلوب وزرعته فيها ولذلك أحبّك فرعون وكل من رآك.

و﴿لِتُصۡنَعَ﴾ معطوف على علة مضمرة، مثل: ليعطف عليك ونحوه، أو حذف المعلل أي: ولتصنع فعلت ذلك. والمعنى: ولتربى وتغذى ويحسن إليك وأنا أراعيك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وكما تقول للصانع: اصنع هذا على عيني أنظر إليك ليكون صنيعك على حسب ما أريده منك. وقرئ: ولتصنع بالجزم وسكون اللام أو كسرها على أنّه أمر.

والعامل في ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ﴾: ﴿أَلۡقَيۡتُ﴾ أو ﴿تُصۡنَعَ﴾، أو يكون بدلاً من ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ﴾.

وروي: أنّ أخت موسى عليه السلام لما قالت لها أمه: قصّيه، اتبعت موسى متعرّفة خبره، فرأتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها لأنّه كان لا يقبل ثدي امرأة، فقالت:

﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ فجاءت بأم موسى فقبل ثديها[١].

﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ يعني: القبطي الذي استغاثه عليه الذي هو من شيعته فوكزه فقتله ﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ﴾ غمّ القصاص ومن بأس فرعون.

و﴿فُتُونٗا﴾ يجوز أن يكون مصدراً على فعول في المتعدّي كالشكور والثبور، وأن يكون جمع فتن أو فتنة كبدور في جمع بدرة، أي: ﴿فَتَنَّٰكَ﴾ ضروباً من الفتن فتنة بعد فتنة، وذاك أنّه ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، وألقته أمه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، وقتل القبطي، وآجر نفسه عشر سنين. والفتنة: المحنة وكل ما يشق على الإنسان.

و﴿مَدۡيَنَ﴾ على ثماني مراحل من مصر.

﴿عَلَىٰ قَدَرٖ﴾ على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة، وقيل: معناه: سبق في قدري وقضائي أن أكلّمك في وقت بعينه، فجئت على ذلك القدر[٢].

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ اتخذتك صنيعتي وخالصتي، واختصصتك بكرامتي.

﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ الونى: الفتور والتقصير، يعني: ولا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما كنتما، أو يريد بالذكر تبليغ الرسالة أي: لا تضعفا في ذلك ولا تقصّرا.

والقول اللين: نحو قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ

(١) العرائس: ١٠٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ١٧٩.

﴿فَتَخْشَى﴾(١)، وقيل: عداه شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت(٢)، واذهبا على رجائكما وطمعكما فعل من يبذل أقصى وسعه وطاقته، وإنّما أرسلهما إليه مع علمه بأنّه لا يؤمن، إلزاماً للحجّة.

﴿يَتَذَكَّرُ﴾ أي: يتأمل فينصف من نفسه ويذعن للحقّ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أن يكون الأمر كما تصفان.

﴿نَخَافُ﴾ أي: نخاف ﴿أَن﴾ يعجل ﴿عَلَيْنَآ﴾ بالعقوبة، يقال: فرط منه فعل أي: سبق، وفرس فرط: يسبق الخيل.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أي: يجاوز الحد في الإساءة بنا.

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ بالحفظ والنصرة، أي: حافظكما وناصركما ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ما يجري بينكما وبينه، وكانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون، والقبط يعذّبونهم بتكليف الأعمال الشاقة والسخرة في كل شيء.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: بمعجزة وبرهان على ما ادعيناه وسلام الملائكة، أو السلامة من عذاب الله ﴿عَلَىٰ﴾ المهتدين، و﴿ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ﴾ المكذّبين.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ
خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا
عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ

(١) النازعات: ١٨، ١٩.

(٢) عن السدي. معالم التنزيل ج٣: ١٦.

﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ۝٥٥ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾

خاطب الاثنين ووجه النداء إلى موسى، لأنّ الأصل في النبوّة موسى، أو حمله خبثه على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون.

﴿خَلۡقَهُۥ﴾ مفعول أوّل لـ﴿أَعۡطَىٰ﴾ أي: أعطى خلقه يعني: خليقته ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ يحتاجون إليه، أو مفعول ثان بمعنى: أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يوافق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يطابق الاستماع، وكذلك باقي الأعضاء. وقيل: أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة أي: زوجه[1]، وقرئ: خَلَقَهُ، أي: كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه.

﴿مَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: ما حال الأمم الماضية في السعادة والشقاوة؟ فأجاب بأنّ علم أحوالها مكتوب ﴿عِندَ رَبِّي فِي﴾ اللوح المحفوظ، لا يخطئ شيئاً ولا ينساه، وقيل: لا يتركه حتى يجازيه، أي: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ كما تضل أنت ﴿وَلَا يَنسَى﴾ كما تنسى يا مدعي الربوبية.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ﴾ صفة لـ﴿رَبِّي﴾ أو خبر مبتدأ محذوف. مهداً أي: مهّدها مهداً، أو يمهّدونها فهي لهم كالمهد الذي يمهّد للصبي، وقرئ: ﴿مَهۡدًا﴾ أي: فراشاً وبساطاً.

﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ﴾ أي: حصل لكم فيها سبلاً ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾، انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلّم على طريقة الالتفات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ١٣١.

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١] وفيه تخصيص بأنّا نحن نقدر على مثل ذلك ولا يدخل تحت قدرة أحد.

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً، و﴿شَتَّىٰ﴾ جمع شتيت. والنبات: مصدر سمّي به النابت كما سمّي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع، يعني: إنّها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل. والمعنى: قائلين: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟﴾ حال من الضمير في ﴿أَخْرَجْنَا﴾ أي: مبيحين أكلها والانتفاع بها.

﴿أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: الآيات التسع، أي: معجزاتنا الدالة على صدق موسى عليه السلام ﴿فَكَذَّبَ﴾ بجميع ذلك ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يؤمن.

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ
بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ
ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ
هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ
ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ
مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن
سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

قوله: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ تعلل من فرعون، وإلا فلا يخفى على أحد أنّ ساحراً لا

---

(١) الأنعام: ٩٩.

يقدر على أن يخرج ملكاً مثله من أرضه بالسحر، ويلوح من كلامه هذا أنّه كان يخاف منه أن يغلبه على ملكه.

﴿مَوْعِدًا﴾ مصدر بمعنى الوعد على تقدير مضاف محذوف، أي: مكان موعد، والهاء في ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ للموعد، و﴿مَكَانًا﴾ بدل من المكان المحذوف، وهو بمعنى الوقت في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ أي: وقت الموعد ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وهو يطابق ما تقدّم معنى وإن لم يطابقه لفظاً من حيث أنّ الاجتماع يوم الزينة لابد أن يكون في مكان مشهور، فبذكر الزمان يعلم المكان.

ويجوز أن لا يقدّر في الأوّل مضاف محذوف ويكون المعنى: اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه، وينتصب ﴿مَكَانًا﴾ بالمصدر، ويكون ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ معناه: وعدكم وعد يوم الزينة. وقرئ: لا نخلفه ـ بالجزم ـ على جواب الأمر. وقرئ: سِوى، وسُوى بكسر السين وضمها، ومعناه: منصفاً بيننا وبينك أي: يستوي مسافته على الفريقين. وقرئ: يوم الزينة ـ بالنصب ـ وهو مثل قولك: قيامك يوم الجمعة، فيكون ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ مصدراً والظرف خبراً عنه، أو على تقدير: إنجاز موعدكم يوم الزينة.

و﴿أَن يُحْشَرَ﴾ في موضع جر، أي: موعدكم يوم الزينة وحشر الناس، فيكون معطوفاً على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، أو في موضع رفع، أي: إنجاز موعدكم وحشر الناس ﴿ضُحًى﴾ في يوم الزينة، وهو يوم عيد كان لهم في كل عام، وقيل: يوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ذلك اليوم[1]، وإنّما واعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور دين الله وعلو كلمته وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الناس.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أي: انصرف ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: حيلته ومكره وذلك

---

(١) عن سعيد بن جبير. تفسير الطبري ج١٦: ١٣١.

جمعه السحرة.

﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا تكذبوا على الله بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحراً. قرئ: فَيُسْحِتَكُمْ، وفَيَسْحَتَكُم. والسحت والإسحات بمعنى وهو الاستئصال.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تشاوروا وتجاذبوا أهداب القول.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ يعني: السحرة، ونجواهم: إن غلبنا موسى اتبعناه، وقيل: إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر[1]. ولما ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا﴾ قالوا: ما هذا بقول ساحر.

قال فرعون وقومه للسحرة: إنّ هذان لساحران، وهي لغة بلحرث بن كعب، جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا وسلمى ولم يقلبوها ياء في الجر والنصب، وقيل: ﴿إِنْ﴾ هنا بمعنى: نعم، وساحران خبر مبتدأ محذوف تقديره: لهما ساحران، وقرئ: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ وهو مثل قولك: إن زيد لمنطلق، واللام هي الفارقة بين (إن) النافية والمخففة من الثقيلة، وقرأ أبو عمرو: إنّ هذين لساحران على الوجه الظاهر، وقرئ: هذانّ بتشديد النون وهو لغة.

و﴿الْمُثْلَى﴾ تأنيث الأمثل، وهو الأفضل والأشبه بالحقّ، والمعنى: ﴿يُرِيدَانِ أَن﴾ يصرفا وجوه الناس إليهما. وقيل: الطريقة: اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم[2]، ويقال أيضاً للواحد: هو طريقة قومه، وقيل: إنّ

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٦: ١٣٦.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ١٣٨.

طريقتهم المثلى: بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عدداً ومالاً[(١)]، أي: يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم لقول موسى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[(٢)].

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ أي: أزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا، وهذا قول فرعون للسحرة أو قول بعض لبعض، وقرئ: فاجمعوا، ويعضده قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ أي: مصطفّين مجتمعين ليكون أشدّ لهيبتكم.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ أي: فاز من غلب وعلا.

﴿أَن تُلْقِىَ﴾ مرفوع بأنّه خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا، أو منصوب بفعل مضمر معناه: اختر أحد الأمرين، وهذا التخيير منهم حسن أدب وخفض جناح له.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾: (إذا) هذه للمفاجأة، والتقدير: فإذا حبالهم وعصيّهم مخيلة إليه السعي، وقوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فاعل ﴿يُخَيَّلُ﴾، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ يرجع إلى موسى عليه السلام، وقيل: إلى فرعون. وقرئ: تخيل ـ بالتاء ـ على أن يكون مسنداً إلى ضمير الحبال والعصي، ويكون ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ بدلاً من الضمير وهو بدل الاشتمال، كقولك: أعجبني زيد علمه.

فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ
﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ
وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٦: ١٣٨.

(٢) طه: ٤٧.

عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ
فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن
نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ
إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا
وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ
مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

أوجس الخوف: أضمر شيئاً منه، وكان إيجاس الخيفة من موسى عليه السلام للجبلة البشرية عند رؤية أمر فظيع، وقيل: لأجل أن يتخالج فيه شك على الناس فلا يتبعوه[1].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ فيه تقرير لقهره وغلبته، وتأكيد بالاستئناف وبكلمة التحقيق وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو ـ وهو الغلبة الظاهرة ـ وبلفظ التفضيل.

قرئ: تلقف ـ بالرفع ـ على الاستئناف أو على الحال، أي: ألقها متلقفة، وقرئ: تلقف بالتخفيف.

﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ أي: ما زوروا وافتعلوا ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾ أي: الذي صنعوه ﴿كَيۡدُ﴾ سحر، أي: ذوي سحر، أو بين الكيد بسحر كما بين المائة بدرهم، لأنّ الكيد يكون سحراً أو غير سحر، ومثله: علم فقه. وقرئ: كيد ساحر، وحّد لأنّ القصد معنى

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٣٣٣.

الجنسية لا معنى العدد، يدلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: هذا الجنس ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ هو كقولهم: أينما كان، وأية سلك.

وهاهنا حذف أي: فألقى عصاه فتلقفت ما صنعوا ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾. وعن عكرمة: (لما سجدوا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنّة)[1].

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من غير إذني.

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ أي: رئيسكم وأسحركم وأستاذكم ومعلمكم.

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ هو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، لأنّ كل واحد من العضوين يخالف الآخر بشيئين: بأنّ هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال. و﴿مِّنْ﴾ لابتداء الغاية، لأنّ القطع مبتدأ من مخالفة العضو العضو، والجار والمجرور في موضع الحال، أي: لأقطعنّها مختلفات.

﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء في وعائه فهذا معنى (في).

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها السحرة ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ يريد الملعون نفسه وموسى عليه السلام، بدليل قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، واللام مع الإيمان لغير الله في القرآن كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقيل: يريد الله تعالى.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا﴾ أتانا ﴿مِنَ﴾ المعجزات وعلى ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ أي: خلقنا، أو هو قسم أي: والله الذي فطرنا.

---

(١) الدر المنثور ج٤: ٣٠٣.

(٢) التوبة: ٦١.

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانعه فإنّا لا نرجع عن الإيمان، أو فاحكم ما أنت حاكمه.

﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ منصوبة على الظرف.

﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ﴾ روي: إنّهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر، فإنّ الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى فرعون إلا أن يعملوا، فذلك إكراههم[(١)].

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٌ﴾ لنا منك وثوابه ﴿أَبۡقَىٰٓ﴾ لنا من ثوابك.

والآيات الثلاث بعد حكاية قولهم، وقيل: هي خبر من الله عزّ وجل.

﴿مُجۡرِمًا﴾ أي: كافراً.

و﴿ٱلۡعُلَىٰ﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى.

و﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهّر من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس: (قال: لا إله إلا الله)[(٢)].

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي
ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ
فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ
وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا
تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ
﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

---

(١) عن عبد العزيز بن أبان. معالم التنزيل ج٣: ١٨.

(٢) الكشاف ج٣: ٧٧.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي
وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ
وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ
أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾

﴿أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر، فاجعل ﴿لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ أي: يابساً، من قولهم: ضرب له في ماله سهماً، أو ضرب اللبن أي: عمله، وأصل اليبس مصدر.

﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ حال من الضمير في ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾، وقرئ: لا تخف، على الجواب.

﴿دَرَكٗا﴾ هو اسم من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك. وإذا قرئ: لا تخف ـ بالجزم ـ ففي ﴿لَا تَخۡشَىٰ﴾ وجهان: أن يكون مقطوعاً من الأوّل أي: وأنت لا تخشى، وأن يكون الألف للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[1].

﴿مَا غَشِيَهُمۡ﴾ من جوامع الكلم المستقلة بالمعاني الكثيرة مع قلتها، وفيه تفخيم للأمر.

و﴿مَا هَدَىٰ﴾ تهكّم به لقوله: ﴿وَمَا أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[2].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون، أي:

---

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) غافر: ٢٩.

قلنا لبني إسرائيل أو للذين كانوا في عهد نبيّناصلى الله عليه وآله منّ الله عليهم بما فعل بأسلافهم. وقرئ: أنجيتكم، وواعدتكم، ورزقتكم. وقرئ: وعدناكم. ذكّرهم النعمة في إنجائهم وإهلاك عدوهم وفيما وعد موسىعليه السلام من المناجاة بجانب ﴿ٱلطُّورِ﴾ وكتب التوراة في الألواح، ونسب المواعدة إليهم حيث كانت لنبيّهم ولنقبائهم، وإليهم رجعت منافعها التي بها قوام دينهم.

﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: لا تتعدوا حدود الله تعالى.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ أي: فيجب عليكم عقوبتي، من حلّ الدين يحلّ: إذا وجب أداؤه، وقرئ: فيحلّ ـ بضم الحاء ـ أي: فينزل، لأنّ الغضب بمعنى العقوبة ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ﴾ بالضم والكسر.

﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ أي: هلك، وأصله: أن يسقط من جبل، كما قيل:

هَـوَى مِـنْ رَأْسِ مَرْقَبَـةٍ ... فَفُتَّـتْ تَحْتَهَـا كَبِـدُهْ[1]

أي سقط سقوطاً لا نهوض بعده.

﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أي: استقام واستمر عليه حتى يموت. وعن الباقرعليه السلام: ((ثمّ اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت))[2].

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾ أي شيء عجل بك عنهم؟ وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور، ثمّ تقدّمهم شوقاً إلى كلام ربّه.

﴿قَالَ﴾ موسىعليه السلام ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ يدركونني عن قريب، وسبقتهم إليك حرصاً على تحصيل رضاك.

---

(١) لم أعثر على قائله في المصادر المتوفرة.

(٢) تفسير فرات: ٢٥٧، شواهد التنزيل ج١: ٣٥٧.

﴿فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ يريد الذين خلّفهم مع هارون، أضاف سبحانه الفتنة إلى نفسه والضلال إلى السامري، ليدلّ على أنّ الفتنة غير الإضلال، أي: امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه بقوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾. والمراد بالفتنة: تشديد التكليف عليهم بما حدث فيهم من أمر العجل، ليظهر المؤمن المخلص من المنافق.

والوعد الحسن: هو أن وعدهم إعطاء التوراة التي فيها هدى ونور.

و﴿ٱلۡعَهۡدُ﴾: الزمان، يريد مدة مفارقته لهم، يقال: طال عهدي بك أي: طال زماني بسبب مفارقتك، وهم وعدوه أن يقيموا على ما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل.

قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ
فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ
فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ
إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن
قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي
﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ
مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ
يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾

﴿بِمَلۡكِنَا﴾ قرئ بالحركات الثلاث، أي: ﴿مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ﴾ بأن ملكنا أمرنا، أي: لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه، ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده.

والمعنى: حملنا أحمالاً ﴿مِّن﴾ حلي القبط التي استعرناها منهم ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي. وقرئ: ﴿حُمِّلۡنَآ﴾ أي: جعلنا نحمل أوزار القوم.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أراهم أنّه يلقي حلياً في يده، وإنّما ألقى التربة التي أخذها من موطئ فرس جبرئيل.

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ﴾ من الحفرة ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾.

﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فنسي موسى أن يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور ويكون من قول السامري، أو فنسي السامري أي: ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر.

﴿أَلَّا يَرۡجِعُ﴾ من رفعه فعلى أنّ (أن) هي المخففة من الثقيلة، ومن نصبه فعلى أنّها الناصبة للفعل.

﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل أن يعود موسى إليهم، و(لا) مزيدة، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في شدّة الزجر عن الكفر وقتال من كفر بمن آمن، أو مالك لم تلحقني؟. وكان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه مجبولاً على الحدّة والخشونة في ذات الله، فلم يتمالك حين رأى القوم يعبدون العجل بعد رؤيتهم المعجزات والآيات أن ألقى الألواح لما عرته من الدهشة غضباً لله وحمية، وعنف بأخيه وخليفته على قومه إذ أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على شعر رأسه ووجهه.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرّقوا وتفانوا، فأردت أن تكون أنت الملاقي لأمرهم بنفسك، وخشيت عتابك على ترك ما أوصيتني به حين قلت: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾[1].

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: فما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت؟ وهو مصدر خطب الأمر: إذا طلبه، فكأنّه قال: ما طلبك؟.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، أو علمت ما لم يعلموه، من البصيرة، وعن ابن مسعود وأُبيّ والحسن: فقبصت قبصة ـ بالصاد ـ. ومعنى الضاد المعجمة: الأخذ بجميع الكف، والصاد المهملة: بأطراف الأصابع.

روي: أنّ موسى عليه السلام لما حلّ ميعاد ذهابه إلى الطور أرسل الله تعالى جبرئيل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إنّ لهذا شأناً، فقبض قبضة من تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصّته قال: قبضت من أثر فرس الرسول الذي أرسل إليك فنبذتها في العجل، وكما حدّثتك يا موسى[2].

﴿سَوَّلَتْ﴾ أي: زيّنت ﴿لِي نَفْسِي﴾ من أخذ القبضة وإلقائها في صورة العجل.

قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) العرائس: ١٢٤.

﴿أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ
لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ
أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤﴾

عوقب السامريّ في الدنيا بأن منع من مخالطة الناس منعاً كلياً، وحرمت عليهم مكالمته ومبايعته ومجالسته ومؤاكلته، وإذا اتفق أن يماس أحداً، رجلاً كان أو امرأة حمّ الماس والممسوس، فكان يهيم في البرية مع الوحش، وإذا لقي أحداً قال: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا تقربني ولا تمسّني. وقيل: إنّ ذلك بقي في ولده إلى اليوم، إن مسّ واحد من غيرهم واحداً منهم حمّ كلاهما في الوقت[1].

﴿لَّن تُخۡلَفَهُۥ﴾ أي: لن يخلفك الله تعالى موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، ينجزه لك في الآخرة، فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة. وقرئ: لن تخلفه ـ بكسر اللام ـ وهو من أخلفت الموعد: إذا وجدته خلفاً، وقرئ: لن نخلفه ـ بالنون ـ حكاية لقوله عزّ وجل.

﴿ظَلۡتَ﴾ أي: ظللت، حذفت اللام الأولى. وقرئ: لنحرقنه وهي قراءة عليّ عليه السلام، ومعناه: لنبردنّه بالمبرد ولنحتنّه حتاً. ويجوز أن يكون ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ مبالغة في حرق: إذا برد، وهذه القراءة تدلّ على أنّه كان ذهباً وفضة ولم يصر حيواناً.

﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ مفعول ﴿وَسِعَ﴾، و﴿عِلۡمٗا﴾ منصوب على التمييز وهو في المعنى فاعل.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الاقتصاص وهو ما قصصنا عليك من قصّة

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ٢٥٨.

موسى وفرعون ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ﴾ سائر أخبار الأمم السالفة وأحوالهم تكثيراً في آياتك ومعجزاتك.

والمراد بالذكر: القرآن، لأنّ فيه ذكر كل ما يحتاج إليه من أمور الدين، أي: ﴿ذِكْرًا﴾ مشتملاً على هذه الأقاصيص وعلى الأخبار الحقيقة بالتفكر فيها، فمن أقبل عليه سعد ونجا، ومن أعرض عنه فقد شقي وهوى.

والمراد بالوزر: العقوبة لما فيها من الثقل والصعوبة تشبيهاً بالحمل الثقيل الذي يفدح حامله، أو لأنّها جزاء الوزر الذي هو الإثم.

﴿خَالِدِينَ﴾ حمل على معنى ﴿مَن﴾، ووحّد الضمير في ﴿أَعْرَضَ﴾ حملاً على اللفظ، ﴿فِيهِ﴾ أي: في ذلك الوزر أو في احتماله ﴿وَسَآءَ﴾ حكمه حكم بئس، وفيه ضمير مبهم يفسّره ﴿حِمْلًا﴾، والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر الذي تقدّم ذكره عليه، تقديره: وساء حملاً وزرهم، ونحوه: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1] أي جهنم.

و﴿لَهُمْ﴾ للبيان، مثله في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[2].

وقرأ أبو عمرو: ننفخ ـ بالنون ـ.

وقيل في الزرق: أنّ المراد: العمى[3]، وقيل: العطاش يظهر في عيونهم كالزرقة[4]، وقيل: زرق العيون: سود الوجوه[5].

﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ أي: يتسارّون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يقول بعضهم لبعض: ما ﴿لَّبِثْتُمْ

(١) النساء: ٩٧.

(٢) يوسف: ٢٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ج٢: ١٩١.

(٤) تهذيب اللغة ج٨: ٤٢٨.

(٥) عن الضحاك وغيره. تفسير الفخر الرازي ج٢٢: ١٤.

﴿إِلَّا﴾ عشر ليال، وإنّما يتخافتون لما اعتراهم من الرعب والهول، استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لاستطالتهم في الآخرة، أو مدة لبثهم في القبور.

و﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أوفرهم عقلاً وأصوبهم رأياً عند نفسه، ونحوه: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[1].

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا
صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ
يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا
تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ
خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا
﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ
أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

﴿يَنسِفُهَا رَبِّى﴾ أي: يجعلها بمنزلة الرمل، ثمّ يرسل عليها الرياح فتذريها وتفرّقها كما تذري الطعام.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: فيذر مقارها ومراكزها، أو يكون الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ أي: اعوجاجاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ولا نتواً يسيراً، وعن

(١) المؤمنون: ١١٣.

الحسن: (العوج: ما انخفض من الأرض، والأمت: ما ارتفع من الروابي)[١]. وأضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿يَتَّبِعُونَ﴾ صوت ﴿ٱلدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر، وهو إسرافيل الذي ينفخ في الصور يدعو الناس قائماً على صخرة بيت المقدس، فيقبلون من كل أوب إلى صوته.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يعوج له مدعو، بل يستوون إليه من غير انحراف.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ﴾ أي: خفضت من شدّة الفزع وخفتت.

﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ وهو الركز الخفي، ومنه الحروف المهموسة، وقيل: هو من هميس الإبل، وهو صوت أخفافها إذا مشت، أي: لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر.

﴿مَنۡ﴾ يجوز فيه الرفع والنصب، فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي: لا تنفع الشفاعة إلا ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، والنصب على المفعولية. ومعنى ﴿أَذِنَ لَهُ﴾، ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ﴾: لأجله، كاللام في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[٢].

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ما تقدّمهم من الأحوال ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: ما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ بمعلوماته ﴿عِلۡمٗا﴾.

﴿وَعَنَتِ﴾ وجوه العصاة أي: خشعت وذلّت إذا عاينت أهوال يوم القيامة، وقيل: المراد بالوجوه: الرؤساء والملوك، أي: صاروا كالعناة وهم الأسارى،

---

(١) معالم التنزيل ج٣: ٢١.

(٢) الأحقاف: ١١.

وقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ وما بعده اعتراض.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمًا﴾ وهو أن يؤخذ بذنب لم يعمله، أو لا يجزى بعمله، ﴿وَلَا هَضۡمًا﴾ وهو أن يكسر من حقّه فلا يوفى له، أو يبطل بعض حسناته. وقرئ: فلا يخف على النهي، والمعنى: فليأمن الظلم والهضم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمّنة للوعيد أنزلنا القرآن كله.

﴿وَصَرَّفۡنَا﴾ أي: وكررنا ﴿فِيهِ﴾ آيات ﴿ٱلۡوَعِيدِ﴾ وبيّناها على ألفاظ مختلفة ليتقوا المعاصي ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمۡ﴾ شرفاً بإيمانهم به، أو اعتباراً بأن يذكروا به عقاب الله للأمم.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ استعظام له سبحانه، ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده، وما يجري عليه أمور ملكوته.

ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقّنك جبرئيل الوحي فـ﴿لَا تَعۡجَلۡ﴾ بتلاوته قبل أن يفرغ من قراءته، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته، ونحوه: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾[1]، وقيل: معناه: لا تقرئه أصحابك حتى يبيّن لك ما كان مجملاً[2]، واستزد من الله سبحانه علماً إلى علمك ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾ إلى علم.

وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ

(١) القيامة: ١٦.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ١٦٠.

﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا
تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ
عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا
سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ
فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ
هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

عطف سبحانه قصّة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: وأقسم قسماً ﴿لَقَدْ﴾ وصيّنا أباهم بأن لا يقرب الشجرة ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد ولم يتذكر الوصية، يقال: عهد الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه.

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ يجوز أن يكون من الوجود الذي هو بمعنى العلم ومفعولاه ﴿لَهُ عَزْمًا﴾، وأن يكون نقيض العدم، كأنّه قال: وعدمنا له عزماً، وقيل: ﴿فَنَسِيَ﴾ معناه: فترك الأمر[1].

﴿وَإِذْ﴾ منصوب بمضمر، أي: واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه، وتزيينه له الأكل من الشجرة.

﴿أَبَىٰ﴾ جملة مستأنفة كأنّه جواب قائل يقول: لِمَ لم يسجد؟ والوجه: أن لا يقدّر له مفعول وهو السجود، وأن يكون معناه: أظهر الإباء وتوقف.

وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ معناه: فلا يكونن سبباً لإخراجكما.

﴿فَتَشْقَىٰ﴾ أسند الشقاء إلى آدم دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج، لأنّ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ١٦٠.

المراد بالشقاء هنا التعب في طلب القوت ومعاناة العمل وذلك معصوب برأس الرجل، وعن سعيد بن جبير: (إنّه أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه ويرشح العرق من جبينه، فذلك هو الشقاوة)[1].

وقرئ: ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها، ووجه الفتح: العطف على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ والتقدير: وإنّ لك أنّك لا تظمأ، والكسر: على الاستئناف. والشبع، والري، والكسوة، والكن، هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان، فذكر سبحانه استجماعها له في الجنّة، وأنّه لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب، كما أنّ أهل الدنيا يحتاجون إلى ذلك، وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع، والعري، والظمأ، والضحى، ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحرز عن السبب الموقع فيها كراهة لها.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أنهى إليه الوسوسة كما يقال: أسرّ إليه، وأضاف الشجرة إلى ﴿ٱلْخُلْدِ﴾ وهو الخلود، لأنّ من أكل ﴿مِنْهَا﴾ خلد بزعمه.

وطفق يفعل كذا مثل: جعل يفعل، وأخذ يفعل، وحكمها حكم (كاد) في أنّ خبرها الفعل المضارع، وهي للشروع في أوّل الأمر، وكاد للدنو من الأمر.

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ أي: يلزقان بسوآتهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ للتستر، وهو ورق التين.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ أي: خالف ما أمره به ربّه، والمعصية: مخالفة الأمر، سواء كان الأمر واجباً أو ندباً.

﴿فَغَوَىٰ﴾ أي: فخاب من الثواب الذي كان يستحقّه على فعل المأمور به،

---

(١) تفسير الطبري ج١٦: ١٦١.

أو خاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لائِمَا[1]

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اصطفاه ربّه وقرّبه إليه، من قولهم: جبى إليّ كذا فاجتبيته.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: قبل توبته وهداه إلى ذكره، وقيل: وهداه للكلمات التي تلقّاها منه[2].

ولما كان آدم وحواء أصلي البشر جعلا كأنّهما البشر، فخوطبا مخاطبتهم فقيل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ على لفظ الجماعة كما أسند الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب.

والمراد بالهدى: الكتاب والشريعة. وعن ابن عباس: (ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثمّ تلا قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾)[3].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ

---

(١) البيت للمرقش الأصغر. الشعر والشعراء ج١: ٢١٥، وفيه: ومن يلق....

(٢) تفسير السمرقندي ج٢: ٤١٥.

(٣) تفسير الطبري ج١٦: ١٦٣.

وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي
مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن
رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ
وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن﴾ القرآن، وقيل: عن الدلائل فلم ينظر فيها.

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: عيشاً ضيقاً، والضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والمعنى فيه: إنّ مع الدين القناعة والتوكل على الله والرضا بقسمته، فصاحبه ينفق مما رزق بسهولة وسماح فيكون في رفاهية من عيشه، ومن أعرض عن الدين استولى عليه الحرص والجشع، ويتسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فيعيش في ضنك.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ البصر، وقيل: أعمى عن الحجّة لا يهتدي إليها(١)، والأوّل أوجه لأنّه الظاهر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت، ثمّ فسّره بأن آياتنا ﴿أَتَتْكَ﴾ واضحة منيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نتركك على عماك، ولا نزيل غطاءه عن عينيك.

ولما توعّد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا، وحشره أعمى في الآخرة؛ ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ كأنّه قال: وللحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشدّ من ضيق العيش المنقضي، أو أراد

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ١٦٥.

ولتركنا إيّاه في العمى أشدّ وأبقى من تركه لآياتنا.

وفاعل ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ الجملة بعده، والمراد: ألم يهد لهم هذا بمضمونه ومعناه، كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[1] معناه: تركنا عليه هذا الكلام، ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول، ويدلّ عليه القراءة بالنون.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يريد أنّ قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويعاينون آثار إهلاكهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ لعبراً ودلالات لذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ مثل إهلاكنا عاداً وثموداً لازماً لهؤلاء الكفرة. واللزام: إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى مفعل كأنّه آلة اللزوم، لفرط لزومه كما قيل: لزاز خصم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ أو على الضمير في (كان) أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمّى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود.

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع نصب على الحال، أي: وأنت حامد لربّك على أن وفّقك للتسبيح وأعانك عليه، والمراد بالتسبيح: الصلاة، أو هو على الظاهر.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني: صلاة الفجر.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: الظهر والعصر، لأنّهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها.

---

(١) الصافات: ٧٨، ٧٩.

﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ساعاته، وعن ابن عباس: (هي صلاة الليل كله)[١]، وقيل: إنّ قبل غروبها هو صلاة العصر و(أطراف النهار) هو الظهر لأنّ وقته الزوال وهو طرف النصف الأوّل وطرف النصف الثاني من النهار[٢].

وقد يؤول أيضاً التسبيح في ﴿ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ بصلاة العتمة، وفي (أطراف النهار) بصلاة الفجر والمغرب، فيكون تكراراً على إرادة الاختصاص كما في قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[٣]. ومن حمل التسبيح على الظاهر قال: أراد المداومة على التسبيح والتحميد في عموم الأوقات.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بالشفاعة والدرجة الرفيعة. وقرئ بفتح التاء كما في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٤].

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

---

(١) تفسير الطبري ج١٦: ١٦٨.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج١٦: ١٦٨.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) الضحى: ٥.

أي: ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ نظر ﴿عَيْنَيْكَ﴾، ومدّ النظر تطويله وأن لا يكاد يردّه، استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمنّياً أن يكون ذلك له. وقد قال بعض الزهاد: ويجب غض الطرف عن أبنية الظلمة وملابسهم المحرّمة، لأنّهم اتخذوا ذلك لعيون الناظرة، فالناظر إليها محصّل لغرضهم وكأنّه يحملهم على اتخاذها.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفرة، ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير، والفعل واقع على ﴿مِّنْهُمْ﴾، كأنّه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً منهم.

وفي انتصاب ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ وجوه: أن ينتصب على الذم وهو النصب على الاختصاص، وعلى تضمين ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى أعطينا وخوّلنا، وكونه مفعولاً ثانياً له، وعلى إبداله من محلّ الجار والمجرور، وعلى إبداله من ﴿أَزْوَاجًا﴾ على تقدير: ذوي زهرة، والزهرة: الزينة والبهجة. وقرئ بفتح الهاء فيكون لغة في الزهرة كما جاء في الجهرة: الجهرة، أو يكون جمع زاهر وصفاً لهم بأنّهم زاهرو الدنيا، لتهلل وجوههم وصفاء ألوانهم مما يتنعمون.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ لنبلوهم، أو لنعذّبهم في الآخرة بسببه.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ المدّخر لك في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ منه وأدوم، أو ما رزقت من نعمة النبوّة خير مما متعناهم به.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أي: أهل بيتك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ واستعينوا بها على خصاصتكم ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ واصبر على فعلها والأمر بها، ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإنّ رزقك مكفيّ من عندنا ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ﴾ أن ترزق نفسك ولا أهلك. وعن أبي سعيد الخدري: لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعليّ عليهما السلام تسعة أشهر وقت كل صلاة فيقول: ((الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجۡسَ أَهۡلَ الۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[1]))[2]. وعن بكر بن عبد الله المزني[3]: (أنّه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلّوا، بهذا أمر الله ورسوله، ثمّ يتلو هذه الآية)[4].

﴿وَٱلۡعَـٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: لأهل التقوى.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٍ﴾ اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوّة، فقيل لهم: ﴿أَوَلَمۡ﴾ تأتكم آية هي أصل الآيات وأجلّها في باب الإعجاز؟ يعني: القرآن، وذلك أنّ القرآن به يستدلّ على صحّة سائر الكتب المنزلة، وجميعها مفتقرة إلى شهادته على صحّة ما فيها كما يحتاج المحتج عليه إلى شهادة الحجّة، لأنّه معجز وتلك الكتب ليست بمعجزات.

وذكّر الضمير الراجع إلى البيّنة في ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ لأنّها في معنى الدليل والبرهان.

﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر للعاقبة، فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم، وأنتم تتربّصون بنا الدوائر.

و﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: الدين المستقيم.

وفي قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَـٰهُم...الآية﴾ دلالة على وجوب اللطف، وأنّه إنّما بعث الرسول لكونه لطفاً، ولو لم يبعثه لكان للخلق الحجّة عليه سبحانه وتعالى.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) شواهد التنزيل ج٢: ٢٩ باختلاف يسير، وينظر: تفسير الحبري: ٢٩٧-٣٠٩.

(٣) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري، من الرواة المشهورين، مات سنة ١٠٦هـ. ينظر: معجم رجال الحديث ج٣: ٣٧٢. تقريب التهذيب ج١: ١٣٥.

(٤) الكشف والبيان ج٦: ٢٦٧.

سورة الأنبياء

مكية، وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي، وإحدى عشرة آية غيرهم، عدّ الكوفي ﴿**لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ**﴾.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الأنبياء) حاسبه الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلّم عليه كل نبيّ ذكر اسمه في القرآن))[1]، وقال أبو عبد الله عليه السلام: ((من قرأها حبّاً لها كان ممن رافق النبيّين في جنات النعيم، وكان مهيباً في أعين الناس في الدنيا))[2].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم
مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢
لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ
مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي
يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ
قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ
كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥

---

(١) الكشف والبيان ج٦: ٢٦٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ لتوكيد معنى إضافة الحساب إلى الناس، والأصل: اقترب حساب الناس، ثمّ اقترب للناس الحساب، ثمّ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ والمراد: اقتراب القيامة، وإذا اقتربت فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك، وإنّما وصفت بالقرب لأنّ كل آت وإن طالت مدة ترقّبه قريب، وإنّما البعيد هو الذي وجد وانقرض. وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الدنيا ولّت حذّاء[1]، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء))[2].

وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى: أنّهم غافلون عن حسابهم، ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم، وإذا نبّهوا عن سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات أعرضوا عن التفكر فيها والتدبر لها والإيمان بها.

ثمّ قرر سبحانه إعراضهم عن تنبيه المنبّه بأنّ الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليتعظوا، فما يزيدهم استماع الآي والسور إلا لعباً وتلهياً.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ حالان مترادفتان أو متداخلتان. وأبدل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من واو ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ إيذاناً بأنّهم الموسومون بالظلم فيما أسرّوا به، أو يكون على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أو هو مبتدأ وخبره ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ قدّم عليه، والمعنى: وهؤلاء ﴿أَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ بالغوا في إخفائها، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنّه ظلم.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في محلّ النصب بدلاً من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ أي: وأسرّوا هذا الحديث، ويجوز

---

(١) ولّت حذّاء: أدبرت بسرعة. (الصحاح: مادة حذذ)

(٢) نهج البلاغة: ١٠٠.

أن يتعلّق بقالوا مضمراً.

اعتقدوا أنّ الرسول من الله لا يكون إلا ملكاً، وأنّ كل من ادّعى الرسالة من البشر وأتى بالمعجز فهو ساحر، وما أتى به فهو سحر، فلذلك قالوا: أفتأتون السحر وأنتم تعاينون أنّه سحر؟.

وقرئ: ﴿قَالَ رَبِّي﴾ على الخبر عن الرسولﷺ، ولم يقل: يعلم السرّ، لأنّ القول عام يشمل السرّ والجهر، فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادته، ثمّ بيّن ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: العالم لذاته لا تخفى عليه خافية.

ثمّ أضربوا عن قولهم: هو سحر، إلى أنّه تخاليط ﴿أَحْلَامٍ﴾، ثمّ إلى أنّه كلام مفترى من عنده، ثمّ إلى أنّه قول شاعر؛ لأنّ (الباطل لجلج)[1]، والمبطل متحيّر لا يثبت على قول واحد.

وصحّة التشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من حيث أنّه في معنى: كما أتى الأوّلون بالآيات، لأنّ إرسال الرسل متضمّن للإتيان بالآيات، فلا فرق بين أن يقول: أرسل محمّد، وبين قولك: أتى محمّد بالمعجز.

مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن
كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ
وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ
وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

---

(١) مجمع الأمثال ج١: ٣٦٧.

في قوله: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ دلالة على أنّهم أعتى من الأمم التي اقترحت على أنبيائها الآيات ووعدوهم أن يؤمنوا عندها، فلما جاءتهم خالفوا وأخلفوا الوعد فأهلكهم الله، أي: فلو أعطيناهم ما اقترحوا لكانوا أنكث منهم.

واختلف في أهل ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾ فقيل: هم أهل الكتاب[١]، وقيل: هم أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم[٢]. وعن عليّ عليه السلام: ((نحن أهل الذكر))[٣].

﴿لَا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفة الجسد، والمعنى: وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين، ووحّد الجسد لإرادة الجنس، كأنّه قال: ذوي ضرب من الأجساد، وهذا ردّ لقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾[٤].

﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ أي: ما أخرجناهم عن حدّ البشرية بأن أوحينا إليهم.

﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ أي: في الوعد، فهو مثل قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[٥] أي: من قومه. ومنه قولهم: (صدقني سن بكره)[٦]، وصدقوهم القتال.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ﴾ من أعدائهم وأنجينا ﴿مَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين بهم ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ وهم المشركون، أسرفوا على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء.

﴿فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾ أي: شرفكم وصيتكم، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَك

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٧: ٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٣٨٥.

(٣) تفسير الطبري ج١٧: ٥، بصائر الدرجات: ٤٠ عن الباقر عليه السلام، الكافي ج١: ٢١٠ عن الصادق عليه السلام.

(٤) الفرقان: ٧.

(٥) الأعراف: ١٥٥.

(٦) مجمع الأمثال ج٢: ٢١٢.

﴿وَلِقَوْمِكَ﴾[1]، أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر، كالسخاء وأداء الأمانة والوفاء وحسن الجوار وصدق الحديث وأشباهها من محاسن الأفعال.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا
تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ
﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ
حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ
إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ
﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

هذا كلام وارد عن غضب شديد، لأنّ القصم أفظع الكسر، بخلاف الفصم، وهو سبحانه قاصم الجبارين، وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم، والمعنى: أهلكنا قوماً وأنشأنا قوماً آخرين، وعن ابن عباس: (أنّها حضور، وهي وسحول قريتان باليمن، تنسب إليهما الثياب)[2]. وفي الحديث: ((كفن رسول الله ﷺ في ثوبين سحوليين))[3]،

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ٢٤.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج١٨: ٢٣١.

ويروى: ((حضوريين))[١]. بعث الله إليهم نبيّاً اسمه حنظلة فقتلوه، فسلّط عليهم بخت نصر كما سلّط على أهل بيت المقدس فاستأصلهم. فظاهر الآية على الكثرة، ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنّها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية.

فلما علموا شدّة بطشنا بأجسامهم وشاهدوا عذابنا ركضوا من ديارهم، والركض: ضرب الدابة بالرجل، أي: هربوا وانهزموا من قريتهم لما أدركتهم مقدّمة العذاب، فقيل لهم: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ والقول محذوف، ويحتمل أن يكون القائل بعض الملائكة، أو من هناك من المؤمنين ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ من العيش الرافه والحال الناعمة، والإتراف: إبطار النعمة، وهي الترفه.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ تهكّم بهم، أي: ارجعوا إلى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا في مجالسكم ومراتبكم كما كنتم كذلك حتى تسألكم حشمكم ومن تملكون أمره ويقولوا لكم: بم تأمرون؟ وماذا ترسمون؟ كعادة المنعّمين، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاونة في الخطوب النازلة، ويستشفون بآرائكم في المهمات الكارثة.

﴿تِّلۡكَ﴾ إشارة إلى ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾.

والدعوى بمعنى الدعوة، أي: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ﴾ الدعوى ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾، وإنّما سمّيت دعوى، لأنّ المولول كأنّه يدعو الويل فيقول: تعال يا ويل فهذا وقتك.

والحصيد: الزرع المحصود، أي: جعلناهم مثل الحصيد، شبّههم به في استئصالهم، أي: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود، كما يقال: جعلته حلواً حامضاً أي: جامعاً للطعمين.

---

(١) الفائق في غريب الحديث ج٢: ١٢٤.

وما جعلنا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من أنواع الخلائق للهو واللعب، وإنّما سويناها للفوائد الدينية والحكم الإلهية.

﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من جهة قدرتنا، واللهو: الولد، وقيل: المرأة[١]، وقيل: ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من الملائكة لا من الإنس[٢]، وهو ردّ لولادة المسيح وعزير.

﴿بَلْ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو، كأنّه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب، [بل من موجب حكمتنا أن نغلب اللهو][٣] بالجد وندحض الباطل ﴿بِالْحَقِّ﴾.

واستعار لذلك القذف والدفع تصويراً لإبطاله به ومحقه، فجعله كأنّه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه، ثمّ قال: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ به مما لا يجوز عليه.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ هم الملائكة، يعني: أنّهم منزّلون منه منزلة المقرّبين عند الملوك، لشرفهم على الخلق وكرامتهم عليه.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يعيون ولا يملون.

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: ينزهون الله تعالى عما لا يليق بصفاته على الدوام في ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لا يضعفون عنه.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ

---

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج١٧: ٨.

(٢) عن السدي. الدر المنثور ج٤: ٣١٥.

(٣) ساقطة من ج.

﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أَمِ﴾ هذه منقطعة بمعنى (بل) والهمزة، وقد دلّت على الإضراب عما قبلها، والإنكار لما بعدها، وهو أن يتخذوا ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ آلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ الموتى، ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموات الأموات، وإذا ادّعوا لها الإلهية لزمهم أن يدّعوا لها الإنشار، لأنّه لا يستحقّ هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ من نحو قولك: فلان من الكوفة، تريد أنّه كوفي، فيه إيذان بأنّها الأصنام التي تعبد في الأرض، أو يريد آلهة من جنس الأرض، لأنّها إما أن تنحت من بعض حجارة الأرض، أو تعمل من بعض جواهرها.

وقرئ: ينشرون، ويقال: أنشر الله الموتى ونشرها، وهما لغتان.

ثمّ دلّ سبحانه على توحيده فقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي: في السماء والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وصفت الآلهة بـ﴿إِلَّا﴾ كما توصف بـ(غير)، كما لو قيل: آلهة غير الله، ولا يجوز أن يكون بدلاً، لأنّ البدل لا يسوغ إلا في غير الموجب،

كقوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[١] وذلك أنّ أعم العام يصحّ نفيه ولا يصحّ إيجابه. والمعنى: لو كان يدبّر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو منشئهما ومحدثهما ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ولم ينتظم أمرهما. وفي هذا دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلّمون مسألة التوحيد.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنّ أفعاله كلها حكمة وصواب، ولا يجوز عليه فعل القبيح ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لأنّهم مملوكون مستعبدون، يقع منهم الحسن والقبيح، فهم جدراء بأن يقال لهم: لِمَ فعلتم؟ في كل شيء فعلوه.

وكرر ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استعظاماً لكفرهم.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ذلك من جهة العقل أو من جهة الوحي، فإنّكم لا تجدون كتاباً من كتب الأوّلين إلا وفيه الدعاء إلى التوحيد والنهي عن الشرك.

﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: عظة الذين معي، يعني: أمّته ﴿وَذِكْرُ﴾ الذين ﴿قَبْلِي﴾ من أمم الأنبياء ممن نجا بالإيمان، أو هلك بالكفر. وعن الصادق عليه السلام: ((يعني بذكر ﴿مَن مَّعِيَ﴾ من معه وما هو كائن، وبذكر ﴿مَن قَبْلِي﴾ ما قد كان))[٢].

ثمّ ذمّهم سبحانه بالجهل في قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن التأمل والنظر.

وقرئ: ﴿نُوحِيَ﴾ ويوحى. وهذه الآية مقررة لما قبلها من آي التوحيد.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ هم خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

---

(١) هود: ٨١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٣٠.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ نزّه ذاته عن ذلك، ثمّ أخبر عنهم بأنّهم ﴿عِبَادٞ﴾، والعبودية تنافي الولادة.

﴿مُّكۡرَمُونَ﴾ أكرمهم الله وقرّبهم.

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ يعني: يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله، وكما أنّ قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً كذلك مبني على أمره، لا يعملون عملاً لم يأمرهم به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدّموا وأخّروا بعين الله، يحيط علماً بما عملوا وما هم عاملون، ولا يجترئون أن يشفعوا ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ الله دينه، أو ارتضى أن يشفع فيه وأهّله للشفاعة وهم المؤمنون، ثمّ إنّهم مع هذا كله ﴿مِّنۡ﴾ خشية الله ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون وجلون من التقصير في عبادته.

ثمّ أوعد بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل، تقطيعاً لأمر الشرك، كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وقرئ: ألم ير ـ بغير واو ـ والمعنى: إنّ السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينها، ففتقهما الله وفرج بينهما. وقيل: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة[2] وهو المروي عنهم عليهم السلام[3].

وإنّما قال: ﴿كَانَتَا﴾ ولم يقل: كن، لأنّ المراد جماعة السماوات وجماعة

(١) الأنعام: ٨٨.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٤: ٣١٧.

(٣) تفسير القمي ج٢: ٧٠. التبيان ج٧: ٢٤٢.

الأرض، كما قيل: لقاحان سوداوان أي: جماعتان، فعل في المضمر مثل ما فعل في المظهر.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا يخلو أن يتعدّى إلى واحد أو اثنين، فإن كان الأوّل فالمعنى: خلقنا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ﴾ حيوان كقوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[١]، أو كأنّما خلقناه من الماء لحاجته إليه وقلة صبره عنه كقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢]. وإن كان الثاني فالمعنى: صيّرنا ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ بسبب ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ لا بد له منه، ويكون (من) هنا كما في قوله عليه السلام: ((ما أنا من دد ولا الدد مني))[٣].

وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبال ثوابت، أي: كراهة ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وتضطرب، أو لأن لا تميد بهم، فحذف (لا) واللام، وإنّما حذف (لا) لعدم الالتباس، كما زيد لذلك في نحو قوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[٤] وهذا مذهب الكوفيين.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ أي: طرقاً واسعة بينها، جمع

(١) النور: ٤٥.

(٢) الأنبياء: ٣٧.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج١٩: ٣٤٤، أمالي السيّد المرتضى ج١: ٢٥.

(٤) الحديد: ٢٩.

فج، وهي صفة لـ(سبل)، فلما تقدّمت عليها جعلت حالاً منها.

﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ من أن يسقط إلى الأرض ويتزلزل، أو محفوظاً بالشهب عن أن يتسمع الشياطين على سكانه من الملائكة.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر الكواكب ومسائرها على الحساب القويم والترتيب المستقيم الدال على الحكمة البالغة، فمن أعرض عن الاستدلال بها على عظم شأن من أوجدها وبديع حكمته فلا جهل أعظم من جهله.

﴿كُلٌّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، أي: كلهم ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، والضمير للشمس والقمر، والمراد: جنس الطوالع كل يوم وليلة، ولذلك جعلت متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار وإن كانت الشمس واحدة والقمر واحداً، وإنّما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

كانوا قد تمنّوا موته ﷺ ليشمتوا بذلك فنفى الله عنه الشماتة بهذا، أي: قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً، فإن ﴿مِّتَّ﴾ أنت أيبقى هؤلاء؟!.

و﴿فِتْنَةً﴾ مصدر مؤكد لـ﴿نَبْلُوكُم﴾ من غير لفظه، أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من العطايا، ﴿وَإِلَيْنَا﴾ مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٤٠﴾

الذكر يكون بالخير وبالشرّ، فإذا دلّت الحال على أحدهما أطلق، تقول للرجل: سمعت فلاناً يذكرك، فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدواً فهو ذم، ومنه قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ وقوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾[1]. والمعنى: إنّهم يذكرون آلهتهم بما يجب أن لا تذكر به ككونهم شفعاء وشهداء، ويسوؤهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك.

و﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ بما يجب أن يذكر الله به من الوحدانية لا يصدّقون به، فهم أحقّ بأن يتخذوا ﴿هُزُوًا﴾ منك لأنّهم مبطلون وأنت محقّ. والجملة في موضع [النصب على البدل من][2] الهزء وهو الكفر بالله، ويجوز أن يكون في موضع الحال على حذف القول، أي: قائلين: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾.

كانوا يستعجلون عذاب الله ويقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، فأراد الله سبحانه نهيهم عن الاستعجال فقدّم أوّلاً ذم الإنسان على العجلة وأنّه مطبوع عليها، ثمّ نهاهم وزجرهم، فكأنّه قال: ليس ببدع منكم أن تستعجلوا، فإنّكم مجبولون على ذلك وهو سجيتكم، وعن ابن عباس: (إنّه أراد بالإنسان آدم، إنّه لما بلغ الروح

---

(١) الأنبياء: ٦٠.

(٢) ساقطة من ب، ط.

صدره أراد أن يقوم)[١]، والظاهر أنّ المراد به الجنس، وقيل: العجل: الطين بلغة حمير[٢] واستشهد بقول شاعرهم:

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَة ... وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ المَاءِ وَالعَجَلِ[٣]

وجواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف [أي: لو علموا لما قاموا على الكفر ولما استعجلوا][٤]، و﴿حِينَ﴾ مفعول ﴿يَعۡلَمُ﴾، أي: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم: متى هذا الوعد، وهو وقت صعب تحيط بهم فيه النار من ورائهم وقدامهم، فلا يقدرون على دفعها من نفوسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء. ويجوز أن يكون ﴿يَعۡلَمُ﴾ متروكاً بلا تعدية بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، ويكون ﴿حِينَ﴾ منصوباً بمضمر، أي: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ يعلمون أنّهم كانوا على الباطل.

﴿بَلۡ﴾ تفجأهم الساعة أو النار التي وعدوا بها فتغلبهم، ويقال لمن غلب في الحجاج: مبهوت، وفي قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ تذكير بإنظاره وإمهاله إيّاهم، أي: لا يمهلون بعد طول الإمهال.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ

(١) الكشاف ج٣: ١١٧.

(٢) عن أبي عبيد. الكشف والبيان ج٦: ٢٧٦.

(٣) البيت للشماخ. تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٣٧٣ وفيه: والنبع منبته بالصخر...وهو غير موجود في ديوانه.

(٤) ساقطة من ب، ج.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

ثمّ سلى سبحانه نبيّهﷺ عن استهزائهم به بأنّ له في الأنبياء قبله أسوة، وأنّه يحلّ بهم وبال استهزائهم كما حلّ بأولئك.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من بأس الرحمن وعذابه، والكلاءة: الحفظ، بل هم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن ذكر ربّهم لا يخطرونه ببالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه، والمراد أنّه أمر بسؤالهم عن الكالئ، ثمّ بيّن أنّهم لا يصلحون لذلك، لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم. ثمّ أضرب عن ذلك بما في (أم) من معنى (بل)، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن﴾ العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا، ثمّ استأنف فبيّن أنّ ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها، ولا بمصحوب من الله بالنصر كيف يمنع غيره وينصره؟!

ثمّ قال: ﴿بَلْ﴾ ما هم فيه من الكلاءة إنّما هو منا، أمهلناهم ومتعناهم بالحياة الدنيا كما متعنا ﴿ءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ﴾ الأمد، فظنوا أنّهم لا ينزع عنهم ثوب الأمن والطمأنينة.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا﴾ ننقص أرض الكفر بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم

على أهلها، وقيل: ننقصها بموت العلماء[١]. وعلى القول الأوّل ففي قوله: ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا﴾ تصوير لما كان يجريه الله على أيدي المسلمين من الغلبة على ديار المشركين، والنقص من أطرافها.

وقرئ: لا تُسْمِعُ الصُّمَّ ـ على الخطاب للنبيّ ﷺ ـ.

وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

أي: وإن مسّهم مما أنذروا به أدنى شيء لذلّوا وأقروا بالظلم على أنفسهم، وفي النفحة معنى القلة لبناء المرة، ولقولهم: نفحته الدابة وهو ريح يسير، ونفحه بعطية إذا رضخه.

﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ﴾ ذوات القسط فحذف المضاف، ووصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة، كأنها في أنفسها قسط لأهل ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: لأجلهم، أو هو كاللام في قولك: لخمس ليال خلون من الشهر، ومنه قول النابغة:

تَوَسَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا ... لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا العَامُ سَابِعُ[٢]

---

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الماوردي ج٣: ٤٤٩.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٧٩، وفيه: توهمت.

﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾ لا ينقص من إحسان محسن، ولا يزاد في إساءة مسيء.

﴿وَإِن كَانَ﴾ الظلامة ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَا﴾ أحضرناها للمجازاة. ويجوز أن يؤنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبّة، كما يقال: ذهبت بعض أصابعه، وقرأ الصادق عليه السلام وابن عباس ومجاهد: آتينا بها ـ بالمد ـ، وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى: المجازاة والمكافاة، لأنّهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء.

و﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: التوراة، و﴿ضِيَآءٗ﴾ أي: وآتيناهما به ضياء ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ والمعنى: إنّه في نفسه ضياء وذكرى، أو يريد أتيناهما بما فيه من الشرائع ضياء وذكرى، وقيل: ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ فلق البحر[1]، وقيل: المخرج من الشبهات[2].

ومحلّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جر على الوصف، أو نصب على المدح، أو رفع عليه.

﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ﴾ وبركته: خيره ومنافعه، ودوام ذلك إلى يوم القيامة.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ
قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ
فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ
بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ
فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٧﴾

---

(١) عن الضحاك. الكشاف ج٣: ١٢١.

(٢) عن محمّد بن كعب. الكشاف ج٣: ١٢١.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾

الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح، ومعنى إضافته إليه: أنّه رشد مثله، وأنّه رشد له شأن، وقيل: هو الحجج الموصلة إلى التوحيد[١]، وقيل: النبوّة[٢].

﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ﴾ أي: بصفاته الرضية وأسراره ﴿عَٰلِمِينَ﴾ حتى أهّلناه لخلتنا.

﴿إِذۡ﴾ يتعلّق بـ﴿ءَاتَيۡنَآ﴾ أو بـ﴿رُشۡدَهُۥ﴾، وقوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ تصغير لشأن آلهتهم، وتحقير لها، ولم ينو للعاكفين مفعولاً وأجراه مجرى ما لا يتعدّى، أي: فاعلون للعكوف لها، ولو قصد التعدية لقال: ﴿عَٰكِفُونَ﴾ عليها. وروي عن الأصبغ بن نباتة أنّه قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بقوم يلعبون الشطرنج فقال: ((ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟! لقد عصيتم الله ورسوله))[٣].

اعترفوا بتقليد الآباء حين لم يجدوا حجّة في عبادتها، وكفى أهل التقليد عاراً وسبّة أنّ عابدي الأوثان منهم.

﴿أَنتُمۡ﴾ من التوكيد الذي لا يصحّ الكلام مع الإخلال به، لأنّ العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل لا يجوز، أي: أنتم ومن قلّدتموهم قد انخرطتم في سلك ضلال ظاهر غير خاف.

﴿قَالُوٓاْ﴾ له: هذا الذي ﴿جِئۡتَنَا﴾ به أجدّ هو وحقّ ﴿أَمۡ﴾ هزل ولعب! إذ

---

(١) التبيان ج٧: ٢٥٥.

(٢) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٣: ٤٥٠.

(٣) مجمع البيان ج٧-٨: ٥٢ عن العياشي، سنن البيهقي الكبرى ج١٠: ٢١٢.

تعجّبوا من تضليله إيّاهم، واستبعدوا أن يكونوا على ضلال.

والضمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ للسماوات والأرض، أو للتماثيل.

﴿وَتَاللَّهِ﴾ التاء فيها بدل من الواو المبدّلة من الباء، وفي التاء زيادة معنى وهو التعجب، كأنّه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه، لصعوبته وتعذره في زمن نمرود مع فرط عتوه واستكباره، وعن قتادة: (قال ذلك سرّاً من قومه)(١).

وروي: إنّهم خرجوا في يوم عيد لهم، فجعل إبراهيم أصنامهم جذاذاً أي: قطعاً، من الجذّ وهو القطع، كسّرها كلها بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الكبير علّق الفأس في عنقه(٢). وقرئ: جذاذاً جمع جذيذ، وإنّما استبقى الكبير، لأنّه غلب في ظنه أنّهم لا يرجعون إلا ﴿إِلَيْهِ﴾، لما كانوا يسمعونه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم، فأراد أن يبكتهم بقوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ**﴾. وعن الكلبي: (﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى (كبيرهم) كما يرجع إلى العالم في حلّ المشكلات)(٣)، فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحاً والفأس على عاتقك؟ فتبيّن لهم أنّه عاجز لا ينفع ولا يضرّ، وأنّهم في عبادته على غاية الجهل.

﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من فعل هذا الكسر والحطم إنّه لشديد الظلم، لجرأته على آلهتنا.

﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو منادى، والأوجه أن يكون فاعل ﴿يُقَالُ﴾، لأنّ المراد الاسم لا المسمّى.

---

(١) تفسير الطبري ج١٧: ٢٨.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج١٧: ٢٨.

(٣) الكشاف ج٣: ١٢٣.

﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ
فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا
فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ
إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا
هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ
كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾

أي: فجيئوا ﴿بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: معايناً مشاهداً بمرأى من الناس ومنظر، فهو في موضع الحال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ عليه بما فعله، أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ من معاريض الكلام، ولم يكن قصداً من إبراهيم عليه السلام إلى أن ينسب الفعل إلى الصنم، وإنّما قصد تقريره لنفسه على هذا الأسلوب تبكيتاً لهم، كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رائق وأنت مشهور بحسن الخط: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمي لا يحسن الكتابة، فقلت له: بل كتبته أنت، وقصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته لصاحبك الأمي.

وقيل: إنّ تقديره: بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون فاسألوهم، فعلّق الكلام بشرط لا يوجد(١).

(١) عن القتيبي. الكشف والبيان ج٦: ٢٨٠، تنزيه الأنبياء: ٢٩.

وقيل: إنّ التقدير: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ من فعله ويوقف عليه، ويبتدأ فيقرأ ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[١].

فلما ألقمهم الحجر ﴿رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

ونكست الشيء: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب، والمعنى: انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم وصاروا مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق، أو يريد قلبوا على ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ لفرط إطراقهم، خجلاً مما بهتهم به إبراهيم، فما أجابوا جواباً إلا ما هو حجّة عليهم.

﴿أُفٍّ﴾ صوت يعلم به أنّ صاحبه متضجر، تأفف بهم إذ أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد وضوح الحقّ وانقطاع العذر، واللام لبيان المتأفف به، أي: ﴿لَّكُمْ﴾ ولآلهتكم هذا التأفف.

ولما غلبوا أزمعوا على إهلاكه وتحريقه، فجمعوا الحطب حتى أنّ الرجل ليمرض فيوصي بماله يشترى به حطب لإبراهيم! ثمّ أشعلوا ناراً عظيماً كادت الطير تحترق في الجو من وهجها، ثمّ وضعوه في المنجنيق مقيّداً مغلولاً فرموا به فيها، وذكر أنّ جبرائيل قال له حين رمي به: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فاسأل ربّك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[٢]. وعن الصادق عليه السلام: ((أنّه قال: يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فحسرت النار عنه، وأنّه لمحتبي ومعه جبرائيل وهما يتحدّثان في روضة خضراء))[٣].

---

(١) عن الكسائي. الكشف والبيان ج٦: ٢٨٠.

(٢) الكشف والبيان ج٦: ٢٨١.

(٣) تفسير القمي ج٢: ٧٣. الكافي ج٨: ٣٦٩ باختلاف يسير.

﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ يعني: ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك، كأنّ ذاتها برد وسلام، والمراد: ابردي فيسلم منك إبراهيم، وابردي برداً غير ضار، وعن ابن عباس: (لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها)[1]. نزع الله عن النار طبعها من الحرّ والإحراق وأبقاها على الإنارة والإشراق كما كانت، والتحقيق: أنّ النار من جهة مطاوعتها فعل الله تعالى وإرادته كانت كمأمور أُمر بشيء فامتثله.

﴿وَأَرَادُواْ﴾ أن يكيدوه فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين.

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ
وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت
تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي
رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

أي: نجينا إبراهيم ولوطاً ـ وهو ابن أخيه ـ من نمرود وكيده من كوثى[2] ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام. وبركاتها الواصلة إلى العالمين: أنّ أكثر الأنبياء بعثوا فيها فانتشرت في العالمين شرائعهم، وقيل: إنّها بلاد خصب تكثر أشجارها وثمارها ويطيب العيش فيها، روي: أنّه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة،

---

(١) الدر المنثور ج٤: ٣٢٣.

(٢) كوثى: هي ناحية من أرض بابل كان فيها مولد إبراهيم الخليل، وبها طرح في النار. ينظر: معجم البلدان ج٤: ٤٨٧.

وبينهما مسيرة يوم وليلة[١].

والنافلة: ولد الولد، قيل: إنّه سأل الولد فأُعطي ﴿إِسۡحَٰقَ﴾ وأُعطي ﴿يَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ﴾ أي: زيادة وفضلاً من غير سؤال[٢]، أي: ﴿صَٰلِحِينَ﴾ للنبوّة والرسالة.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ يقتدى بهم في دين الله.

﴿يَهۡدُونَ﴾ إلى طريق الحقّ والدين القويم ﴿بِأَمۡرِنَا﴾ وكل من صلح أن يكون قدوة للخلق، فالهداية محتومة عليه، مأمور هو بها من جهة الله تعالى، وأوّلها أن يهتدي بنفسه ليعم الانتفاع بهداه، وتسكن النفوس إلى الاقتداء به.

و﴿لُوطًا﴾ منصوب بفعل مضمر.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ يفسّره ﴿حُكۡمٗا﴾ أي: حكمة وهو ما يجب فعله، أو فصلاً بين الخصوم، وقيل: هو النبوّة[٣]. و﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ سدوم.

﴿فِي رَحۡمَتِنَآ﴾ أي: في أهل رحمتنا، أو في الجنّة.

وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ١٥١.

(٢) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج١٧: ٣٦.

(٣) تفسير السمرقندي ج٢: ٤٣٣.

﴿يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

أي: ﴿مِن قَبْلُ﴾ هؤلاء المذكورين.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: جعلناه منتصراً منهم، من: نصرته فانتصر.

و﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه.

واذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾، و﴿إِذْ﴾ بدل منهما. والنفش: الانتشار بالليل.

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ جمع الضمير لأنّه أرادهما والمتحاكمين إليهما.

والضمير في ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ للحكومة أو للفتوى، حكم داودعليه السلام بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمانعليه السلام ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة ـ: غير هذا يا نبيّ الله، أرفق بالفريقين، فقال: وما ذاك؟ قال: يدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع بها، والحرث إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، فقال: القضاء ما قضيت، وأمضى الحكم بذلك[1]. والصحيح: أنّهما جميعاً حكما بالوحي، إلا أنّ حكومة سليمان نسخت حكومة داود، لأنّ الأنبياء لا يجوز أن يحكموا بالظن والاجتهاد، ولهم طريق إلى العلم.

وفي قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دلالة على أنّ كليهما كان مصيباً.

﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حال بمعنى: مسبّحات، ويجوز أن يكون على الاستئناف، كأنّ قائلاً قال: كيف سخّرهن؟ فقال: يسبحن.

و﴿ٱلطَّيْرَ﴾ إما معطوف على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ وإما مفعول معه، وكانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكانت الطير تسبح معه بالغداة والعشي.

---

(١) تاريخ الطبري ج١: ٢٥٣.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم، وقيل: وكنا نفعل مثل ذلك بالأنبياء[1].

واللبوس: اللباس، والمراد هنا الدرع، وأوّل من صنع الدرع داود، وإنّما كانت صفائح فسردها[2] وحلّقها فجمعت الخفة والتحصين.

وقرئ: ﴿لِتُحۡصِنَكُم﴾ بالنون والتاء والياء، فالنون لله عزّ وجل، والياء لداود أو للبوس، والتاء للصنعة. والبأس: المراد به الحرب والقتال.

وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ
لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾
۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

﴿ٱلرِّيحَ﴾ عطف على ﴿الْجِبَالَ﴾. كانت الريح مطيعة لسليمان إذا أراد أن تعصف عصفت، وإذا أراد أن ترخي أرخت، وذلك قوله: ﴿رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[3]، وكان هبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية إلى آية.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾: تجري الأشياء على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا.

---

(١) تفسير ابن عباس ج٣: ٢٧٢.

(٢) السرد: الثقب ونسج الدروع. (الصحاح: مادة سرد)

(٣) ص: ٣٦.

﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحار فيستخرجون الجواهر ﴿وَيَعۡمَلُونَ﴾ له أعمالاً سواء من بناء المدائن والقصور، واختراع الصنائع العجيبة، والله جل اسمه يحفظهم من أن يمتنعوا عليه أو يزيغوا عن أمره، أو يكون منهم فساد فيما عملوه.

ناداه بـ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ والضُرّ ـ بالضم ـ: الضرر في النفس من مرض وهزال، وبالفتح: الضـرر في كل شيء.

ألطف في السؤال حيث ذكر عن نفسه ما يوجب الرحمة، وذكر ربّه بغاية الرحمة وكنى عن المطلوب.

﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن﴾ الأوجاع والأمراض، وكان أيوب كثير الأولاد والأموال، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله، وبالمرض في بدنه ثلاث عشرة سنة أو سبع سنين وسبعة أشهر، فلما كشف الله ضرّه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم.

﴿رَحۡمَةً﴾ منا، أي: لرحمتنا العابدين وذكرنا إيّاهم بالإحسان لا ننساهم، أو ﴿رَحۡمَةً﴾ منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة.

﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: هو اليسع، وقيل: إنّه نبيّ كان بعد سليمان، يقضي بين الناس كقضاء داود، ولم يغضب قط إلا لله عزّ وجل[١].

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ
فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ
مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ

---

(١) عن الجواد عليه السلام. قصص الأنبياء للراوندي: ٢١٢.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ
رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا
لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ
وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾

﴿ٱلنُّونِ﴾ الحوت، وصاحبه يونس بن متى، برم بقومه لطول ما ذكّرهم فلم يذّكّروا وأقاموا على كفرهم، فراغمهم فظن أنّ ذلك سائغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله، وقد كان الأولى به أن يصابر وينتظر الإذن من الله جل اسمه في مهاجرتهم فابتلي ببطن الحوت.

ومعنى مغاضبته لقومه: أنّه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها. وسأل معاوية ابن عباس كيف يظن نبيّ الله أن لا يقدر عليه؟ فقال: هو من القدر لا من القدرة[1]، يعني: أن لن نضيّق عليه كما في قوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[2]. وقيل: إنّه استفهام تقديره: أفظن أن لن نقدر عليه؟ فحذف الهمزة[3]، وقيل: معناه: فظن أن لم تعمل فيه قدرتنا[4].

﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: في الظلمة الشديدة في البحر في بطن الحوت، أي: بأنّه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، أو هو بمعنى: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من الذين يقع منهم الظلم. وقرئ: ننجي، وننّجي، ونجي - بنون واحدة وبتشديد الجيم -

---

(١) الكشاف ج٣: ١٣٢.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج١٧: ٦٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ج٢: ٢٠٩ باختلاف.

والنون لا تدغم في الجيم، وربّما أخفيت فحذفت في الكتابة وهي في اللفظ ثابتة، فظن الراوي ذلك إدغاماً.

سأل الله تعالى زكريا أن يرزقه وارثاً، ولا يدعه ﴿فَرْدًا﴾ بلا ولد، ثمّ رد الأمر إلى الله واستسلم فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ يعني: إن لم ترزقني ولداً يرثني فلا أبالي فإنّك خير وارث.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ أي: وجعلناها صالحة لأن تلد بعد أن كانت عاقراً. وقيل: معناه: جعلناها حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق[١]. وقيل: رددنا عليها شبابها.

﴿إِنَّهُمْ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين، أي: استحقّوا الإجابة منا لمسارعتهم ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ومبادرتهم إلى الطاعات.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: راغبين وراهبين كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[٢].

﴿خَاشِعِينَ﴾ أي: ذللاً لأمر الله، وقيل: متواضعين لأمر الله تعالى[٣]، وعن مجاهد: (الخشوع: الخوف الدائم في القلب)[٤].

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ

(١) عن عطاء بن أبي رباح وغيره. الدر المنثور ج٤: ٣٣٤.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) عن مجاهد. الدر المنثور ج٤: ٣٣٤.

(٤) معالم التنزيل ج٣: ٣٩.

كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ إحصاناً كلياً من الحلال والحرام جميعاً، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[١].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا وهو جبرائيل عليه السلام، لأنّه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها. وإن جعلت نفخ الروح بمعنى الإحياء كما في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[٢] أي: أحييته، فالمعنى: فنفخنا الروح في عيسى فيها أي: أحييناه في جوفها، كما يقول الزامر: نفخت في بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لم يقل: آيتين، لأنّ حالهما آية واحدة وهي ولادتها إيّاه من غير فحل.

والمراد بالأمّة: ملّة الإسلام، يعني: إنّ ملّة الإسلام ملّتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملّة ﴿وَٰحِدَةً﴾ غير مختلفة ﴿وَأَنَا۠﴾ إلهكم إله واحد فاعبدوني.

---

(١) مريم: ٢٠.

(٢) الحجر: ٢٩.

الأصل: وتقطعتم، إلا أنّ الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنّه يقبح عندهم فعلهم ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله؟ والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتقسم الجماعة الشيء فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب، تمثيلاً لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى يتبرأ بعضهم من بعض، ثمّ أوعدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فيجازيهم بما عملوا.

الكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أنّ الشكر مثل في الإثابة إذا قيل: الله شكور، أي: لا يكفر سعيه.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ أي: نحن كاتبون ذلك السعي، نثبته في صحيفة عمله.

﴿وَحَرَٰمٌ﴾ مستعار للممتنع وجوده، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] أي: منعهما منهم، وأبى أن يكونا لهم، وقرئ: وحرم، ومعناه: ممتنع من ﴿قَرْيَةٍ﴾ قدّرنا إهلاكها وغير متصور رجوعهم من الكفر إلى الإسلام، و﴿لَا﴾ مزيدة. وقال الزجّاج: (تقديره: حرام على قرية أهلكناها أن يتقبّل منهم عمل لأنّهم لا يرجعون)[2]. وعلى هذا فيكون ﴿حَرَٰمٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف. ويجوز أن يكون التقدير: وحرام عليها ذلك المذكور في الآية المتقدّمة من السعي المشكور غير المكفور، لأنّهم لا يرجعون عن الكفر.

وتعلّقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بـ﴿حَرَٰمٌ﴾ وهي غاية له، لأنّ امتناع رجوعهم لا يزول حتى يوم القيامة، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي التي يحكى بعدها الكلام، والجملة

---

(١) الأعراف: ٥٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٣: ٤٠٥.

الشرطية هنا هي الكلام المحكي بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ أعني: ﴿إِذَا﴾ وما في حيّزها.

أي: فتح سد ﴿يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ فحذف المضاف، وقرئ: فُتِّحَتْ - بالتشديد -.

والحدب: النشر من الأرض، والنسلان والعسلان: الإسراع.

و﴿إِذَا﴾ هي ظرف المفاجأة وتسدّ في الجزاء مسدّ الفاء، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكّد، ولو قيل: إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة لجاز، وهي ضمير مبهم يفسّره الإبصار.

و﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ تعلّق بمحذوف، والتقدير: يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ وهو في موضع الحال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ
وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا
لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ
أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ
فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ
ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي
كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ
لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا
كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ
أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وقودها وحطبها.

﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الأوثان والشياطين، لأنّهم بطاعتهم لهم

في حكم عبدتهم، والفائدة في مقارنتهم بآلهتهم: أنّهم قدّروا أنّهم يشفعون لهم عند الله، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدّروه لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الخصلة المفضلة في الحسن، وهي السعادة أو البشارة بالثواب أو التوفيق للطاعة.

والحسيس: الصوت الذي يحس، والشهوة: طلب النفس اللذّة يقال: اشتهى شهوة.

وقرئ: لا يُحْزِنُهُم. و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾: النفخة الأخيرة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾(١) وعن الحسن: (حين يؤمر بهم إلى النار)(٢)، وعن الضحاك(٣): (حين يطبق على النار)(٤)، وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادي: يا أهل الجنّة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت(٥).

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تستقبلهم على أبواب الجنّة بالتهنئة، يقولون: ﴿هَٰذَا﴾ وقت ثوابكم ﴿ٱلَّذِى﴾ وعدكم ربّكم قد حلّ.

و﴿يَوْمَ نَطْوِى﴾ منصوب بـ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ أو بـ﴿تَتَلَقَّاهُمُ﴾، وقرئ: يوم تطوى السماء ـ على البناء للمفعول ـ.

---

(١) النمل: ٨٧.

(٢) تفسير الطبري ج١٧: ٧٨.

(٣) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني المفسر، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة. ينظر: طبقات المفسرين ج١: ٢١٦.

(٤) معالم التنزيل ج٣: ٤١.

(٥) عن ابن جريج. تفسير الطبري ج١٧: ٧٨.

و﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ الصحيفة، أي: كما يطوى الطومار للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو لما يكتب فيه، لأنّ الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثمّ يوقع على المكتوب. وقرئ: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ والمراد بذلك المكتوبات أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة. قيل: السجل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه[1]، وقيل: هو اسم كاتب للنبيّ ﷺ[2]، وعلى هذا فالكتاب: اسم للصحيفة المكتوب فيها.

﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ مفعول نعيد الذي يفسّره ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾، و(ما) كافة للكاف، والمعنى: نعيد أوّل الخلق كما بدأناه، تشبيهاً للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. وأوّل الخلق: إيجاده من عدم، أي: فكما أوجدناه أوّلاً من عدم نعيده ثانياً، وقوله: ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ كقولك: هو أوّل رجل جاءني، تريد: أوّل الرجال، ولكنك نكّرته ووحدّته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: أوّل الخلق، بمعنى: أوّل الخلائق، لأنّ الخلق مصدر لا يجمع.

ويجوز فيه وجه آخر: وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسّره ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ و(مَا) موصولة، أي: نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرف لـ﴿بَدَأْنَآ﴾ أي: أوّل ما خلق، أو حال من الهاء المحذوف من الصلة.

﴿وَعْدًا﴾ مصدر مؤكد، لأنّ قوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ عدة للإعادة.

﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل ذلك.

قيل: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: أم

---

(١) عن السدي وغيره. الدر المنثور ج٤: ٣٤٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٧: ٨٢.

الكتاب يعني: اللوح[١]، وقيل: زبور داود، والذكر: التوراة[٢].

أي: ﴿يَرِثُهَا﴾ المؤمنون، كقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ... الآية﴾[٣]. وعن الباقر عليه السلام: ((هم أصحاب المهدي في آخر الزمان))[٤]. وقيل: الأرض هي أرض الجنّة[٥].

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ
يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ
أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى المذكور في السورة من الأخبار والمواعظ.

﴿لَبَلَٰغًا﴾ أي: كفاية موصلة إلى البغية.

كان صلوات الله عليه وآله ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ كافة، إذ جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن لم يتبعه فقد أُتي من عند نفسه، وقيل: إنّ الوجه في كونه ﴿رَحْمَةً﴾

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج١٧: ٨١.

(٢) عن الشعبي. تفسير الطبري ج١٧: ٨١.

(٣) الأعراف: ١٣٧.

(٤) تفسير القمي ج٢: ٧٧.

(٥) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج١٧: ٨٢.

للكافرين: أنّ عقابهم أخّر بسببه، وأمنوا به عذاب الاستئصال[١].

﴿إِنَّمَا﴾ لقصر الحكم على شيء، كما يقال: إنّما زيد قائم، أو لقصر الشيء على حكم، كقولك: إنّما يقوم زيد، وقد اجتمع كلاهما في الآية، لأنّ ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعله بمنزلة: إنّما يقوم زيد، و﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ بمنزلة: إنّما زيد قائم، وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أنّ الوحي إلى رسوله مقصور على أنّ الله عزّ اسمه استأثر بالوحدانية.

وفي قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أنّ الوحي الوارد على هذه الطريقة موجب أن تخلصوا التوحيد لله. ويجوز أن يكون (ما) موصولة، فيكون معناه: أنّ الذي يوحى إليّ.

ومعنى ﴿ءَاذَنتُكُمۡ﴾ : أعلمتكم، ولكنّه كثر استعماله في معنى الإنذار، ومنه قول ابن حلّزة:

آذَنَتْنَـا بِبَيْنِهَـا أَسْـمَاءُ[٢]

والمعنى: إنّي بعد إعراضكم عن قبول توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة، فنبذ إليهم العهد وآذنهم جميعاً بذلك.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾ أي: مستوين في الإعلام به لم يطوه عن أحد منهم.

و﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾ من غلبة المسلمين عليكم أو القيامة، كائن لا محالة إلا أنّ الله تعالى لم يطلعني عليه.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ﴾ سبحانه ﴿يَعۡلَمُ﴾ السرّ والعلانية منكم، وهو مجازيكم على

---

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٧: ٨٣.

(٢) ديوان الحارث بن حلزة اليشكري: ٦٦، وبقيته: ربّ ثاو يملّ منه الثواء.

ذلك.

وما ﴿أَدۡرِيٓ﴾ لعل تأخير هذا الموعد امتحان ﴿لَّكُمۡ﴾ لينظر كيف تعملون، أو تمتيع لكم ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ ليكون ذلك حجّة عليكم.

وقرئ: ﴿قَلَ﴾ على حكاية قول النبيّ ﷺ، و﴿رَبِّ ٱحۡكُمۡ﴾ على الاكتفاء بالكسرة، وربّ احكم ـ على الضم ـ وربّي أحْكَم ـ على أفعل التفضيل ـ.

أمر عليه السلام باستعجال العذاب لقومه فعذّبوا ببدر. ومعنى قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: لا تحابهم، وافعل بهم ما يستحقّونه.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الحال التي تجري على خلاف ما تظنون، وقد نصر رسوله ﷺ عليهم، وخذلهم وخيّب ظنونهم.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

سورة هود ٥

سورة يوسف ٥٦

سورة الرعد ١٠٦

سورة إبراهيم ١٣٠

سورة الحجر ١٥٤

سورة النحل ١٧٤

سورة الإسراء ٢٢٠

سورة الكهف ٢٦٥

سورة مريم ٣٠٥

سورة طه ٣٣٥

سورة الأنبياء ٣٧٣

فهرس المحتويات ٤٠٩